أدب الضيافة

تأليف
جعفر البياتي

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلىٰ مولاتي فاطمة الزهراء صلوات الله عليها.. التي أطعَمَت هي وبعلُها المرتضىٰ صلوات الله عليهما علىٰ حُبّ الله سبحانه: مِسكيناً ويتيماً وأسيراً، فطوَيا ثلاثاً صائمَينِ بعد أنْ قَدَّما كلَّ ما عندَهما لوجهِ الله «تبارك وتعالىٰ»، لا يُريدانِ بذلك من أحدٍ جزاءً ولا شُكوراً.

إليها.. تلك الطاهرة، لَعَلَّنا نحظىٰ بشفاعتها وشفاعة أبنائِها الميامين، فذا هو الأمل، وذي لهفُتنا إليهم:

يــا بَـني الزهـراءِ أنـتُم عُـدَّتي

وبِكُم في الحشرِ مِيزاني رَجَـحْ

كلمة الناشر

الضيافة خصلة إنسانيّة نبيلة، ذات أبعاد متعدّدة وسيعة. إنّها ممارسة يُحبّها الله تبارك وتعالى ويُوجّه إليها، إذْ هي لون من الاستقبال للآخرين. ولون من الاحتضان لهم بالمكان وبالقلب.

في الضيافة ما في كثيرٍ غيرها من الأعمال الصالحة التي جعلها الله سبحانه مفاتيحَ للطريق المُفْضي إليه، وبوّابات سلوكٍ لبلوغ اللقاء والتوحّد به.. الذي هو غاية الغايات.

إنّها أكثر من بذل السلام والطعام، وأكثر من الاستقبال بِبِشْر وانفتاحِ أَسارير، وإن كان هذه الأفعال الطيّبة من مستلزماتها ومن علامات الصِّدق فيها.

الضيافة ـ في هذه الرؤية التوحيديّة ـ تُحقّق بُعدها الواقعيّ من جهتين:

الأُولى: أنّها إضافةُ شخصٍ أو أشخاص من عباد الله إليك، فتخرُج (أنت) بهذا من الفرديّة الصغيرة إلىٰ آفاقِ روح جماعيّة متّسعة تحتضن خلق الله وتشملهم بالمحبّة والمودّة. والخَلْق عيال الله، وأحبُّهم إليه أنفعَهُم لعياله. إنّ القلب الذي يَسَع الخالق جلّ وعلا ـ وما وَسِعَتْه أرضه ولا سماؤه ـ ينبغي في خُطوة المسير الأُولى

أن يتّسع للعالم وما خلق الله في هذا العالم. ومن هنا جاء الدعاء للجار قبل أهل الدار، والدعاء للمؤمنين بظَهْر الغَيب، والدعاء لكلّ الخَلْق من سماويّين وأرضِيّين.

وثاني أبعاد هذه الضيافة المباركة: أنّها تكريم للضيف وتقديم. إنّها بذلٌ مِن النفس ومن الوقت والمال. والبذل علامةٌ علىٰ صِدق إرادة العبد في المسير إلى الله تعالى. لابدّ أن تقدّم «شيئاً» يستبين به صدق العزم وواقعيّة القرار. إنّ مَن أراد الزواج بامرأة صادقاً عليه أن يدلّ علىٰ صدقه ببذل المَهْر، ومِن هنا يُسمّي المهر «صَداقاً»، أي علامة على الصِّدْق في الطلب، ونظيره النَّذْر الذي نقدّمه فيما يهمّنا من أُمور، ومن هنا أيضاً ما نقدّمه من أضاحٍ وقُرُبات. المهمّ أن نقدّم ونبذل.. ليرانا الله صادقين فيما نبغي ونريد من درجات القرب إليه، و﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [1]، كما يعلّمنا نور القرآن الكريم.

إنّ هذه الضيافة الصالحة يتآزر فيها هذانِ البُعدان: من احتضان الآخرين، والبذل لهم بما يكرمهم ويسرّهم. وهي في بُعدٍ آخر من أبعادها تَشَبُّهٌ باللّه عزّ وجلّ وبأولياء الله المقدّسين، في حبّ الخَلْق ورعايتهم، وإفاضة النعم عليهم: رحمانيّةً ورحيميّة.

---

(١) سورة آل عمران: ٩٢.

وهذه الضيافة ـ أيّها الأعزّاء ـ واسعة الأطراف، متنوّعة الميادين، نقرؤها في كلام الله عزّ وجلّ، ونقرؤها في سيرة أحبّاء الله وأصفيائه محمّد وآل محمّد صلّى الله عليه وآله، إذ علّمونا ـ قولاً وفعلاً ـ أن تتّسع قلوبنا للأضياف تكريماً وتوقيراً ومعونةً ومزيدَ محبّة وعطاء. وفي هذا الكتاب الحافل الذي نقدّمه اليوم قراءةٌ شيّقة لهذه الظاهرة الاجتماعيّة التوحيديّة في نيّتها الصالحة، وفي تفصيلاتٍ من آفاقها الكريمة.

المقدّمة

الحمد لله، وأشرف الصلاة والسلام علىٰ حبيب الله، المصطفىٰ وآله أولياءِ الله.

الضيافة في النَّفس.. حالةٌ معبِّرةٌ عن حبِّ الناس، والرغبةِ في إكرامهم. وفي المجتمع.. ظاهرةٌ تدلّ على الانفتاح والعطاء.

والضيافة بينهما.. خلُقٌ فاضلٌ كريم، يُشير إلىٰ صفاء النفس، وصدقها ومحبّتها للغَير، وإلىٰ خروجها مِن الانطواء والحرص والأنانيّة.

وهي ترتبط بجملةٍ من الخصال الكريمة، والصفات الحميدة السليمة.. إذ كُلُّ خُلقٍ له ما يُجانسه، والضيافة تَتجانس مع السخاء والكرم والجود، وتتناغم مع الرحمة والعطف والحنان، وتتجاذب مع الأُلفة والمحبّة والوئام.. هكذا في الغالب، وعلىٰ هذا دلّتْ نصوص أهلِ بيت العصمة صلوات الله عليهم:

* يقول أميرالمؤمنين عليٌّ عليه السلام: «إذا كان في رجُلٍ خَلَّةٌ رائقة فانتظروا أخَواتِها». أي إذا كان فيه خلقٌ فاضلٌ معجَب، فإنّ طبعَه مظنّةُ أن يكون فيه أمثالُه، فيُتوقَّع منه.

* ورُويَ عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ خصالَ المكارم بعضُها مقيَّدٌ ببعض، يُقسّمها الله حيث شاء، يكون

في الرجل ولا يكون في ابنه، ويكون في العبد ولا يكون في سيّده: صِدقُ الحديث، وصدق البأس، وإعطاء السائل، والمكافاة بالصنائع، وأداء الأمانة، وصِلة الرَّحِم، والتودّد إلى الجار والصاحب، وقَرْيُ الضيف، ورأسهنّ الحياء». (١)

وإذا تأمّلنا في ذلك وجدنا للضيافة نصيباً وافراً من هذه المكارم.

والملاحظ ـ أخي القارئ الكريم ـ أنّ كرم الضيافة يرتبط بالبيئات التي تمتلك فهماً معنويّاً للحياة، وتَستلهم المواقفَ الأخلاقيّة والمُثل الإنسانيّة والدينيّة.. تُؤمن بالقيم والفضائل، وبالثواب والعقاب، والحياةِ ما بعد الموت. ومن هنا.. يندر وجودُ ظاهرةِ الضيافة والكرم في البيئات المادّيّة القائمة على الأنانيّة الفرديّة والفهم المادّيّ القاصر فيما يتّصل بالإنسان والوجود.

ولا يفوتنا أن نقول: إنّ وجود الضيافة في أخلاق صفوةِ الخلق وأكثرهم بصيرةً وأوفرهم رهافة.. وهم الأنبياء والأوصياء، هو مؤشّرٌ علىٰ ما في هذه الضيافة مِن قيمٍ معنويّةٍ وإنسانيّةٍ رفيعة.

نسألُه تعالى أن يرزقَنا ما يحبُّ ويرضىٰ، ويُجنّبنا ما يبغض ويكره لعباده الصالحين.

والحمد لله ربِّ العالمين، وأزكى الصلاة والسلام على الحبيب المصطفىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلىٰ آله الهداة الميامين.

---

(١) أمالي الطوسيّ ١: ٣٠٨ ـ عنه: بحار الأنوار ٦٩: ٣٧٥ / ح ٢٣.

الضيافة في اللّغة

ضِفْتُ الرجلَ ضَيْفاً وضِيافةً: نَزلْتُ به ضَيفاً ومِلْتُ إليهِ، وقيل: نزلتُ به وصِرتُ له ضَيفاً ودنوتُ منه، أو قيل: طَلَبتُ منه الضيافة، وتَعرّضتُ له ليُضيّفَني، ومنه قول الفرزدق:

وَجدْتُ الثَّرى فينا إذا التُمِس الثَّرىٰ

ومَن هُو يَرجو فضلَه المُتضيِّفُ

وقوله أيضاً:

ومنّا خطيبٌ لا يُعاب، وقاتلٌ

ومَن هُو يَرجو فضلَه المُتضيِّفُ

و أضفْتُه: أنزَلْتُه علَيّ وقَرَيتُه، أو أجَرْتُه، وأضفْتُه إلىٰ كذا: ألجأتُه، وأضافه إلى الشيء: ضَمَّه إليه وأماله.

وتَضَيّفْتُه: نزلتُ به ضَيفاً ومِلتُ إليه، أو سألتُه أن يُضيِّفَني، وفلان يتضيّف الناسَ؛ إذا كان يَتّبعهم لِيُضيّفوه، بينما ضيّفْتُه تعني أنزلتُه منزلةَ الأضياف، أو أطعمتُه، والتَّضْييف: الإطعام.

أنشد ثعلب لأسماء بن خارجة الفَزاريّ يصف الذئب:

ورأيتُ حقّاً أنْ أُضيّفَهُ   إذ رامَ سِلْمي واتّقىٰ حَرْبي

استعار له التَّضييف، وإنّما يريد أنّه أَمَّنه وسالَمَه، والتضييف هو

جعلُ شخصٍ ضيفاً، وأضفتُ الشيءَ: أَمَلْتُه.. قال امرؤُ القيس:

فَـلَمّا دخَـلْنا أضَـفْنا ظـهورَنا   إلىٰ كلِّ حاريٍّ جديدٍ مُشَطَّبِ

أي أسْنَدْنا ظهورَنا.

واستضافَهُ: طَلَب إليه الضيافة. والضيافة تدلّ علىٰ مَيل الشـيء إلى الشيء وإضافةِ أحدٍ إلى النفس والأهل والدار، فـالكلمة أصـلٌ واحدٌ صحيح يَدُلّ علىٰ المَيل، يُقال: أضَـفتُ الشـيءَ إلى الشـيء، أمَلْتُه. والضيف من هذا، وقد سُمّيَ ضيفاً لِمَيله إلى الذي ينزل إليه.. وفي الحديث نهي عن الصلاة إذا تَضَيَّفَت الشمسُ للغُروب، يعني إذا مالت للمَغيب. فالضيف هو مَن مال إليك نازلاً بك، وهو مصدر، ولذلك استوىٰ فيه الواحد والجمع؛ لأنّه مصدرٌ فـي الأصـل، مِـن: ضافَهُ ضَيفاً، إذا نزل عنده الضيف. يقال: هذا ضَيفي، وهؤلاءِ ضَيفي، وفي لغةٍ: هي ضَيفٌ، وهو وهما وهُم وهُنّ ضَيفٌ، قال تعالى: ﴿**إنَّ هــؤلاءِ ضَـيفي**﴾[1]. ويُـجمَع عـلىٰ: أضـياف وضُـيوف وضِـيفان. والمُضيِّف أو المُضِيف هو الذي يَدْعو الضيوفَ ويُقْريهم.

ومن خلاصة التحقيق في كلمة الضيافة يُفهَم أنّها تَنطوي علىٰ معانٍ عديدة: المَيل والاستمالة، الأمن والاستجارة، الأُنس والإيناس، الدنوّ والإيواء، الطعام والإطعام، والإضافة إلى الدار والمشاركة مـع

---

(١) الحجر: ٦٨.

أهلها في مكانهم وطعامهم وحديثهم [١].

وفي التنزيل الحكيم ﴿**فأَبَوا أن يُضَيِّفُوهُما**﴾ [٢] أي: أَبَوا أن يُنزلوهما منزلةَ الأضياف [٣].

---

(١) يراجع في ذلك: كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيديّ ٧: ٦٧ ـ ٦٨، ولسان العرب، لابن منظور ٩: ٢٠٨، ومقاييس اللّغة، لابن فارس ٣: ٣٨٠، ومفردات غريب القرآن، للراغب الأصبهانيّ: ٣٠٠، وتفسير غريب القرآن، للطريحيّ: ٣٩٧ ـ باب ضَيَف، ومجمع البحرين، للطريحيّ أيضاً ـ باب ضَيَف.

(٢) الكهف: ٧٧.

(٣) مجمع البحرين، للطريحيّ ٥: ٨٧ ـ باب ضَيَف.

ضيافة الله عَزَّ وَجَلَّ

ضيافة الله (عزّوجلّ)

الضيافة في الدِّين خُلقٌ مِن أخلاق الله سبحانه وتعالىٰ الذي استضاف مخلوقاته في عالَم الوجود بالمعنى الواسع للكلمة، وهو يَستضيف عبادَه كلَّ يوم في مملكته، ويَدْعوهم إلىٰ طيّبِ أرزاقه، ويُطعمهم علىٰ موائده الكريمة الممتدّة. كما يَستضيفهم في الطاعات والعبادات آناءَ اللّيل وأطرافَ النهار، في كلِّ ساعةٍ وكلِّ يوم، علىٰ مدى الأسابيع والأشهر، ومواسم السنوات.. فَمَنْ أحبَّ اللهَ «جلّ وعلا» لبّى دعوتَه وتضيّفه، وتعلّم منه كيف يحبّ الضيافة أوّلاً، وكيف يراعي آدابها ثانياً.. سواءً كان هو ضيفاً، أم مُضيِّفاً.

* * *

ضيافة الله في الصوم

وقد استضافنا سبحانه ويستضيفنا.. ضيافةً خاصّة في شهره المبارك العظيم، شهر رمضان الذي خطب في شأنه رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في آخر جُمعةٍ من شهر شعبان، فقال:

«أَيُّها الناس، إنَّه قد أقبَلَ إليكم شهرُ اللهِ بالبركةِ والرحمةِ

والمغفرة، شهرٌ هو عندَ اللهِ أفضلُ الشـهور، وأيّـامُه أفـضلُ الأيّـام، ولياليهِ أفضلُ اللَّيالي، وساعاتُه أفضلُ الساعات، هو شهرٌ دُعِيتُم فيه إلىٰ ضيافة الله، وجُعِلتُم فيه من أهلِ كرامةِ الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومُكم فيه عبادة، وعملُكم فيه مقبول، ودعاؤُكم فيه مُستجاب».

ثم بيّن النبيُّ الأكرم صلّى الله عليه وآله ما ينبغي أنْ يُراعىٰ في هذه الضيافة الشريفة، فقال:

«فاسألوا اللهَ ربَّكُم بنيّاتٍ صادقة، وقلوبٍ طـاهرة، أنْ يُـوفّقَكم لصيامه، وتلاوةِ كتابهِ، فإنّ الشقيَّ مَنْ حُرِم من غفرانِ اللهِ فـي هـذا الشهر العظيم. و اذكروا بِجُوعِكم وعَطشِكم فيه جوعَ يومِ القـيامةِ وعَطشَه، وتَصدّقوا علىٰ فقرائكم ومسـاكـينكم، ووقّـروا كـبارَكـم، وارحموا صغارَكم، وصِلُوا أرحامَكم، واحفَظوا ألسـنتَكم، وغُـضُّوا عمّا لا يحلُّ النظرُ إليـه أبـصارَكـم، وعـمّا لا يـحلّ الاسـتماعُ إليـه أسماعَكم، وتحنّنُوا علىٰ أيتام الناس يُتحنَّنْ علىٰ أيتامِكم، وتُـوبوا إلى اللهِ مـن ذنـوبكم، وارفـعوا إليـه أيـديَكم بـالدعاء فـي أوقـات صَلَواتِكم؛ فإنّها أفضلُ الساعات، ينظرُ الله عزّ وجلّ فيها بالرحمة إلىٰ عباده..».

ثمّ قال المصطفىٰ صلّى الله عليه و آله: «أيُّها الناس، إنّه مَنْ فطّر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عِتقُ نَسَمة،

ومغفرةٌ لِما مضىٰ مِن ذنوبه». فقيل له: يا رسولَ الله، وليس كلُّنا يَقْدر علىٰ ذلك، فقال صلّى الله عليه وآله: «اتّقُوا النارَ ولو بِشِقّ تمرة، اتّقُوا النار ولو بِشربةٍ من ماء. أيُّها الناس، مَنْ حَسَّنَ مِنكم في هذا الشهر خُلقَه كان له جوازاً على الصراط يومَ تَزلّ فيه الأقدام، ومَن خفّف في هذا الشهر عمّا ملكتْ يمينُه خفّف اللهُ عنه حسابَه، ومن كفّ فيه شرَّه كفّ اللهُ عنه غضبَه يومَ يَلقاه، ومَن أكرم فيه يتيماً أكرمَه اللهُ يومَ يلقاه، ومَن وَصَلَ فيه رَحِمَه وصلَه اللهُ برحمتِه يومَ يلقاه..» (١).

إذن، فكم يجدر أنْ تُستجابَ دعوةُ هذه الضيافة المقدَّسة، ويُستفادَ من مناسبتها وفرصتها، وتُراعىٰ حُرماتُها وآدابُها وشروطها، وما أجلَّ وأسمى شروطَها!.. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله يوماً لجابر بن عبد الله الأنصاريّ رضوان الله عليه:

«يا جابر، هذا شهرُ رمضان، مَن صام نهارَه، وقام وِرداً من ليله، وعفّ بطنَه وفَرْجَه، وكفّ لسانَه، خرج من ذنوبه كخروجِه من الشهر».

فقال جابر: يا رسول الله، ما أحسنَ هذا الحديث! فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «يا جابر، و ما أشدَّ هذه الشروط!» (٢).

---

(١) فضائل الأشهر الثلاثة، للشيخ الصدوق: ٧٢/ ح ٦١.

(٢) الكافي، للكلينيّ ٤: ٨٧ ـ باب أدب الصائم / ح ٢.

و جاء عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «الصيام اجتناب المحارم، كما يمتنع الرجلُ من الطعام والشراب»[١]، ورُوي عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها: قولُها: «ما يصنع الصائمُ بصيامه إذا لم يَصُن لسانَه وسمعَه وبصرَه وجوارحَه؟!»[٢].

فهذه هي ضيافةُ الله جلَّ شَأنُه، فكيف يا تُرى تكون مواقعُنا فيها؟! وما هي مسؤوليّاتنا عندها؟!.. يقول أحد العلماء الأعلام في إحدى محاضراته حول (ضيافة الله): طبقاً لما ورد في خطبة الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم، فإنّ جميع عباد الله هم في شهر رمضان ضيوف الله تبارك وتعالى.. فما عليكم إلّا أن تفكّروا في إصلاح أنفسِكم، وتتوجّهوا إلىٰ خالقكم. اِستغفروا الله من زلّاتكم، إذا كنتم ـ لا سَمَح الله ـ قد ارتكبتُم ذنباً فتوبوا إليه. إيّاكم ـ في هذا الشهر ـ أن تصدر منكم غيبة أو تهمة أو نميمة، أو أيّ ذنب، لأنّكم بذلك تُسيئون آدابَ الضيافة، وتدنّسون أنفسَكم بالمعاصي وأنتم ضيوفُ الله سبحانه وتعالى. لقد دُعيتُم إلى الضيافة، فهَيِّئوا أنفسكم لهذه الضيافة العظيمة، و تَحلَّوا بالآداب الصوريّة الظاهرية على

---

(١) بحارالأنوار، للمجلسيّ ٩٦: ٢٩٤ /ح ٢١ ـ عن كتاب الغارات، لإبراهيم بن محمّد الثقفيّ.

(٢) بحارالأنوار ٩٦: ٢٩٥ /ح ٢٥ ـ عن: كتاب دعائم الإسلام، للقاضي النعمان بن محمّد التميميّ ١: ٢٦٨.

الأقلّ.. التزموا بهذه الآدابِ الأوّليّة على الأقلّ، فكما تُمسكون عن الطعام والشراب فأمسكوا عن المعاصي، واحفَظُوا ألسنَتكم عن الأقوال السيّئة، وأَخرجوا من قلوبكم كلَّ الصفات القبيحة.

أنتم في هذا الشهرالشريف مَدْعوّونَ لضيافة الله سبحانه وتعالى، فإن لم تزددْ معرفتكم بالله فاعلموا أنّكم لم تُلبّوا الدعوةَ كما ينبغي، ولم تَقوموا بمُستلزمات الضيافة ومقتضياتها).

إنّ ضيافة الله عزّوجلّ لنا لا تكون إلّا على بساط الطاعة.. فيها الجوعُ المُربّي للنفس: على الصبر، وعلى الرحمة بالمساكين، وعلى كلّ الأخلاق الطيّبة.. وفيها الذِّكرُ المربّي للقلب: على التعلّق بالله عزّوجلّ وعبادته.. وفيها الاستغفار المربّي للروح: على السموّ والصفاء والارتقاء إلىٰ درجات القرب منه جلَّ وعلا. فضيافتُه جلّ شأنه دعوةُ تشريف.. يقول ابن طاووس رضوان الله عليه: إعلم أنّ أصلَ علّةِ التكليف أنّه تشريفٌ لعبادةِ مَن يستحقُّ العبادة؛ لأنّه جلّ جلاله أهلٌ لها، فهذه العلّة الأصليّة في التكاليف الإلهيّة [1].

ولعلّ من أطيب موائد ضيافة شهر الله، الاستغفار في أسحاره الشريفة.. حيث صفاء اللّيل وقداسة الوقت وسموّ المطلب، فإذا دَعَونا بدعاء مولانا الإمام السجّاد عليّ بن الحسين عليه السلام خامر قلوبَنا الأملُ والرجاء، و تعلَّمْنا التوبةَ والعبوديّة الرفيعة:

---

(١) إقبال الأعمال: ٤.

«عَظُم يا سيّدي أَمَلي، وساءَ عَمَلي، فأَعطِني، مِن عفوِك بمقدارِ أملي، ولا تُؤاخِذْني بأسوأ عملي، فإنّ كرمَك يَجِلُّ عن مُجازاةِ المذنبين، وحِلْمَك يَكبُر عن مكافاةِ المقصّرين. وأنا يا سيّدي عائذٌ بِفضلِك، هاربٌ مِنكَ إليك، متنجِّزٌ ما وعَدْتَ من الصَّفحِ عمّن أحسنَ بكَ ظنّاً. وما أنا يا ربِّ؟! وما خطَري؟! هَبْني بفضلك، وتصدّقْ علَيَّ بِعفوك. أيْ ربِّ جلّلني بسِتْرك، واعفُ عن توبيخي بكرمِ وجهِك» (١).

«اللّهمّ إنّ لك حقوقاً فتَصدَّقْ بها علَيّ، و للناسِ قِبَلي تَبِعاتٌ فَتحمّلْها عنّي، وقد أوجبتَ لكلِّ ضيفٍ قِرىً وَأنا ضيفُك، فاجعَلْ قِرايَ اللّيلةَ الجنّة، يا وهّابَ الجنّة، يا وهّابَ المغفرة» (٢).

وتنصرم ليالي شهر رمضان المباركة وأيّامه، أو تكاد.. فيمسك المؤمن الصحيفة السجّاديّة ليقرأ فيها دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في وداع شهر رمضان، وتمرّ عليه الفقرات فيتلوها كئيباً حزيناً علىٰ فراق ضيفه العزيز:

«وقد أقامَ فينا هذا الشهرُ مُقامَ حَمْد، وصَحِبَنا صُحبةَ مَبرور،

---

(١) من أدعية السحر في شهر رمضان، المسمّى بدعاء أبي حمزة الثُّماليّ ـ إقبال الأعمال: ٦٧.

(٢) من أدعية السحر في ليالي شهر رمضان ـ مصباح المتهجّد ٤١٨.

وأربَحَنا أفضلَ أرباحِ العالَمين، ثمّ قد فارَقَنا عند تَمامِ وقتِه، وانقطاع مدتّهِ، ووفاءِ عَددِه.

فنحن مُودِّعوه وِداعَ مَن عزّ فِراقُه علينا، وغمَّنا وأوحشَنا انصرافُه عنّا، ولَزِمَنا له الذِّمامُ المحفوظ، والحرمةُ المَرْعيّة، والحقُّ المقضِيّ، فنحن قائلون:

السلامُ عليكَ يا شهرَ اللهِ الأكبر، وعيدَ أوليائِه. السلامُ عليكَ مِن شهرٍ قَرُبَت فيه الآمال، ونُشِرت فيه الأعمال. السلام عليكَ مِن قرينٍ جَلّ قَدْرُه موجوداً، وأفجعَ فَقْدُه مفقوداً، ومرجوٍّ آلَمَ فراقُه.

السلامُ عليكَ مِن أليفٍ آنسَ مُقْبِلاً فسَرّ، وأوحشَ مُنْقَضياً فمضّ. السلامُ عليكَ مِن مجاورٍ رقّت فيه القلوب، وقلّت فيه الذنوب...

السلامُ عليكَ مِن مطلوبٍ قبلَ وقتِه، ومَحزونٍ عليه قبل فَوتِه. السلام عليك كم مِن سُوءٍ صُرِف بك عنّا، وكم مِن خيرٍ أُفِيض بك علينا.

السلامُ عليك، ما كان أحرَصَنا بالأمسِ عليك، وأشدَّ شوقَنا غداً إليك! السلامُ عليك وعلىٰ فضلِك الذي حُرِمْناه، وعلىٰ ماضٍ مِن بركاتِك سُلِبناه..» [1].

* * *

(١) الصحيفة السجّاديّة المباركة ـ الدعاء ٤٥.

درسٌ واعتبار

في الضيافة الربّانيّة الشريفة أملٌ ورحمة، وعطفٌ ورعاية، يتعلّم فيها العبدُ كيف يأوي إلىٰ ظلال الرحمة، فيدعو إخوانَه المؤمنين إلىٰ مائدته، ويقدّم لهمُ الإفطار حبّاً لهم، ويُحْسن إلى الفقراءِ ويُعين المساكين. يرحم كما يُرحَم وكما يُحبّ أنْ يُرحَم، ويُكرِم كما يُكرَم ويُحبّ أنْ يُكرَم، وَيستضيف كما يُستضاف ويُحبّ أنْ يُستضاف، ﴿وأَحسِنْ كَمٰا أحسنَ اللهُ إليك﴾ [1].. قيل للإمام الحسنِ المجتبىٰ عليه السلام: لأيِّ شيءٍ لا نراكَ تَردُّ سائلاً وإنْ كنتَ علىٰ فاقة؟ فقال: «إنّي للهِ سائل، وفيه راغب، وأنا أستحي أنْ أكونَ سائلاً وأَرُدَّ سائلاً، وإنّ الله تعالىٰ عَوّدَني عادةً أنْ يُفيضَ نِعمَه علَيّ، وعوّدتُه أنْ أُفيضَ نِعمَه على الناس، فأخشىٰ إنْ قَطَعتُ العادة، أنْ يَمنعَني العادة».

ثمّ أنشأ يقول:

إذا ما أتاني سائلٌ قلتُ: مرحباً
بِمَن فضلُه فرضٌ علَيَّ مُعَجَّلُ

---

(١) سورة القصص: ٧٧.

ومَن فضلُه فضلٌ علىٰ كلِّ فاضلٍ
وأفضلُ أيّامِ الفتىٰ حِينَ يُسألُ (١)

* * *

ضيافة الله في الحجّ

ويستضيف الرحمانُ جلّ جلاله عبادَه كلَّ عام في موسم الحجّ عند المشاهد المعظَّمة، والمشاعر المكرّمة، يَدْعوهم إلىٰ ضيافته فيفزعون إلى الوفادة عليه تائبين خاشعين.. قال الإمام عليّ بن موسى الرضا صلوات الله عليه: «علّةُ الحجّ الوفادةُ إلى الله تعالى، وطلب الزيادة، والخروجُ مِن كلّ ما اقترف، وليكون تائباً ممّا مضىٰ، مستأنِفاً لِما يَستقبل» (٢).

ولهذه الضيافة المشرِّفة آدابٌ تُراعىٰ في ساحة حضرة المضيِّف جلّ وعلا.. جاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «ما يُعبأُ بِمَن يؤمّ هذا البيت إذا لم يكن فيه ثلاثُ خصال: ورعٌ يَحجزه عن معاصي الله تعالىٰ، وحِلمٌ يملك به غضبَه، وحُسنُ الصحابة لِمَن

(١) نور الأبصار، للشبلنجيّ: ٢٤٧ ـ ٢٤٨.
(٢) عيون أخبار الرضا (ع)، للشيخ الصدوق ٢: ٩٠ / ح ١ ـ الباب ٣٣.

صَحِبَه»[1]، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إذا أردتَ الحجَّ فجرِّدْ قلبَك لله مِن قَبل عزمكَ مِن كلّ شاغل، وحَجْبِ كلِّ حاجب.. وَلَبِّ بمعنىً إجابةٍ صافيةٍ خالصةٍ زاكيةٍ لله عزّوجلّ في دعوتك، مُتَمسّكاً بالعروة الوثقىٰ.. وادخُلْ في أمانِ اللهِ وكنَفِه وستره وكَلائِهِ من متابعة مرادك بدخولك الحرم.. وزُرِ البيتَ متحفِّفاً لتعظيم صاحبه، ومعرفة جلاله وسلطانه»[2]. قال الشيخ الصدوق: وإنّما يُكره الصيام في أيّام التشريق «لأنّ القوم زُوّار الله عزّوجلّ، فَهُم في ضيافته، ولا ينبغي لضيفٍ أن يصوم عند مَنْ زاره وأضافه»[3].

إنّه لَيجدرُ بهذه الضيافة الرحمانيّة أن تكون الوفادةُ خالصةً لله جلّ شأنه، وأن يكون الحاجُّ ضيفَ الله سبحانه حقّاً، لا تكون في قلبه ضميمة غير طاعة الله وطلب رضوانه.. قال الإمام الصادق عليه السلام: «الحجّ حجّان: حجٌّ لله، وحجٌّ للناس. فمَن حجَّ لله كان ثوابُه على الله الجنّة، ومَنْ حجّ للناس كان ثوابه على الناس يومَ القيامة»[4].

وإذا لم تُراعَ آداب هذه الضيافة الكريمة وشروطها كان الحجُّ مردوداً، محروماً صاحبُه من الاستضافة الرحمانيّة.. قال الإمام

(١) الخصال، للشيخ الصدوق: ١٤٨ / ح ١٨٠ ـ باب الثلاثة.
(٢) مصباح الشريعة، للإمام الصادق (ع) ـ باب الحجّ: ٤٧.
(٣) مَن لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٧ ـ ١٩٨.
(٤) ثواب الأعمال، للشيخ الصدوق ـ باب ثواب الحجّ والعمرة: ٥٠.

الصادق عليه السلام: «إذا اكتسب الرجلُ مالاً مِن غير حِلِّه ثمّ حجّ فلبّىٰ نُودي: لا لَبّيك ولا سَعْدَيك، وإن كان مِن حِلِّه فلبّىٰ نُودي: لبّيكَ وسَعْدَيك» (١).

إنّ الأمر في هذه الضيافة خطير، إذْ لابدّ من أنْ ينظر الساعي إلى الحجّ في شأن وِفادته، ويلاحظَ حاله قبل ضيافته، ويتحرّز في صحّة أعماله، ويتّقيَ الله ويخشاه، بل يتهيّب من أن يكون مردوداً في حجّه.. قال مالك بن أنس: حججتُ مع الصادق عليه السلام سنة، فلمّا استوَتْ به راحلتُه عند الإحرام، كان كلّما همّ بالتلبية انقطع الصوتُ في حَلْقه، وكاد أن يَخرّ من راحلته، فقلت: قُل يا ابنَ رسول الله، و لابُدّ لك من أن تقول، فقال: «يا ابن أبي عامر! كيف أجسرُ أن أقول: لبّيك اللّهمَّ لَبّيك، و أخشىٰ أنْ يقول عزّوجلّ لي: لا لَبّيكَ ولا سَعْدَيك» (٢).

هذا ما يَحسُن أنْ تكون عليه حالُ مَن يَفد إلىٰ هذه الضيافة الجليلة، مستفيداً منها الآدابَ الأخلاقيّة في ضيافته مع الناس، من الدعوة الصادقة، والاستجابة الوفيّة، والتحرّز في المال الحلال.

* * *

---

(١) تهذيب الأحكام ٦: ٣٦٨ /ح ١٠٦٤؛ وسائل الشيعة، للحرّ العامليّ ١٢: ٦٠ /ح ٢٢٠٤٩.

(٢) علل الشرائع، للشيخ الصدوق: ٢٣٥/ح ٤ ـ الباب ١٦٩.

استضافة فريدة

إذا كان الله تبارك وتعالى قد استضاف الحجيج منذ أن بُنِيَت الكعبة المعظّمة.. ويستضيفهم إلىٰ ما يشاء، حولها.. يطوفون ويُهلّلون ويُلبّون، فإنّه جلّ وعلا كانت له ضيافة خاصّة في جوف الكعبة، لم ولن تتكرّر قطُّ أبداً، تلك هي ضيافته المقدّسة للمولود الشريف الإمام عليّ بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه.

ذكر ذلك عشرات الرواة، وثبّته عشراتُ المؤرّخين والرجاليّين وأصحاب السِّير والأعلام، مِن ذلك ما رواه: الصحابيّ جابر بن عبدالله الأنصاريّ مرفوعاً إلىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله، والإمام أبو جعفر الباقر محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، والإمام أبوعبدالله الصادق جعفر بن محمّدابن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ـ كما روى الشيخ الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ) في (أماليه/ المجلس ٤٢) بسنده إلى ابن شاذان محمّد بن أحمد بن عليّ القميّ (من أعلام القرن الخامس) ـ، كذا روىٰ هذا الخبر: ابن شهرآشوب في (مناقب آل أبي طالب)، والشيخ الصدوق في كتبه: (معاني الأخبار) و(علل الشرائع) و(الأمالي)، والطبري الإمامي في (بشارة المصطفى لشيعة المرتضىٰ)..

عن ابن شاذان بالأسانيد: عن الزهريّ ـ وهو من مشاهير رواة العامّة، عن عائشة. وعن أنس بن مالك، عن العبّاس بن عبدالمطّلب. وعن أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق، عن آبائه عليهم السلام:

● كان العبّاس بن عبدالمطّلب ويزيد بن قعنب جالسَين ما بين فريقِ بني هاشم إلى فريق عبد العُزّى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أَتَت فاطمة بنت أسد بن هاشم أُمّ أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت حاملاً بأمير المؤمنين عليه السلام لتسعة أشهر، وكان يوم التمام.

قال: فوقَفَت بإزاء البيت الحرام، وقد أخذها الطَّلْق، فرمت بطرفها نحو السماءِ وقالت:

أَيْ رَبّ، إنّي مؤمنةٌ بك، وبما جاء به من عندك الرسل، وبكلّ نبيٍّ من أنبيائك، وبكلِّ كتابٍ أنزَلْت، وإنّي مصدّقة بكلامِ جَدّي إبراهيمَ الخليل، وأنّه بنى بيتَك العتيق، فأسألُك بحقِّ هذا البيت ومَن بناه، وبِهذا المولودِ الذي في أحشائي، الذي يكلّمني ويُؤنسني بحديثه، وأنا موقنةٌ أنّه إحدى آياتِك ودلائلك؛ لَمّا يَسَّرتَ علَيَّ ولادتي.

قال العبّاس بن عبدالمطّلب ويزيد بن قعنب: لمّا تكلّمت فاطمة بنت أسد ودعت بهذا الدعاء، رأينا البيت قد انفتح مِن ظَهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت من أبصارنا، ثمّ عادت الفتحة والتزقت بإذن الله تعالى.

فرُمْنا أن نفتح الباب لِيَصل إليها بعضُ نسائنا، فلم ينفتح الباب، فعَلِمْنا أنّ ذلك من أمر الله تعالىٰ.

وبَقِيَت فاطمة في البيت ثلاثة أيّام به.

قال: وأهل مكّة يتحدّثون بذلك في أفواه السكك، وتتحدّث المخدَّرات في خدورهنّ.

قال: فلمّا كان بعد ثلاثة أيّام، انفتح البيت من الموضع الذي كانت دخلت فيه، فخرجت فاطمة وعليٌّ علىٰ يَدَيها، ثمّ قالت:

معاشرَ الناس، إنّ الله عزّ وجلّ اختارَني مِن خَلْقه، وفضّلني على المختارات ممّن مضىٰ قبلي. وقد اختار الله آسيةَ بنت مزاحم، فإنّها عبَدَت اللهَ سِرّاً في موضعٍ لا يحبّ أن يعبد الله فيه إلّا اضطراراً، ومريم بنت عمران حيث اختارها الله، ويُسِّرَت عليها ولادة عيسىٰ، فهزّت الجذعَ اليابس من النخلة في فلاةٍ من الأرض حتّى تساقط عليها رطباً جنيّاً.

وإنّ الله تعالى اختارني وفضّلني عليهما، وعلىٰ كلّ مَن مضى قَبلي من نساء العالَمين؛ لأنّي وَلَدتُ في بيته العتيق، وبَقِيتُ فيه ثلاثة أيّام، آكلُ مِن ثمار الجنّة وأرزاقها، فلمّا أردتُ أن أخرجَ ووَلَدي علىٰ يَدَيّ هتف بي هاتفٌ وقال:

«يا فاطمة، سَمِّيهِ عليّاً فأنا العليُّ الأعلىٰ، وإنّي خلقتُه من قُدرتي

وعِزّ جلالي، وقِسط عدلي، واشتققتُ ٱسمَه مِنِ ٱسمي، وأدّبتُه بأدبي، وفَوّضتُ إليه أمري، ووقّفته علىٰ غامض عِلْمي، ووُلِدَ في بيتي، وهو أوّلُ مَن يؤذِّنُ فوقَ بيتي، ويكسر الأصنامَ ويرميها على وجهها، ويعظّمُني ويُمجّدني ويُهلّلني، وهو الإمام بعد حبيبي ونبيّي، وخِيَرتي من خَلْقي محمّدٍ رسولي، ووصيُّه، فطُوبى لِمَن أحبّه ونصره، والويلُ لمَن عصاه وخذله، وجَحَد حقَّه» [1].

❊ ❊ ❊

درس آخر

مَن أراد أن يتخلّق بأخلاق الله جَلّ شأنه قام باستضافة الحجيج وإكرامهم؛ لأنّهم ضيوفُ الله تبارك وتعالى، ونهض بقضاء حوائجهم ليتفرّغوا للعبادات وأداء المناسك الشريفة، فعسىٰ أن يشمله الله سبحانه بخالص دعواتهم، فهُمُ الوافدون عليه جلّ شأنه، والساعون إلىٰ زيارة ساحة طاعته، وهم ضيوفُه، والضيفُ لا يخلو من أن يصيب هديّة أو كرامة.

---

(١) عن كتاب: وليد الكعبة، إعداد وتقديم السيّد محمّد رضا الحسينيّ الجلاليّ، وهو حاوٍ عشرة كتب في مولد أمير المؤمنين عليه السلام، فضلاً عن إشاراته إلىٰ عددٍ كبير من المصادر في هذا الموضع الشريف.

ولقد كان الإمام عليّ بن الحسين زينُ العابدين عليه السلام لا يسافر إلّا مع رِفقةٍ لا يعرفونه، ويشترط عليهم أن يكون مِن خَدم الرفقة فيما يحتاجون إليه، فسافر مرّةً مع قوم فرآه رجلٌ فَعَرفه، فقال لهم: أتدرون مَن هذا؟! فقالوا: لا، قال: هذا عليُّ بنُ الحسين عليه السلام. فوثبوا فقبّلوا يدَه ورِجلَه، وقالوا: يا ابنَ رسول الله، أردتَ أن تُصْلِيَنا نارُ جهنّم لو بدَرَت منّا إليك يدٌ أو لسان، أما كنّا قد هلكنا آخِرَ الدهر؟! فما الذي يحملُك علىٰ هذا؟ فقال: «إنّي كنتُ قد سافرتُ مرّةً مع قومٍ يَعرِفونني، فأعطَوني برسول الله صلّى الله عليه وآله ما لا أستحقّ به، فإنّي أخاف أن تُعطوني مِثلَ ذلك، فصار كتمانُ أمري أحبَّ إليّ» [1].

وهكذا عبادُ الله، يخدمون ضيوفَه الكرام في الطاعات، ويستضيفون الناس يُعينونهم على ذِكْر الله وتمجيده واستنزال بركاته، وهاطل رحماته.

* * *

(١) عيون اخبار الرضا (ع) ٢: ١٤٥/ح ١٣ ـ الباب ٤٠.

ضيافة الله في المدينة المنوّرة

لقد دعا الله عزّوجلّ عباده إلىٰ ساحة طاعته، ومَأدُبة ضيافته.. وهي الضيافة التي تقتضي من العبد أن يعظّمَ فيها شعائرَ الله تبارك وتعالىٰ، ويتزيّنَ بالآداب الظاهريّة والباطنية، ويتحلّىٰ بالتوجّهات المعنويّة. ومِن مَحالِّ طاعة الله وساحات جلاله قبرُ نبيّه المصطفى الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقبور الآل أهلِ بيته وأعزّتِه المكرَّمين صلوات الله عليهم أجمعين، حيث يكون زائر هذه القبور المطهَّرة زائراً لبيوت الله التي أَذِن أن تُرفعَ ويُذكَر فيها اسمُه.. قال أنس بن مالك خادم الرسول صلّى الله عليه وآله، وكذا بُريدة: قرأ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: ﴿**فِي بُيوتٍ أَذِنَ اللهُ أنْ تُرفَعَ ويُذكَرَ فِيهَا آسمُه يُسبِّحُ لَه فِيها بالغُدُوِّ والآصال**﴾ [1]، فقام إليه رجلٌ فقال: أيُّ بيوتٍ هذه يا رسول الله؟! فقال: «بيوتُ الأنبياء»، فقام إليه أبوبكر فقال: يا رسول الله، هذا البيت منها؟ ـ وأشار إلىٰ بيت عليٍّ وفاطمة عليهما السلام ـ فقال صلّى الله عليه وآله: «نَعَم مِن أفاضِلِها» [2].

---

(١) سورة النور: ٣٦.

(٢) الدرّ المنثور، للسيوطيّ ٥: ٥٠؛ كنزالفوائد، للكراجكيّ: ١٨٥.

وفي هذه البيوت المنوّرة، قال دعبل الخزاعيّ رضوان الله عليه يرثي أهلَها:

مَدارسُ آياتٍ خَلَتْ مِن تـلاوةٍ   ومَنزلُ وحـيٍ مُـقفِرُ العَـرَصاتِ
لِآلِ رسولِ الله بالخِيفِ مِن مِنىٰ   وبالبيتِ والتعريفِ والجَـمَراتِ
ديـارُ عـليٍّ والحسـينِ وجـعفرٍ   وحَمزةَ والسـجّادِ ذِي الثَّـفِناتِ
مـنازلُ كـانت للـصلاةِ وللـتُّقىٰ   وللصومِ والتـطهيرِ والحَسَـناتِ
مـنازلُ وحـيِ اللهِ مَـعدِنِ عـلمِهِ   سـبيلُ رشـادٍ واضـحُ الطُّـرُقاتِ

إنّ زائر هذه الديار هو زائرٌ لرسول الله صلّى الله عليه وآله، بل زائرٌ لله تباركت آلاؤه، كيف لا وزيارة المؤمِن لأخيه المـؤمن هـي زيارةٌ لله عزّوجلّ وضيافةٌ عنده، ألم يقلِ المصطفى صلّى الله عليه وآله»: «مَن زار أخاه في بيتِه قال الله عزّوجلّ له: أنتَ ضيفي وزائري، علَيّ قِراك، وقد أوجبتُ لك الجنّة بحبِّك إيّـاه» [1]، ألم يـقل الإمـام الصادق عليه السلام: «مَن زار أخاه في الله قال الله عـزّوجلّ: إيّـاي زرتَ و ثوابُك عَلَيّ، ولستُ أرضىٰ لك ثواباً دونَ الجنّة» [2]؟!

فكيف بِمَن يزورُ أشرفَ الأنبياء والمرسَلين، وأهلَ بيته الكرامَ الطاهرين صلواتُ الله عليه وعليهم أجمعين؟! أيُّ شـرفٍ سـيناله،

(١) الكافي ٢: ٢٧٦ ـ باب زيارة الإخوان / ح ٦.
(٢) الكافي ٢: ٢٧٦ ـ باب زيارة الإخوان / ح ٤.

وأيّ كرامةٍ من الله تعالىٰ سيُحبى بها، وأيّ ضيافةٍ كـريمةٍ عـلى الله سيَحظى بها؟! إنّ هذا لَما يستدعي المؤمنَ أن يجدّ السعي في زيارةِ الله جلّ وعلا بزيارة البيوت الشريفة المقدّسة التي أَذِنَ أن تُرفَع، وأن يَحرصَ علىٰ نوال ضيافة الله جلّت عظمته بالنزول عند هذه البيوت الكريمة، وأن يعلَم أنّه في عين الله ورعايته، وفي موضع إكرام الله وعنايته.. فمؤسفٌ بعد أن يحضَر فيها أنْ يُهينَ نفسَه بتركِ الآداب المعنويّة، وخسارةٌ أنْ يُوفَّقَ للوصول إلىٰ تلك الأماكن المشرَّفة ثمّ يُسيء إلى زوّار الله وضيوفه، بدلَ أن يسعىٰ في إكرامهم وتوقيرهم وقضاء حوائجهم.

* * *

ضيافة الله في الصلاة

ويستضيفنا الله تعالىٰ في الصلاة.. فإن توجَّهْنا إلى القبلة كنّا قد توجّهنا إلى الله، وإنْ صلَّينا كنّا قد طَلَبنا زيـارةَ الله وضـيافته.. قـال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إنّك مادُمتَ في الصلاة فإنّكَ تقرع بابَ المَلِك الجبّار، ومَن يُكثرْ قرعَ بابِ المَلكِ يُفتَحْ له» [1]. فإذا فُتح

(١) من وصاياه صلّى الله عليه وآله لأبي ذرّ رحمه الله، مكارم الأخـلاق، للشـيخ رضـيّ الدين الحسن بن الفضل الطبرسيّ: ٤٦١.

الباب ودخل المصلّي في رحاب رحمة الله كان في ضيافته عزّوجلّ.. يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إنّ ضيف الله عزّوجلّ: رجلٌ حجّ واعتمر؛ فهو ضيفُ الله حتّى يرجع إلىٰ منزله. و رجلٌ كان في صلاته؛ فهو في كَنَف الله حتّى ينصرف. ورجلٌ زار أخاه المؤمنَ في الله عزّوجلّ، فهو زائرُ الله في عاجل ثوابه وخزائن رحمته»[١].

* ويقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «لو يعلمُ المصلّي ما يَغشاه من جلال الله، ما سَرَّه أن يرفع رأسه من السجود»[٢]. وكان يعلم عليه السلام ما يهبط عليه من جلال الله المهيب، فيُغشىٰ عليه.. روى أبو الدرداء أنّه رأى الإمام عليَّ بن أبي طالب عليه السلام بِشُوَيحطات النجّار وقد اعتزل عن مَواليه، واختفى ممّن يَليه، فركع ركعات، ودعا دَعَوات، وناجىٰ مُناجاة، ثمّ أمعن في البكاء. قال أبو الدرداء: فلم أسمع له حسّاً ولا حركة، فقلتُ: غلَبَ عليه النوم لطول السهر، أُوقظُه لصلاة الفجر، فأتيتُه فإذا هو كالخشبة المُلقاة، فحرّكتُه فلم يتحرّك، فقلت: إنّا للهِ وإنّا إليه راجعون، مات واللهِ عليُّ بن أبي طالب! فأتيتُ منزلَه مبادراً أنعاهُ إليهم، فقالت فاطمة عليها السلام:

(١) الخصال: ١٢٧/ ح ١٢٧ ـ باب الثلاثة.

(٢) الخصال ٦٣٢ ـ باب الأربعمائة.

«هيَ واللهِ ـ يا أبا الدرداء ـ الغشيةُ التي تأخذه من خشية الله» (١).

تلك هي الضيافة المقدَّسة، حيث المعرفةُ بمقام المضيِّف سبحانه وتعالى، وقد كان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام إذا توضّأ ارتَعدَت مفاصله، واصفرّ لونه، فقيل له في ذلك فقال: «حقّ علىٰ كلّ مَن وقف بين يَدَي ربِّ العرشِ أن يصفرَّ لونُه، وترتعدَ مفاصله». وكان عليه السلام إذا بلغ بابَ المسجد رفع رأسَه و قال: «إلهي؛ ضيفُك ببابِك، يا محسن قد أتاك المُسيء، فتجاوَزْ عن قبيحِ ما عندي بجميلِ ما عندَك، يا كريم» (٢).

* وروى أنسُ بن مالك قال: خرجتُ مع الحسين عليه السلام فأتى قبر خديجةَ فبكىٰ، ثمّ قال: «إذهبْ عنّي يا أنس». قال أنس: فاستخفيتُ عنه، فلمّا طال وقوفه في الصلاة سمعتُه يقول:

يا ربِّ يا ربِّ أنتَ مَولاهُ ... فارحَمْ عُبَيداً إليكَ مَلْجاهُ
يا ذا المَعالي عليكَ مُعتمَدي ... طُوبىٰ لِمَن كنتَ أنتَ مَولاهُ
طوبىٰ لِمَن كان خائفاً أرِقاً ... يشكو إلىٰ ذي الجَلالِ بَلْواهُ
و ما بِه عِلَّةٌ ولا سَقَمٌ ... أكثرُ مِن حُبِّه لِمَولاهُ
إذَا آشتكىٰ بثَّه وغُصَّتَهُ ... أجابَه اللهُ ثُمّ لَبّاهُ

(١) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ١: ٣٨٩.
(٢) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ٤: ١٤.

إذَا آبـتُلِي بـالظلامِ مُـبْتَهِلاً   أكـــرمَهَ اللهُ ثُـــمَّ أدْنـــاهُ

يقول أنس: فنُودِي:

لَـبّيكَ لبّـيكَ أنتَ فـي كَـنَفي   وكـلُّ مـا قـلتَ قـد عَـلِمناهُ

صــوتُكَ تَشـتاقُه مَـلائكتي   فحَسْبُك الصوتُ قد سَمِعناهُ (١)

* وكان الإمامُ زين العابدين عليه السلام إذا قام في صلاته غَشِيَ لونَه لونٌ آخر، و كان قيامُه في صلاته قيامَ العبد الذليل، بين يـدَي المَلِك الجليل (٢).. وكان إذا توضّأ للصلاة اصفرّ لونه، فيقول له أهلُه: ما الذي يغشاك؟! فيقول: «أتدرونَ لِمَن أتأهّبُ للقيامِ بينَ يَدَيه؟!» (٣).

وإذا كان أحدُ الشعراء يفتخر في لقائهِ بالله تعالى فـي الصـلاة، وضيافتِه عنده في كلّ وقت فيقول: أنا ألقاهُ متى وحين أُحبُّ.. فإنّ معرفةَ آداب اللّقاء وما يَليق بالضيف في محضر القُدْس أمرٌ مـهمّ؛ لأنّ المضيِّف هو الله المَلِك الجبّار، القادرُ المقتدر سبحانه جَلّ وعلا.

ومن هذه الآداب: التلبية لندائه تعالىٰ، إذا قال المؤذّن: «اَللهُ أكبر» يفزع العبدُ إلى الصلاة وقد استعدّ لها بالوضوء والتوجّه والخشوع وإسبال الأجفان أمارةً عن الخضوع و التذلّل، وتَهيُّؤاً لإفاضة العين

(١) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ٤: ٦٩.

(٢) الخصال: ٥١٧ /ح ٤ ـ باب العشرين وما فوقه.

(٣) بحار الأنوار ٤٦: ٧٤ /ح ٦١ ـ عن إعلام الورى ١: ١٥٣ والإرشاد: ٢٧١. وورد بلفظ آخر في الفصول المهمّة، لابن الصبّاغ المالكيّ: ٢٠١.

بدموع التوبة والشوق. قالت عائشة: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يُحدّثُنا ونُحدّثه، فإذا حضرتِ الصلاة، فكأنّه لم يَعرفنا و لم نعرفُه [(١)]، وجاء عن الإمام عليٍّ عليه السلام، أنّه قال: «مَنْ لم يأخذْ أُهبةَ الصلاةِ قَبلَ وقتِها فما وَقَّرَها» [(٢)].

* * *

ويستضيفنا الله تبارك شأنه في حياتنا كلّها، في أيام وليالي طاعته، كليالي القدر الشريفة، وأيّامه المباركة كمنتصف رجب، ومنتصف شعبان، والعيدَين وعيد الغدير الأغرّ. والجمُعات وشهر رمضان.. وعلىٰ مدى العُمر؛ إذ نحنُ مخلوقون لعبادته، وهو القائل عزّ مِن قائل: ﴿**وما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ اِلّا لِيَعْبُدونِ**﴾ [(٣)].. فالمؤمنُ مُبتغاه أن يكون على الدوام في ضيافة المولىٰ سبحانه وتعالىٰ.. يدعو أميرُ المؤمنين عليه السلام فيقول: «يا ربِّ يا ربِّ يا ربِّ، أسألُكَ بِحقِّكَ وقُدسِك، وأعظمِ صفاتِكَ وأسمائِك، أن تجعلَ أوقاتي مِن اللَّيلِ والنهارِ بِذِكْرِكَ معمورة، وبخدمتِكَ مَوصولة..» [(٤)].

---

(١) بحارالأنوار ٨٤: ٢٥٨ / ح ٥٦ ـ عن عُدَّة الداعي، لابن فهد الحلّيّ.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢٠ : ٣٢٩/ الحكمة ٤٨. الأُهْبة : العُدّة.

(٣) سورة الذاريات: ٥٦.

(٤) من الدعاء المعروف بدعاء كميل ـ يراجع كتب الأدعية، مثل: الإقبال، لابن طاووس ⇐

ولا يفوتنا أن نذكّر أنفسَنا أنّ مِن شأنِ الضيافة أن يُقدَّم على سُفرتها الطعامُ الشهيّ، والشرابُ الهنيّ، ومأدبةُ الله جَلَّ وعلا كتابُه الحكيم فيه غذاءُ الروح والقلب، ومعاني الإيمان والتقوىٰ، والمعارفُ النيّرة.. يقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: «القرآن مَأْدُبةُ الله، فتعلّموا مأدبتَه ما ٱستطعتم» (١).

وعلىٰ أية حال، فمازِلْنا في طاعة الله جلّ وعلا وفي خدمته وعبادته كنّا ضيوفَه.. أليس هو القائل عزّ من قائل في حديثٍ قدسيٍّ شريف: «أهلُ طاعتي في ضيافتي، وأهلُ شكري في زيادتي، وأهلُ ذِكْري في نعمتي، وأهلُ معصيتي لا أُويِسُهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبُهم، وإن دَعَوا فأنا مُجيبُهم، وإن مرِضُوا فأنا طبيبُهم..» (٢).

* * *

التخلّق بأخلاق الله سبحانه وتعالىٰ

يستضيفنا الله جَلّت رحمتُه كلَّ يوم وكلَّ ساعة، وكلَّ لحظة، على

⇐ ص ٢٢٢ ـ في بعض أدعية ليلة النصف من شعبان. و البلد الأمين، للكفعميّ ٢٦٥ ـ في أعمال ليلة النصف من شعبان.

(١) بحار الأنوار ٩٢: ١٩/ح ١٨ ـ عن جامع الأخبار ١١٤/ح ٢٠٠.

(٢) عُدَّة الداعي: ١٨٦.

موائد أرزاقه الكريمة، فيأكل منها الصغير والكبير، والمؤمنُ والكافر، والتقيُّ والفاسق، والعالم والجاهل، وذلك حِلْمُ الله عزّوجلّ وعطفه على مخلوقاته.. فهو الرحمان جلّ وعلا، يرحم جميعَ خَلْقه: بَرِّهم وفاجرهم، ساعيهم ومُقعَدِهم، بَشَرِهم وحيواناتِهم، ولِمَ لا؟! وهو قد شَمِلَت رحمتُه كلَّ شيء، ألم يقُلْ في كتابه الحكيم: ﴿**وَرَحْمَتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ**﴾ [1]؟! ألم نقرأ في دعاء أميرالمؤمنين عليه السلام: «اللّهُمَّ إنّي أسألُكَ بِرَحْمَتِكَ الّتي وَسِعَتْ كُلَّ شيء» [2]؟!

والضيف ـ كما هو معلوم ـ لا يخرج إلّا بنوال، و من نوالِ ضيوف الله عزّوجلّ: المغفرة.. جاء في زيارة الإمام الجواد عليه السلام لأبيه الإمام الرضا صلوات الله عليه هذا الدعاء المبارك: «سيّدي سيّدي سيّدي؛ قد تكرّر وقوفي لضيافتك، فلا تَحرِمْني ما وعَدْتَ المتعرّضينَ لمسألتِك، يا معروفَ العارفين، يا معبودَ العابدين، يا مَشكورَ الشاكرين، يا جليسَ الذاكرين، يا محمودَ مَن حَمِدَه، يا موجودَ مَن طَلَبه، يا موصوفَ مَن وحّده، يا محبوبَ مَن أحبّه، يا غوثَ مَن أراده، يا مقصودَ مَن أناب إليه، يا مَن لا يعلمُ الغيبَ إلّا هو، يا مَن لا يغفرُ الذنبَ إلّا هو، يا مَن لا يخلقُ الخلْقَ إلّا هو، يا مَنْ

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٦.

(٢) دعاء كميل ـ مرّ تخريجه.

لا يُنزِّلُ الغيثَ إلّا هو، صلِّ علىٰ محمّدٍ و آلِ محمّد، واغفرْ لي يا خيرَ الغافرين» (١).

فالعفوُ الإلهيّ مرجوٌّ في ضيافة الله تبارك و تعالىٰ، وهو لطفٌ يتعلّمه ضيوف الله، فيتسامحون ويصفح بعضُهم عن بعضهم، لا سيّما في ضيافتهم لبعضهم؛ لأنّ للضيف حرمة، وقد قال الله سبحانه وتعالى في حديثٍ قدسيٍّ شريف: «يا ابن آدم، المالُ مالي وأنت عبدي والضيفُ رسولي، فإن مَنَعْتَ مالي من رسولي فلا تطمع في جنّتي ونعمتي» (٢).

وقد ورد كثير من الأحاديث الشريفة تدعو إلى استضافة الإخوان وإكرامهم، وزيارتهم واستقبالهم، وإطعامهم وخدمتهم، أُدرجَ بعضُها في باب حقوق الإخوان ومصادقتهم، وبعضُها ضُمّ إلى آداب المعاشرة، وهنا نأخذ منها ما يتيسّر.

* قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما مِن رجل يُدخل بيتَه مؤمنَينِ فيُطعمُهما شِبْعَهما، إلّا كان ذلك أفضلَ مِن عِتقِ نَسَمة». (٣)

* وقال عليه السلام أيضاً: «لَأَنْ آخذَ خمسةَ دراهم، فأدخلَ إلىٰ

---

(١) بحار الأنوار ١٠٣: ٥٦ /ح ١١.

(٢) هذا الحديث معروف بـ «الحديث القدسيّ»، رواه عدد من محدّثينا الكبار «رحمهم الله» ـ يراجع: كلمة الله للسيّد حسن الشيرازيّ ص ٤٨٠ ـ ٤٨١.

(٣) الكافي ٢: ١٦١ ـ باب إطعام المؤمنين /ح ٤، والمحاسن، للبرقيّ: ٣٩٤/ح ٥٤.

سوقكم هذا فأبتاعَ بها الطعام، وأجمع نفراً من المسلمين، أَحبُّ إليَّ مِن أن أُعتق نسمة» (١).

* وعن رَفاعة عن أبي عبدالله عليه السلام: «لأَنْ أُطعِمَ مؤمناً محتاجاً أحَبُّ إليَّ من أن أزوره، ولَأَنْ أزورَه أحبُّ إليَّ من أن أعتق عشرَ رقاب» (٢).

فَمَن أراد أن يتخلّق بأخلاق الله تعالىٰ استعدّ لضيافة إخوانه المؤمنين، وجعل مائدتَه محلَّ لقاء الطيِّبين، ومجلسَ صلةِ الأرحام والمُوالين، وموعدَ الفقراء والمساكين، وعلم أنّ ما عنده هو مِن فضل الله عزّوجلّ عليه، ومن بركات ضيافته سبحانه لعباده، فلماذا لا يُغدق ذلك علىٰ ضيوفه فيَصِلُهم به ويرفع عنهم الحاجة والفاقة والحرمان، ويعمر به صلاتِ المحبّة والإخاء، بل ويُزيل به الأحقاد والضغائن.. رُويَ أنّ شاميّاً شتم الإمامَ الحسن عليه السلام والحسنُ لا يردّ، فلمّا فرغ أقبل الإمامُ الحسن عليه السلام فسلّم عليه و ضحك، وقال: «أيُّها الشيخ، أظنُّك غريباً ولعلّك شبّهت؛ فَلَوِ ٱستعتبتَنا أعتبناك، ولو سألتَنا أعطيناك، ولو استرشدتَنا أرشدناك، ولو استحملْتَنا أحملناك، وإن كنتَ جائعاً أشبعناك، وإن كنتَ عرياناً

(١) الكافي ٢: ١٦٢ ـ باب إطعام المؤمنين / ح ١٥، والمحاسن، للبرقيّ: ٣٩٣/ ح ٤٤.
(٢) الكافي ٢: ١٦٣ ـ باب إطعام المؤمنين / ح ١٨.

كسوناك، وإنْ كنتَ محتاجاً أغنيناك، وإنْ كنتَ طريداً آويـناك، وإنْ كان لكَ حاجةٌ قضيناها لك، فلو حرّكتَ رَحْلَك إلينا وكنتَ ضيفَنا إلىٰ وقت ارتحالك كان أعودَ عليك، لأنّ لنا موضعاً رحـباً، وجـاهاً عريضاً، ومالاً كثيراً». فلمّا سمع الرجلُ كلامَه بكىٰ، ثمّ قـال: أشـهدُ أنّك خليفةُ الله في أرضه، ﴿**اللهُ أَعـلَمُ حـيثُ يَـجعَلُ رِسـالتَه**﴾ (١). وكنتَ أنتَ وأبوك أبغضَ خلْقِ الله إليّ، والآن أنت أحبُّ خلْقِ الله إليّ. وحوّلَ رحْلَه إليه، وكان ضيفَه إلىٰ أن ارتـحل، وصـار مـعتقِداً لمحبّتهم عليهم السلام (٢).

ففي الضيافة عطاء، وما أدرانا ما أثرُ العطاء! لا سيّما إذا كان معه إكرامٌ وحفظٌ لماء الوجه.. روى ابن عساكر بإسناده عن الذيّال بن حرملة، قال: خرج سائل يـتخطّىٰ أزقّـة المـدينة، حـتّىٰ أتـىٰ بـاب الحسين بن عليّ، فقرع البابَ وأنشأ يقول:

لَم يَخِبِ اليومَ مَن رجاكَ ومَنْ ... حَرّكَ مِن خَلفِ بابِكَ الحَـلَقة
فأنتَ ذُو الجــودِ أنتَ مَعدِنُهُ ... أبــوكَ قـد كـانَ قـاتِلَ الفَسَـقة

قال: وكان الحسين بن عليّ واقفاً يصلّي، فـخفّف مـن صـلاته وخرج إلى الأعرابيّ، فرأىٰ عليه أثرَ ضُرٍّ وفاقة، فرجع ونادىٰ بقنبر

(١) سورة الأنعام: ١٢٤.
(٢) بحارالأنوار ٤٣: ٣٤٤ /ح ١٦ ـ عن: مناقب آل أبي طالب ٤: ١٩.

فأجابه: لبّيك يا ابنَ رسول الله، قال: «ما تبقّىٰ معك من نفقتنا؟» قال: مائتا درهم أمرتَني بتفريقها في أهل بيتك، قال: «فهاتِها؛ فقد أتىٰ مَن هو أحقُّ بها منهم». فأخذها من قنبر، وخرج فرفعها إلى الأعرابيّ وأنشأ يقول:

خـذْها فـإنّي إليكَ مُـعتذِرٌ   وٱعلَمْ بأنّي عليكَ ذُو شَفَقة
لو كانَ في سَيرِنا الغَداةَ عصاً   كانت سَمانا عـليكَ مُـنْدَفِقة
لكـنّ ريبَ الزمـانِ ذُو نَكَـدٍ   والكـفُّ مِـنّا قـليلةُ النَّـفَقة (١)

قيل: فأخذها الأعرابيُّ وبكىٰ، فقال عليه السلام له: «لعلّك ٱستَقْلَلْتَ ما أعطيناك».. قال: لا، ولكنْ كيف يأكلُ الترابُ جُودَك؟! (٢)

وقال الخوارزميّ الحنفيّ: كان الحسين يجالس المساكينَ ويقرأ: إنّ الله لا يُحبُّ المُتكبّرين. ومرّ علىٰ صبيانٍ معهم كِسرةٌ فسألوه أن يأكل معهم فأكل، ثمّ حمَلَهم إلىٰ منزله فأطعمهم وكساهم، وقال: «إنّهم أسخىٰ منّي؛ لأنّهم بَذَلوا جميعَ ما قَدَروا عليه، وأنا بذلك بذلتُ بعضَ ما أَقْدر عليه» (٣).

---

(١) ترجمة الإمام الحسن عليه‌السلام، من تاريخ دمشق، لابن عساكر: ١٦٠ / الرقم ٢٠٥.
(٢) مناقب آل أبي طالب ٤: ٦٦.
(٣) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزميّ ١: ١٠٠، ويبدو أنّ العبارة عبارته عليه السلام: إنّ الله لا يُحبّ المتكبّرين، وليست آية، إذ الآية الشريفة هي: ﴿**إنّه لا يُحبُّ المُسْتَكْبِرين**﴾ ـ النحل: ٢٣.

وفي رواية ابن عساكر: مرّ الحسين بمساكين يأكلون في الصُّفّة، فقالوا: الغَداء! فنزل وقال: «إنّ اللهَ لا يُحبّ المتكبّرين». فتغدّىٰ معهم، ثمّ قال لهم: «قد أجبتُكم فأجيبوني»، قالوا: نعم. فمضىٰ بهم إلىٰ منزله فقال للرباب: «أَخرجي ما كنتِ تَدّخِرين» (١).

وجاء بعض الأعراب، فقال الإمام الحسن عليه السلام: «أُعطُوه ما في الخزانة»، قال الأعرابيّ: يا مولاي، ألا تركتَني أبوحُ بحاجتي، وأنشر مِدحتي. فأنشأ الإمامُ الحسن عليه السلام:

نحنُ أُناسٌ نَوالُنا خَضِلُ   يَرتعُ فيه الرجاءُ والأملُ
تَجودُ قبلَ السُّؤالِ أنفسُنا   خوفاً علىٰ ماءِ وجهِ مَن يَسَلُ (٢)

أي: وجهُ مَن يسأل. فإذا كان العطاءُ هكذا فَنِعمتِ الضيافة هي، حيث الإطعام، والإكرام، وطيب الكلام.. قال الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وقد جمَعَ بني عبدالمطّلب: «يا بَني عبدالمطّلب، أفشُوا السلام، وصِلوا الأرحام، وتَهجّدوا والناسُ نيام، وأطعِموا الطعام، وأطيبوا الكلام، تدخلوا الجنّةَ بسلام» (٣). وعن أبي المنكدر: إنّ رجلاً قال: يا رسول الله، أيُّ الأعمالِ أفضل؟ فقال: «إطعامُ الطعام، وإطيابُ الكلام» (٤).

---

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق: ١٠١ / الرقم ١٩٦.
(٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ١٨٢.
(٣) المحاسن: ٣٨٧ / ح ٣.
(٤) المحاسن: ٣٨٧ / ح ٥.

والضيافة فيها ذلك إذا اجتمع عليها أهلُ الإيمان والتقوىٰ والصلاح، وقضىٰ المُوسِرُ حاجةَ أخيه المُعسِر، فأصاب مرضاةَ الله عزّوجلّ..

* قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «أفاضلُكم أحسنُكم أخلاقاً، المُوَطَّؤون أكنافاً، الذين يَألفون ويُؤلَفون، وتُوطَأ رِحالُهم» (١).

* وفي غرر حِكَمه الشريفة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فعلُ المعروف، وإغاثةُ الملهوف، وإقراءُ الضيوف.. آلةُ السيادة» (٢).

* وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «ثلاثُ خصالٍ هُنّ مِن أحبِّ الأعمال إلى الله: مسلمٌ أطعمَ مسلماً مِن جوع، وفكَّ عنه كَرْبَه، وقضىٰ عنه دَينَه» (٣). وعن مُعمَّر بن خلّاد قال: كان أبوالحسن الرضا عليه السلام إذا أكل أُتيَ بصُحْفةٍ فتُوضَع قربَ مائدته، فيعمد إلىٰ أطيبِ الطعام ممّا يُؤتىٰ به، فيأخذ مِن كلّ شيءٍ منه شيئاً، فيُوضَع في تلك الصحفة، ثمّ يأمر بها المساكين، ثمّ يتلو هذه الآية: ﴿**فَلَا ٱقْتَحَمَ**

(١) الكافي ٢: ١٠٢/ ح ١٦. قال الشيخ المجلسيّ في (مرآة العقول في شرح أخبار الرسول ج ٨: ص ١٧٥): «تُوطأُ رِحالُهم» أي: للضيافة، أو للزيارة، أو لطلب الحاجة، أو الأعمّ. ورَحْلُ الرجُل: منزلُه ومأواه، وأثاثُ بيته. يُقال: رجلٌ مُوطَأُ الأكناف، أي كريمٌ مضياف. وفي بعض النُّسخ بالتاء (الأكتاف)؛ كنايةً عن غاية حُسنِ الخُلق، كأنّهم يحملون الناسَ علىٰ أكتافهم ورقابهم.

(٢) غرر الحكم: ٢٢٨.

(٣) المحاسن: ٣٨٨/ ح ١٢.

العَقَبة﴾، ثمّ يقول: «عَلِمَ اللهُ أن ليس كُلُّ إنسانٍ يَقْدر علىٰ عتق رقبة، فجعل لهم سبيلاً إلى الجنّة بإطعام الطعام»[1].

(١) المحاسن: ٣٩٢/ح ٣٩، والآية في سورة البلد: ١١.

ضيافات كريمة

ضيافاتٌ كريمة

إنّ ضيافة المؤمنين هي ضيافةٌ خاصّة، يُوليها المؤمنُ لأخيه إكراماً للإيمان الذي فيه، فكما يشملُ الله تعالىٰ برحمته كلَّ الخلْق في هذه الدنيا فهو (الرحمن)، ويخصّ بها عبادَه المؤمنين في الآخرة فهو (الرحيم)، كذلك يشمل المؤمنُ بأخلاقه سائر الناس وعامّتَهم، ويخصّ بمحبّته أخاه المؤمن التقيّ.. في ظلّ قوله تعالى ﴿**وقُولُوا للناسِ حُسْناً**﴾ (١) قال الإمام الصادق عليه السلام: «أيْ للناس كُلِّهم: مُؤمِنِهم ومُخالفِهم. أمّا المؤمنون فيبسط لهم وجهَه، وأمّا المخالفون فيُكلّمهُم بالمداراة لاجتذابِهم إلى الإيمان» (٢).

فالمؤمنُ يُكرمُ أخاه المؤمنَ في الله، ويُحبّه في الله، ويستضيفه في الله، فينال بذلك رحمة الله، وبذلك أخبر النبيّ المصطفى صلّى الله عليه وآله فقال: «مَن أكرمَ أخاه المسلمَ بكلمةٍ يُلْطِفه بها، ومجلسٍ يُكرمه به، لم يَزلْ في ظلّ اللهِ عزّوجلّ ممدوداً عليه بالرحمة ما كان في ذلك» (٣)، وقال صلّى الله عليه وآله: «مَن أطعم مؤمناً من جوعٍ

(١) سورة البقرة: ٨٣.

(٢) بحارالأنوار ٧٥: ٤٠١ / ح ٤٢ ـ عن: تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ١٤٥.

(٣) نوادر الراونديّ للسيّد فضل الله بن عليّ الراونديّ الحسنيّ: ٨.

أطعمه اللهُ من ثمار الجنّة، ومَن سقاه من ظمأ سقاه اللهُ من الرحيق المختوم» (١).

والمؤمن منسوبٌ إلى الله سبحانه وتعالىٰ.. فتوقيرُه وتكريمه هو توقيرٌ وتكريمٌ لله تعالىٰ، وقد علّمنا القرآنُ الكريم في ذلك درساً بليغاً، إذ قال الله تعالى فيه: ﴿**مَن ذَا الَّذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فيُضاعِفَه لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كريم**﴾ (٢)، فعدّ سبحانه وتعالىٰ ما يُنفِق المؤمنُ في سبيل الله قرضاً لنفسه، وكذا ما يُقدّمُه لإخوانه المؤمنين، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «مَن أتاه أخوه المسلم فأكرَمَه، فإنّما أكرم اللهَ عزّوجلّ» (٣).

وقد وردتِ الأحاديثُ الشريفة مستفيضةً في دعوة الإخوانِ واستضافتهم، وإكرامهم وإطعامهم، منها قولُ الإمام جعفر الصادق عليه السلام لأحد أصحابه: «إعملْ طعاماً و تَنوَّقْ فيه (٤)، وٱدْعُ عليه أصحابَك» (٥).

ودعوةُ المؤمن مشفوعةٌ بالبِشْر واللّقاءِ الطيّب المعبِّر عن الإخاء،

---

(١) مصادفة الإخوان، للشيخ الصدوق، ص ٢٥ ـ ٢٦ ـ باب ٩/ح ١.

(٢) سورة الحديد: ١١.

(٣) الكافي ٢: ٢٠٦ ـ باب إلطاف المؤمن وإكرامه /ح ٣.

(٤) أي تجوّدْ فيه.

(٥) المحاسن: ٤١٠ ـ الباب ١٦/ح ١٣٧.

والمُثْمرِ عن البركة والتراحم، وعن مغفرة الله تباركَتْ آلاؤُه، وذلك من أمانيّ المؤمنين.. قال مولانا الصادق سلام الله عليه: «يحقُّ على المسلمين الاجتهادُ في التواصل، والتعاون على التعاطف، والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطفُ بعضهم علىٰ بعض، حتّى تكونوا كما أمركم الله عزّوجلّ: ﴿**رُحَماءُ بَينَهم**﴾ (١)، متراحمين، مغتمّين لما غاب عنكم مِن أمرِهم، علىٰ ما مضىٰ عليه معشرُ الأنصار علىٰ عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله» (٢).

فمن أحبّ أن يتخلّق بأخلاق الله جلّ وعلا أنفقَ ما وهبَه الله من الخيرات الفائضة، فأغدقها على الفقراء من عباد الله سبحانه، ودعا إلىٰ مائدة الله إخوانَه في الله، ووصَلَ بها مَن هو جديرٌ بالصلة، كالأرحام والأقرباء وأصدقاء الإيمان وأهل الصلاح والتقوىٰ والعلم.. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَن آتاه اللهُ مالاً فَلْيَصلْ به القرابة، وليُحسِنْ منه الضيافة، ولْيفُكَّ به الأسيرَ والعاني، ولْيُعطِ منه الفقيرَ والغارم (٣)، وليَصبِرْ نفسَه على الحقوقِ والنوائب، ابتغاءَ الثواب، فإنّ فوزاً بهذه الخصالِ شرفُ مكارمِ الدُّنيا، ودَرْكُ فضائلِ الآخرة، إنْ شاء الله» (٤).

---

(١) سورة الفتح: ٢٩.
(٢) الكافي ٢: ١٧٥ ـ باب التراحم والتعاطف / ح ٤.
(٣) المَدِين.
(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٢.

فكـما دعـانا الله تـعالىٰ إلىٰ ضـيافته الكـريمة، دعـانا إلىٰ أن نستضيف الفقراء والمساكين.. وقد كان الإمام الصادق عليه السلام يحدّث أصحابه يوماً فقال لهم: «كنتُ آمرُ إذا أَدْركَتِ الثمرةُ أنْ يُثلَمَ في حيطانها الثَّلْمُ ليدخلَ الناس ويأكلوا، وكنتُ آمرُ في كلّ يومٍ أن يُوضَع عشر بنْيات يقعدُ على كلّ بنيةٍ عشرة، كلّما أكلَ عشرةٌ جاء عشرةٌ أُخرىٰ، يُلقىٰ لكلِّ نَفْسٍ منهم مُدٌّ من رُطَب. وكنتُ آمرُ لجيران الضَّيعة كلِّهم، الشيخِ والعجوز والصبيّ، والمريض والمرأة، ومَن لا يَقْدر أنْ يجيءَ فيأكل منها، لكلِّ إنسان منهم مُدّ. فإذا كـان الجـذاذ أوفيتُ القوّامَ والوكلاء والرجال أُجرتَهم، وأحمل الباقي إلى المدينة، ففرّقتُ في أهل البيوتات والمستحقّين الراحلتَينِ والثلاثة، والأقـلَّ والأكثر، علىٰ قَدْر استحقاقهم» (١). وكان عليه السلام يُوصي أحدهم فيقول له: «عليكَ بالمساكين فأَشبِعْهم، فإنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿**وما يُبدِئُ الباطلُ وما يُعيد**﴾» (٢).

ومن الضيافات الكريمة استضافة اليتيم وإكرامه، حـتّىٰ يـنسىٰ حرمانَه من كفالة أمّهِ أو أبيه وحنانِهما، وهو الذي أوصىٰ الله تعالىٰ

---

(١) الكافي ٣: ٥٦٩ / ح ٢ ـ باب نادر.

(٢) دعوات الراونديّ، لقطب الدين الراونديّ (سلوة الحزين) ص ١٦٥ / ح ٤١٨ ـ والآية في سورة سبأ: ٤٨.

بالإحسان إليه في قوله: ﴿**وبالْوالدَينِ إحْساناً وذِي القُربىٰ واليَتامىٰ والمساكينِ وقُولُوا لِلناسِ حُسْناً..**﴾ (١)، وأوصىٰ به أميرالمؤمنين عليه السلام في جملة وصاياه الأخيرة فقال: «اَللهَ اللهَ في الأيتام، فلا تُغِبُّوا أفواهَهم، ولا يَضِيعُوا بحضرتِكم، فقد سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله يقول: مَنْ عالَ يتيماً حتّىٰ يستغني، أوجبَ اللهُ عزّوجلّ له بذلك الجنّة، كما أوجبَ لآكلِ مالِ اليتيم النار» (٢).

لا تُغِبّوا أفواههم، أي: لا تُجِيعوهم، فالأيتامُ ضيوف يرحلون بعد أن يكبروا، وضيافتُهم إعالتُهم وإيناسُهم إيناساً لا يُحسّون معه بيُتْمٍ أو حرمان، ومداراتهم مداراةً فيها الإكرام والحنان حتّىٰ ينشأوا علىٰ سلامةٍ من قلوبهم ونفوسهم. فكم في استضافتهم من أجرٍ كريم، أعدّه الرحيم الكريم، قال الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مَن قبض يتيماً من بين المسلمين إلىٰ طعامه وشرابه أدخله الله الجنّة البتّة، إلّا أن يعملَ ذنباً لا يُغفَر» (٣)، وقال صلوات الله عليه وآله: «أنا وكافلُ اليتيم كهاتينِ في الجنّة، إذا اتّقى اللهَ عزّوجلّ» ـ وأشار بالسبّابة والوسطىٰ ـ (٤).

---

(١) سورة البقرة: ٨٣.

(٢) الكافي ٧: ٥١ / ح ٧ ـ باب صدقات النبيّ (ص) وفاطمة والأئمّة (ع) ووصاياهم.

(٣) الترغيب والترهيب، للتَّيميّ ٣: ٣٤٧.

(٤) تفسير نورالثقلين، للحويزيّ ٥: ٥٩٧ / ح ٢٣ ـ عن مجمع البيان، للطبرسيّ في ظلّ قوله تعالى ﴿**فَأَمَّا اليَتيمَ فَلا تَقْهَرْ**﴾ سورة الضحىٰ: ٩.

والفضلُ للهِ تباركت آلاؤُه أوّلاً وآخِراً، فهو الرزّاق وهو الموفّق، وهو المستضيفُ لنا علىٰ موائد نِعمِه وأرزاقهِ الطيّبة الوافرة، ثمّ هو المُثيب المنعِم علىٰ عباده. وقد جعل سبحانه لاِستضافة اليتيم ثواباتٍ دنيويّةً وأُخرويّة.. عن أبي الدرداء قال: أتى النبيَّ صلّى الله عليه وآله رجلٌ يشكو قسوةَ قلبه، فقال صلّى الله عليه وآله: «أتُحبّ أنْ يَلين قلبُك، وتُدركَ حاجتَك؟ إرحمِ اليتيمَ وامسح رأسه، وأطعِمْه من طعامك، يَلِنْ قلبُك، وتُدركْ حاجتَك» (١).

والمؤمنُ إن أراد أن يتعلّم الضيافات الكريمة تأسّى بالقدوات والأُسوات الحسنة، من الأنبياء والأوصياء صلوات الله تعالىٰ وسلامه عليهم أجمعين، فلو تصفّح تاريخهم النيّر المبارك لَوجَد فيه ضيافاتٍ مقدّسةً شريفةً أخبرَتْ عن آدابٍ جمّة من آداب الضيافة.. منها:

ضيافة النبيّ إبراهيم سلامُ الله عليه للرسُلِ المُكْرَمين، قال تعالى: ﴿**ونَبِّئْهم عَن ضَيفِ إبراهيم**﴾ (٢)، وقال جلّ وعلا: ﴿**هَلْ أتاكَ حَديثُ ضَيفِ إبراهيمَ المُكْرَمين * إذْ دَخَلُوا عليه فَقالُوا: سَلاماً، قال: سَلامٌ قومٌ مُنْكَرون * فَراغَ إلىٰ أهلِهِ فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمين * فَقَرَّبَه إلَيهِم قال:**

(١) الترغيب والترهيب ٣: ٣٤٩.

(٢) سورة الحِجر: ٥١.

ألا تَأْكُلُون﴾ (١). وقد سمّاهم سبحانه ضيفاً مع أَنّهم كانوا ملائكةً مُكْرَمين؛ لأنّهم دخلوا عليه في صورة الضيف، وسمّاهم ضيفاً مع امتناعهم عن الأكل ـ إذْ هم ملائكة ـ وذلك لأنّهم دخلوا علىٰ إبراهيم عليه السلام لطلب الضيافة، وقد قيل: إنّ مَن يدخل داراً ويلتجئ إلى صاحبه يُسمّى «ضيفاً»، وإنْ لم يأكل.

وكم في ضيافاتِ شيخ الأنبياء إبراهيم صلوات الله عليه من أخلاقٍ شريفةٍ فاضلة، قال الإمام عليّ صلواتُ الله عليه و على أبنائه: «كان إبراهيمُ أوّلَ مَن أضاف الضيف» (٢)، وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ إبراهيم عليه السلام كان أبا أضياف، فكان إذا لم يكونوا عنده خرج يَطلبُهم، وأغلق بابه وأخذ المفاتيح يطلب الأضياف، وإنّه رجع إلىٰ داره فإذا هو برجلٍ أو شبهِ رجلٍ في الدار، فقال: يا عبد الله، بإذنِ مَن دخلتَ هذه الدار؟ قال: دخلتُها بإذن ربّها ـ يردّدُ ذلك ثلاث مرّات ـ، فعرف إبراهيم عليه السلام أنّه جَبرئيل، فحَمِد ربَّه، ثمّ قال: أرسَلَني ربّي إلىٰ عبدٍ من عبيده يتّخذهُ خليلاً، قال إبراهيم: فأعلِمْني مَن هو؟ أخدمُه حتّىٰ أموت، فقال: فأنتَ هُو، قال: ولِمَ ذلك؟! قال: لأنّك لم تَسأل أحداً شيئاً قطّ، ولم تُسأَل شيئاً قطّ فقلت: لا» (٣).

---

(١) سورة الذاريات: ٢٤ ـ ٢٧.

(٢) أمالي الطوسيّ: ٢١٦.

(٣) بحارالأنوار ١٢: ١٣ / ح ٤٠.

* وعن جابر الأنصاريّ قال: سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله يقول: «ما اتّخذَ اللهُ إبراهيمَ خليلاً إلّا لإطعامِه الطعام، وصلاتِه باللّيل والناسُ نيام» (١).

وقد كان في ضيافة إبراهيم عليه السلام البركات، لطيب قلبه وحسن نيّته، وحبّه للخير.. رُويَ أنّ إبراهيم عليه السلام كان مضيافاً، فنزل عليه يوماً قومٌ ولم يكن عنده شيء، فقال: إن أخذتُ خشبَ الدار وبعتُه من النّجار فإنّه ينحتُه صنماً ووثناً. فلم يفعل، وخرج بعد أن أنزلَهم في دارالضيافة ومعه إزار إلىٰ موضع، وصلّى ركعتين، فلمّا فرغ ولم يجدِ الإزارَ عَلِمَ أنَّ اللهَ هيّأَ أسبابه، فلمّا دخل داره رأى سارة تطبخ شيئاً، فقال لها: أنّىٰ لكِ هذا؟! قالت: هذا الذي بعثْتَه على يد الرجل. وكان الله سبحانه أمر جبرئيلَ أن يأخذ الرملَ الذي كان في الموضع الذي صلّىٰ فيه إبراهيمُ ويَجعلَه في إزاره، والحجارةَ المُلقاة هناك أيضاً، ففعل جبرئيلُ عليه السلام ذلك، وقد جعل اللهُ الرملَ جاوَرسَ مُقَشَّراً، والحجارةَ المُدوَّرةَ شلجماً، والمستطيلةَ جزراً (٢).

ومن الضيافات الكريمة أيضاً استضافة النبيّ شُعيب عليه السلام

---

(١) علل الشرائع ٣٥ ـ الباب ٣٢/ح ٤.

(٢) بحارالأنوار ١٢: ١١/ح ٢٨. والجاوَرسى: حَبّ معروف يُؤكل مثل الدهن، معرّب كادرس،هو ثلاثة أصناف. (تاج العروس، للزَّبيديّ ١: ١١٨).

لموسى عليه السلام، وقد حكى القرآنُ ذلك في قوله تعالى: ﴿**قالَ إنّي أُريدُ أنْ أُنْكِحَكَ إحدَى ٱبنَتَيَّ هاتَينِ علىٰ أنْ تَأْجُرَني ثمانيَ حِجَجٍ، فإنْ أتممتَ عشراً فمِن عِنْدِكَ، وما أُريدُ أَنْ أَشُقَّ عَليكَ، سَتَجِدُني إنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصالِحين**﴾ (١)، أي في حُسْن الصُّحبة والوفاء بالعهد، فعرض شُعيبٌ علىٰ موسىٰ سلام الله عليهما أن يَأْجرَه نفسَه ثماني سنين أو عشراً قبل تزويجهِ إحدَى ٱبنتَيه، فكان موسىٰ عليه السلام في ضيافةٍ شريفةٍ مقدّسة (٢).

* * *

ومنها كذلك: استضافةُ المصطفىٰ صلّى الله عليه وآله لابنِ عمّه عليٍّ بن أبي طالب سلام الله عليه.. فَبعدَ مضيٍّ ستِّ سنواتٍ من مولد أميرالمؤمنين عليه السلام حلّتْ بقريشٍ ضائقةٌ كانت وطأْتُها شديدةً علىٰ أبي طالب رضوان الله عليه، إذْ كان ذا عيالٍ كثيرة، وكان كهفاً يلوذُ به المحتاجُ والفقير، والمسافرُ والغريب، فأقبل النبيُّ صلّى الله عليه وآله ـ ولم يكن قد بُعثَ بعدُ ـ علىٰ عمِّه العباس قائلاً له: «يا عمّ، إنّ أخاكَ أبا طالب كثيرُ العيال.. وقد أصابَ الناسَ ما ترىٰ، فانطلِقْ بنا إلىٰ بيته لِنُخفّفَ من عياله، فتأخذَ أنت رجلاً وآخذَ أنا رجلاً فنكفلهما عنه» (٣).

---

(١) سورة القصص: ٢٧.

(٢) يراجع: النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١: ١٥١.

وانطلقا.. حتّىٰ أتَيا أبا طالب فقالا: إنّا نُريد أنْ نُخفّفَ عنكَ من عيالك حتّى ينكشفَ عن الناس ما هُم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تَركتُما لي عقيلاً فاصْنَعا ما شِئتُما. فأخذَ رسول الله صلّى الله عـليه وآله عليّاً فضمّه إليه، وأخذ العباسُ جعفراً فضمّه إليه، فلم يزل عليٌّ عليه السلام مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّىٰ بعثَه الله نبيّاً فـاتّبَعه عـليٌّ سـلام الله عـليه وصـدَّقه [1]. فـلمّا أُنكِـر حـقُّ مـولانا أميرِالمؤمنين عليه السلام في خلافته للرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم خطب خُطبتَه [القاصعة] فقال فيها:

«وقد علِمتُم مَوضِعي من رسولِ الله صلّى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخَصيصة. وضَعَني في حِجْرِه وأنا وَلَدٌ يَضمُّني إلىٰ صدره، ويكنفُني في فراشِه، ويُمِسُّني جسدَه، ويُشِمُّني عَرْفَه. وكان يَمضَغُ الشيءَ ثمّ يُلقِمُنيه، وما وجَدَ لي كَذْبةً في قول، ولا خَطلةً في فعل. ولقد قرنَ الله به صلّى الله عليه وآله مِنْ لَدُن أنْ كان فطيماً أعظمَ مَلَكٍ من ملائكتِه يَسلُكُ به طريقَ المكارم، ومحاسِنَ أخلاقِ العالَم، ليلَه ونهارَه. ولقد كنتُ أتّبِعُه اتّباعَ الفصيلِ أَثَرَ أُمّه، يرفعُ لي في كُلِّ يومٍ من أخلاقِه علَماً، ويأمرُني بالاقتداء به. ولقد كان يُجاوِرُ في كُلِّ سنة بحِراءَ فأراه، ولا يراهُ غيري. ولم يجمع بيتٌ واحدٌ يومئذٍ فـي

---

(١) تفصيل ذلك في: بحارالأنوار ٣٥: ٤٤/ ح ٣٨.

الإسلام غيرَ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وخديجةَ وأنـا ثـالثُهما. أرىٰ نورَ الوحي، وأشَمُّ ريحَ النبوة..»[١].

ومن ضيافة رسول الله صلّى الله عليه وآله لوصيّه عـليّ عـليه السلام، ما جاء مفصّلاً في (حديث الطائر المشويّ)، وقـد ذكـرَته كتبٌ عديدة، مُوجَزُه:

* عن أنس بن مالك قال: أُهدِيَ إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله نُحامةٌ[٢] مَشْويّة، فقال: «اللّهمّ ٱبعثْ إليّ أحبَّ خَلْقك إليك وإلى نبيّك؛ يأكل معي هذه المائدة». قال أنس: فأتىٰ عليٌّ فقال: «يا أنس، إستأذِنْ لي على رسول الله صلّى الله عـليه وآله»، قـال: قـلت: النـبيُّ عـنك مشغول. فرجع عليّ، ولم يلبث إلّا قليلاً أن رجع فـقال: «يـا أنس، إستأذنْ لي علىٰ النـبيّ صـلّى الله عـليه وآله»، فـقلت: النـبيّ عـنك مشغول. فرجع، فلم يلبث إلّا قليلاً أن رجع فقال: «يا أنس، إستأذنْ علىٰ رسول الله». قـال أنس: فـهَمَمْتُ أن أقـول مِـثْلَ قـوليَ الأوّل والثاني، فسمع النبيُّ صلّى الله عليه وآله مِن داخل الحُجْرة كلامَ عليّ فقال: «ادخلْ يا أبا الحسن، ما أبطأَ بك عنّي؟!»، قال: «جئتُ يا رسولَ الله هذه الثالثة، كلُّ ذلك يَرُدّني أنس يقول: النبيّ عـنك مشـغول»، فقال: «يا أنس! ما حَمَلك علىٰ هذا؟!»، قال: فقلت: يـا رسـول الله،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

(٢) النُّحامة: طائرٌ على خِلْقة الإوَزّ.

سمعتُ الدعوةَ فأحببتُ أن يكون رجلاً من قومي! [1]

وكان الإمام الحسين عليه السلام سخيّاً جواداً، وصاحبَ ضيافة وكرم [2]، إلّا أنّه كانت له ضيافة خاصّة يذكرها الشيخ البهائيّ قائلاً:

رُوي أنّ الحسين عليه السلام اشترى النواحيَ التي [سيكون] فيها قبرُه، اشتراها من أهل نِينوىٰ والغاضريّة بستّينَ ألفَ دِرهم، وتصدّق بها عليهم، وشرط أن يُرشدوا إلىٰ قبره [بعد شهادته صلوات الله عليه]، ويُضيّفوا مَن زاره ثلاثةَ أيّام.

* وقال الإمام الصادق عليه السلام: «حَرَمُ الحسين عليه السلام الذي اشتراه أربعةُ أميالٍ في أربعةِ أميال..» [3].

---

(١) مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لابن المغازليّ: ١٥٦ ـ ١٥٧ / ح ١٨٩ ـ حديث الطائر وطرقه، حيث رواه ابن المغازليّ بطرق أخرى ص ١٥٧ ـ ١٧٥ في ٢٤ حديثاً. ورواه عدّة من المحدّثين وأصحاب السِّيَر من الفريقين.

(٢) هكذا وُجِد في بعض الكتب القديمة في وصفه وإمامته عليه السلام: «ثمّ يكونُ بعدَه (أي بعد أخيه الإمامِ الحسن المجتبىٰ عليه السلام) الحسين، إمامٌ عَدْل، يَضرب بالسَّيف، ويُقْري الضَّيف، يُقتَلُ بالسيف علىٰ شاطئ الفرات، في الأيّام الزاكيات، يقتُله بنو الطوامث والبَغيّات، يُدفَن بكربلاء، قبرُه للناس نورٌ وضياء، وعلم». (بحارالأنوار ٣٦: ٢١٨ / ح ١٩).

(٣) الكشكول، للبهائيّ ١: ٢٤٦، و ص ١٠٣ ـ ط مصر عام ١٣٠٢ هـ ـ عنه: مستدرك الوسائل ١٠: ٣٢١ / ح ١٢٠٩١ و ١٢٠٩٢، و ١٤: ٦١ / ح ١٦١٠٨، ومجمع البحرين ـ مادّة «كَرْبَلَ». روى ذلك الشيخ البهائيّ قائلاً: عن خطّ جدّه محمّد بن عليّ الجُباعيّ، نقلاً عن خطّ السيّد ابن طاووس، نقلاً عن كتاب (الزيارات) لمحمّد بن أحمد بن داود القمّيّ، عن الإمام الصادق عليه السلام.

* و بعد دفنه للشهداء بكربلاء، عرّف الإمامُ زين العابدين عليُّ بن الحسين عليه السلام بني أسد بقبر الحسين عليه السلام و قبر أبي الفضل العبّاس عليه السلام، وقبور الهاشميّين والأصحاب، ثمّ عرّفهم بنفسه، وطلَبَ إليهم أن يقوموا بضيافة الزائرين ودلالتهم وتعريفهم، ثمّ ودّعهم..

* وقيل في تفسير قوله تعالىٰ في شأن إبراهيم عليه السلام: ﴿**وآتَيناه أَجْرَهُ فِي الدُّنيا**﴾ (١)، بقاءُ ضيافته عليه السلام عند قبره (٢).

ويومَ هدّد عبيد الله بن زياد والي الكوفة مِن قِبَل معاوية، هانيَ بن عُروة (وقد أخفىٰ عنده مسلمَ بن عقيل عليه السلام) قائلاً له وقد استدعاه:

ـ واللهِ لا تُفارقُني أبداً حتّىٰ تأتيَ بمسلم.

قال هاني: لا واللهِ لا أَجيئُك به أبداً، أجِيئُك بضيفي تقتُلُه؟!

ـ والله لَتأتينّي به!

ـ واللهِ لا آتيك به..

فأصرّ هاني حتّى استُشهِد علىٰ يد الطاغية عبيد الله؛ لامتناعه عن تسليم ضيفِه (٣).

---

(١) سورة العنكبوت: ٢٧.

(٢) بحارالأنوار ١٢: ٩١ ـ عن: مجمع البيان في تفسير القرآن، للطبرسيّ ٨: ٢٨٠.

(٣) بحارالأنوار ٤٤: ٣٤٦ ـ الباب ٣٧.

الآداب المعنويّة للضيافة

الآدابُ المعنويَّة للضيافة

الأخلاق الوضعيّة تقاليدُ يتوارثُها الناس أباً عن جَدّ، وتنتقل فيما بينهم عن طريق التوارث والعَدْوى الاجتماعيّة، وتتحكّم فيها الأهواءُ والأمزجة، والظروفُ العامّة والخاصّة. أمّا الأخلاقُ الإسلاميّة.. فهي أحكامٌ إلهيّةٌ تحمل الاعتقادَ السليم والموقفَ الشرعيّ، وتمتاز بخصائص عديدة، منها:

أوّلاً / لاتنفصلُ عن الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فهي صورٌ من أخلاق الله عزّوجلّ.. فالكرمُ مثلاً حسَنٌ عقلاً وشرعاً، إذْ هو الكريمُ جلّ وعلا والآمِرُ بالكرم، والكريمُ في الدِّين قريبٌ من الله، حسَنُ الظنِّ بالله، معتقدٌ أنَّ اللهَ عزّوجلّ يرزقُه كلّما أنفق حتّىٰ لو كان مُعْسِراً.. جاء عن النبيِّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم قوله: «ثلاثٌ مِن حقائق الإيمان: الإنفاقُ من الإقتار، وإنصافُك الناسَ من نفسك، وبذلُ العلم للمتعلّم» [1]، وعن الإمام عليٍّ عليه السلام قال: «مَن أيقنَ بالخلَف، جاد بالعطيّة» [2]، وقد رغّب الإمام الصادق عليه السلام في

(١) مكارم الأخلاق: ٤٣٧.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ١٣٨.

الإنفاق فقال: «أَنفِقْ وأيقنْ بالخَلَف» (١).

والبخلُ مذمومٌ عقلاً وشرعاً، وقد نهى الله تعالىٰ عنه، وهو الذي أكرمَ خلْقَه جميعاً: مَن عَبدَه وأطاعه ومَن عصاه، مَن صدَّ عنه ومَن دعاه. والبخيلُ بعيدٌ عنِ الله، سَيّئ الظنّ بالله عزّوجلّ، قال النبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «السخيُّ قريبٌ من الله، قريبٌ من الناس، قريبٌ من الجنّة. والبخيلُ بعيدٌ من الله، بعيدٌ من الناس، قريبٌ من النار!» (٢).

ولبيانِ علاقة السخاء والبخل بالإيمان، نتأمّل في هذه الجملة من الأحاديث الشريفة:

* قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «تَحَلَّ بالسخاء والوَرع؛ فهُما حِلْيةُ الإيمان وأشرفُ خِلالك» (٣)، «السخاءُ قُرْبة» (٤).

* وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «السخاء مِن أخلاق الأنبياء، وهو عمادُ الإيمان، ولا يكونُ مؤمناً إلّا سخيّاً، ولا يكون سخيّاً إلّا ذُو يقينٍ وهمّةٍ عالية؛ لأنَّ السخاءَ شُعاعُ نورِ اليقين، ومَن

---

(١) بحارالأنوار ٩٦: ١٣٠/ح ٥٧ ـ عن: جامع الأخبار ٥٠٤/ح ١٣٩٤.
(٢) بحارالأنوار ٧٣: ٣٠٨/ح ٣٧ ـ عن كتاب الإمامة والتبصرة لوالد الشيخ الصدوق.
(٣) غررالحكم: ١٥٤.
(٤) بحارالأنوار ٧٢: ١٩٣/ح ٩ ـ عن: الخصال ٥٠٦/ح ٣ ـ باب الستّة عشر.

عَرَف ما قصد، هانَ عليه ما بذل..» [(١)]، وقال سلام الله عليه: «والطَّمعُ منزوعٌ عنه الإيمانُ وهو لا يشعر؛ لأنّ الإيمانَ يَحجِبُ بينَ العبدِ وبين الطمع في الخُلق، ويقول: يا صاحبي، خزائنُ اللهِ مملوءةٌ من الكرامات، وهو لا يضيع أجرَ مَن أحسَنَ عملاً، وما في أيدي الناس فإنّه مَشُوبٌ بالعلل، ويَردُّه إلى التوكّل والقناعة وقِصَرِ الأمل، ولزوم الطاعة، واليأسِ من الخَلْق..» [(٢)].

* ورُوي عن مولانا عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام قوله: «البخلُ بالموجود، سُوءُ ظنٍّ بالمعبود» [(٣)].

* وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «حَسْبُ البخيلِ مِن بُخله، سوءُ الظَّنِّ بربِّه» [(٤)].

* وجاء في [فقه الإمام الرضا عليه السلام] [(٥)]: «إيّاكُم والبخل؛ فإنّه عاهةٌ لا يكونُ في حُرٍّ ولا مؤمنٍ، إنّه خلافُ الإيمان».

والضيافةُ تُنجي من البخل وحالَتَي الحرص والطمع، وتُفضي إلىٰ خَصلة الكرم وفضيلة السخاء.. فهي إلىٰ جهةِ الإيمان لا إلىٰ جهةِ سوءِ الظنّ بالله تعالى.

---

(١) مصباح الشريعة ـ باب السخاء: ٨٢.
(٢) مصباح الشريعة ـ باب الطمع: ١٠٦.
(٣) غررالحكم: ٢٧.
(٤) الاختصاص، للشيخ المفيد: ٢٣٤.
(٥) باب حق النفوس: ٣٣٨.

ثانياً / تمتاز الأخلاقُ الإسلاميّة بأنّها داخلةٌ تحت عناوين الفقه، فتنتظمُ في الواجب والمحرَّم، والمستحبّ والمكروه، والمُباح. والخصال ليست كماليّاتٍ اجتماعيّةً يلذّ للبعض أن يتحلّىٰ بها أو يتخلّىٰ عنها، إنّما هي تكاليفُ وأرزاقٌ معنويّة، مَن وجدَ نفسَه أنّه موهوبٌ شيئاً منها جَهد نفسَه في المحافظةِ عليها وتنميتها وإخلاص النيّة فيها، ومَن رأى أنّه مبتلئ بمساوئِ الأخلاق ومذمومات الخصال تعيّن عليه أن يجاهد نفسه حتّىٰ يتخلّص منها ما أمكنه بالعلاجات الروحيّة والنفسيّة.. فالأخلاقُ من الطاعات والعبادات، ومن الأرزاق القلبيّة، وقد قال الشاعر:

إنّي لَتُطرِبُني الخِلالُ كريمةً   طَرَبَ الغريبِ لأوبةٍ وتلاقِ
فإذا رُزِقتَ خَليقةً محمودةً   فقدِ اصطفاكَ مُقسِّمُ الأرزاقِ
الناسُ: هذا رزقُه مالٌ، وذا   عِلمٌ، وذاكَ مكارمُ الأخلاقِ

ثالثاً / لابدّ في أخلاق الإسلام من النيّة الصالحة، فالتوبةُ توبةٌ إذا كانت بنيّة الإقلاع عن المعاصي خشيةً من الله تعالىٰ وإقراراً بوجوب طاعته عزّوجلّ، وبنيّةٍ نَصوحٍ تُحقّق عدمَ العودةِ إلى الذنب. والكرمُ لايكون كرماً حقّاً حتّىٰ يكونَ بنيّة الاستجابة لأمر الله عزّ شأنه وطلبِ مرضاته والتخلّقِ بأخلاقه، والاستنانِ بسُنّةِ حبيبهِ المصطفىٰ صلّى الله عليه وآله وأهل بيتِ العصمة والطهارة سلام الله عليهم.

وكذا مساوئ الأخلاق.. لا ينتهي عنها المؤمن ولا يبتعد إلّا لأنّها واقعة في سخط الله سبحانه، ومخالفةٌ لسيرة الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم.

رابعاً / إذا أردنا أن نستجمع خصائص الأخلاق الإسلاميّة قلنا:

إنّها منطويةٌ على المعاني الإلهيّة والخصائص الإنسانيّة الشريفة التي يرضاها الله جلّ جلاله، والتي تأخذ بيد العبد إلى الواقع في معاملاتٍ يوميّة، وتُخرجُه من أُطر النظريات الخياليّة والفِكَرِ الجامدة، والتوهّماتِ الفاقدة للحياة العمليّة.. فأخلاقُ الدِّين ليست كلماتٍ يُحسِنُ المرءُ التكلّمَ بها والتعبيرَ عنها بمنطقٍ جذّابٍ رصين، إنّما هي حالاتٌ تنبعُ في القلب وتظهر على الجوارح، وهي مُثُلٌ سامية مغموسة بالإيمان والتقوىٰ، ومشفوعةٌ بالنيّة الصادقة السليمة، ومنعكسة على الأقوال والأفعال.

* * *

وتطبيقاً لما سلف على الضيافة ـ باعتبارها خُلُقاً طيّباً كريماً ـ نرىٰ أنّها منطويّةٌ على الإيمان بالله تعالىٰ واليوم الآخِر، جاء في حديثٍ نبويٍّ شريف: «مَن كان يُؤمنُ بالله واليومِ الآخِر فَلْيُكرمْ

ضيفَه» (١)، وفي حديثٍ علويٍّ شريف: «إقْرُوا الضَّيف» (٢).

فالضيف حبيبُ الله ورسوله ـ كما ورد في الحديث القدسيّ الشريف ـ والزائرُ لأخيه هو زائرٌ لله جلّ وعَلا، وإكرامُه إكرامٌ لله تبارك وتعالى.. فقد رُويَ عن النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «مَن كان يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر فَلْيُكرمْ جليسَه» (٣)، «مَن أكرم أخاه فإنّما يُكرِم الله» (٤). وكرمُ الضيافة معبِّرٌ عن حسن الظنّ بالله سبحانه بأنّه الرزّاق والمُخْلِف، وهذا من الإيمان.. أتىٰ رجلٌ النبيَّ صلّى الله عليه وآله فقال: يا رسولَ الله، أيُّ الناس أفضلهم إيماناً؟ قال: «أبسَطُهم كفّاً» (٥).

وتنطوي الضيافةُ أيضاً على الكرامة كرامةِ الله تعالى للمضيَّف، كيف لاواللهُ سبحانه يقول في الحديث القدسي: «الضيفُ رسولي» (٦) فقد جاء:

---

(١) طبّ النبيّ صلّى الله عليه وآله المنسوب إلى أبي العبّاس المستغفريّ: ٢٠، ـ عنه: بحارالأنوار ٦٢: ٢٩٢ ـ الباب ٨٩.

(٢) بحارالأنوار ٧٧: ٢٩٥ / ح ٢ ـ عن: تحف العقول: ١٠٦ من خطبته عليه السلام المعروفة بـ «الدِّيباج»، وقَرى الضَّيفَ: أضافه.

(٣) كنزالعمّال، للهنديّ / خ ٢٥٤٩٠.

(٤) كنزالعمّال / خ ٢٥٤٨٨.

(٥) الكافي ٤: ٤٠ ـ باب معرفة الجود والسخاء / ح ٧.

(٦) من «الحديث القدسيّ» المعروف ـ يراجع: كلمة الله: ٤٨٠.

* عن جابر الجُعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «مَن زارَ أخاه في بيته قال الله عزّوجلّ له: أنت ضيفي وزائري، علَيَّ قِراك، وقد أوجبتُ لك الجنّة بحبِّك إيّاه» (١).

* وعن الحصين، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «مَن زار أخاه في الله قال الله عزّوجلّ: إيّايَ زرتَ وثوابُك علَيّ، ولستُ أرضىٰ لك ثواباً دون الجنّة» (٢).

* وعن عبّاد بن صُهَيب قال: سمعت جعفرَ بن محمّد عليهما السلام يحدّث، قال: «إنّ ضيف الله عزّوجلّ: رجلٌ حَجَّ واعتمر، فهو ضيفُ الله حتّىٰ يَرجِع إلىٰ منزله. ورجلٌ كان في صلاته، فهو في كَنَف الله حتّىٰ ينصرف. ورجلٌ زار أخاه المؤمنَ في الله عزّوجلّ، فهو زائرُ الله في عاجل ثوابه خزائن رحمته» (٣).

* وقد رُئيَ أميرُالمؤمنين عليه السلام حزيناً، فقيل له: مِمّ حزنُك؟ قال: «لسبعٍ أتَتْ لم يَضِفْ إلينا ضيف» (٤).

ويكفي أنَّ البيتَ الذي لا يدخله الضيف محرومٌ من نفحات البركة، لقول المصطفى الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «كلُّ بيتٍ لا

---

(١) الكافي ٢: ١٤١ ـ باب زيارة الإخوان / ح ٦.
(٢) الكافي ٢: ٨٧ ـ باب زيارة الإخوان / ح ٤.
(٣) الخصال: ١٢٧ / ح ١٢٧ ـ باب الثلاثة.
(٤) مناقب آل أبي طالب، لابن شهرآشوب ١: ٢٩٧.

يدخلُ فيه الضيفُ لا تَدخلُه الملائكة»[1]، وفي الحديث القدسيّ الشريف يقول الباري جَلَّ وعَلا: يا ابنَ آدم، المالُ مالي وأنت عبدي، والضيفُ رسولي، فإنْ منعتَ مالي من رسولي فلا تطمَعْ في جنّتي ونعمتي.. يا ابن آدم، ثلاثةٌ واجبات عليك: زكاةُ مالِك، وصِلةُ رَحِمِك، وقِرىٰ ضيفِك، فإذا لم تفعلْ ما أوجبتُه عليك فإنّي أُجزعُك إجزاعاً، وأجعلُك نكالاً للعالَمين»[2].

و تنطوي الضيافة كذلك على الحبِّ في الله، وإكرام المؤمنين، وهما من أفضل الأعمال عند الله عَزَّ شأنه.. جاء في إحدى الروايات الشريفة أنّ الله تعالىٰ قال لموسىٰ عليه السلام: «هل عَمِلتَ لي عملاً قَطّ؟! قال: صلَّيتُ لك، وصمتُ وتصدّقتُ وذكرتُ لك، قال اللهُ تباركَ وتعالى: أمّا الصلاةُ فلَكَ برهان، والصومُ جُنّة، والصدقةُ ظلّ، والذِّكرُ نور، فأيَّ عملٍ عملتَ لي؟! قال موسىٰ عليه السلام: دُلَّني على العمل الذي هو لك، قال: يا موسىٰ، هل واليتَ لي وليّاً، وهل عاديتَ لي عدوّاً قطّ؟! فَعَلِمَ موسىٰ أنَّ أفضل الأعمال الحبُّ في الله، والبُغْضُ في الله»[3].

---

(١) جامع الأخبار: ٣٧٨/ ح ١٠٥٨.

(٢) أشرنا إليه سابقاً، أنّه الحديث المسمّى بـ «الحديث القدسيّ».

(٣) بحارالأنوار ٦٩: ٢٥٢/ ح ٣٣ ـ عن دعوات الراونديّ (سلوة الحزين) ٢٢ ـ ٢٣/ ح ٨٠، مشكاة الأنوار ١: ٢٨٣/ ح ٢٤.

ولا شكّ أنَّ ضيافة المؤمن ترجمةٌ لحُبِّه لأخيه في الله، واستجابةٌ لوصيّة رسول الله صلّى الله عليه وآله: «أضِفْ بطعامكَ وشَرابِكَ مَن تُحبّهُ في الله تعالى» [1]، ووصيته الأخرىٰ: «أَطعِمْ طعامَك مَن تُـحبُّه في الله، وكُلْ طعامَ مَن يُحبُّك في الله عزّوجلّ» [2].

أَين النيّة؟!

ممّا يُؤسَف له حقّاً أن يكون المرء مضيافاً كـريماً، مـنفقاً مـالَه ووقته في خدمة ضيفه، ثمّ يكون فاقداً للنيّة الصحيحة السليمة، فلا يستحضر في قلبه وفكره معاني الضيافة السامية، ولا ينوي التأسّي بأخلاق الباري تبارك وتعالىٰ، ولا بسيرة النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا أوليائِه الأئمّة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين، في حين يقتضي أن تسبق النيّةُ العملَ، فهي أساسه.. جاء عن الإمام عليّ عليه السلام: «النيّةُ أساسُ العمل»، «الأعمال ثمارُ النيّات» [3].

وقد اشتهر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّـه قـال: «إنّـما

(١) نوادر الراونديّ: ١١.

(٢) مكارم الأخلاق: ٤٦٦.

(٣) غررالحكم: ٢٣، ١٥.

الأعمالُ بالنيّات، ولكلِّ آمرئ ما نـوى..» (١)، فـلابدّ لأعـمالنا ـ إن أردناها مقبولة ـ مِن نيّاتٍ حسَنةٍ يرتضيها الله جَـلَّ وعَـلا، فـيُغدق عليها توفيقاتِه المباركة، ويسكب عليها مثوباتِه الطيّبة، فـ(علىٰ قَدْر النيّة، تكون من اللهِ العطيّة) (٢) ـ كما قال الإمامُ عليٌّ عليه السلام ـ و «مَن صحّت نيّتُه تمّ عونُ الله له، ومَنْ قَصُرتْ نيّتُه قَصُر عنه العونُ بِقَدْر الذي قصر» (٣) ـ كما قال الإمام الصادق عليه السلام.

وقد تستهدف الضيافةُ أمرَ خير، تُجمَع فيها وجوهٌ لِيُقال أمامَها كلمةُ حقّ، أو لإصلاح ذات البَين، أو ليُدعىٰ فيها إلى قضاء حاجة أو خيرٍ وهداية.. كما فعل المصطفىٰ صلّى الله عليه وآله لمّا نزلت الآية المباركة: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرتَكَ الأَقْرَبِين**﴾، إذ جمع بني عبدالمطّلب ـ وهُم يومئذٍ أربعون رجلاً، الرجل منهم يأكل المسنة و يشرب العسّ ـ فأمر عليّاً عليه السلام برِجْلِ شاةٍ فأدَمَها ثمّ قال: «أُدنوا بسم الله»، فدنا القوم عشرةً عشرةً فأكلوا حتّىٰ صدروا، ثمّ دعا بقِعبٍ من لبن فجرع منه جرعةً ثمّ قال لهم: «اِشربوا بسم الله»، فشربوا حتّىٰ رووا، فَبدَرهم أبولهبٍ فقال: هذا ما سحَرَكم به الرجل! فسكت صلّى الله

(١) بحارالأنوار ٧٠: ٢١١/ح ٣٥ ـ عن: غوالي اللآلي.
(٢) غررالحكم: ٢١٥.
(٣) أمالي الشيخ المفيد: ٤٩.

عليه وآله يومئذ ولم يتكلّم، ثمّ دعاهم من الغد علىٰ مثل ذلك من الطعام و الشراب، ثمّ أنذرهم رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: «يا بني عبدالمطّلب، إنّي أنا النذير إليكم من الله عزّوجلّ، فأسلِموا وأطيعوني تهتدوا»، ثمّ قال: «مَن يُواخيني ويُوازرني، ويكون وليّي ووصيّي بعدي، وخليفتي في أهلي، ويقضي دَيني؟»، فسكت القوم، فأعادها ثلاثاً، كلّ ذلك يسكت القوم ويقول عليٌّ: «أنا».. [1].

ومِن لطف الله سبحانه وسَعةِ رحمته أنّ العبد يُثاب على صالح نيّته وإن قصر عملُه، ـ وإن كان تصحيح النيّةِ من أشقِّ الأعمال وأحمزها ـ كما يقول الشيخُ المجلسيّ رحمه الله [2]، لكنّ العبد إذا وُفّق لذلك نال ما لم ينلْه أحياناً بعمله، لِما يشوب العملَ من القصور والتقصير، أمّا إذا خَلُصت النوايا فالثوابات حاصلة؛ لذا يقول النبيُّ المصطفى صلّى الله عليه وآله: «نيّةُ المرء خيرٌ مِنْ عمله» [3]، «نيّةُ المرءِ أبلغُ مِن عمله» [4].. و بيانُ ذلك نستوضحه من هذين الحديثين الشريفين:

---

(١) جملة التفاسير في ظلّ الآية ﴿وأَنْذِرْ عَشِيرتَكَ الأقْرَبِين﴾ (الشعراء: ٢١٤). والمسنة: من أولاد المعز ما بلغ أربعة أشهر وفُصل عن أمّه، وأخذ في الرعي. والعسّ: القدح الكبير. أدَمها: خَلَطها بالأدام، وهو الطعام. والقعب: القدم الضخم الغليظ.

(٢) بحارالأنوار ٧٠: ١٩٣ ـ بيانه في ظلّ الحديث الشريف ٢.

(٣) الكافي ٢: ٦٩ ـ باب النيّة / ح ٢.

(٤) أمالي الطوسيّ ٢: ٦٩.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «نيّةُ المرء أفضلُ مِن عمله؛ وذلك لأنّه ينوي من الخير ما لا يُدركه» (١)، وقال الإمام الصادق عليه السلام في تعليل ذلك: «لأنَّ العملَ ربّما كان رياءَ المخلوقين، والنيّةُ خالصةٌ لربِّ العالمين، فيعطي عزّوجلّ على النيّة ما لا يُعطي على العمل» (٢).

وفي الضيافة.. لابدّ من النيّة المخلصة ليضمن المرءُ ثوابها، فربّما لم يُوفَّق في العمل بآداب الضيافة جميعها، أو قد يكون منه التقصير في خدمة ضيفه فتقصر همّتُه، عمّا كانت عليه نيّتُه.. وصَفَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام المؤمنَ يوماً فقال: «لا يبلغُ بنيّتِهِ إرادتَه في الخير، ينوي كثيراً من الخير ويعمل بطائفةٍ منه، ويتلهّفُ علىٰ ما فاته من الخير كيف لم يعملْ به» (٣).

أمّا إذا خَلَتِ الضيافةُ من النيّة الصالحة تماماً فإنّها ستقع في الغفلة، فلا هي تخلّقٌ بأخلاق الله تعالىٰ، ولا هي اتّباع لأخلاق الأنبياء والأولياء عليهم السلام، ولا هي رفعٌ لضائقة أو قضاءٌ لحاجة، أو نوالٌ لمثوبة.. حيث تكون الضيافة عادةً مجرّدة، في حين أنّ العاقل ينبغي أن يفكّر في الدوافع والعواقب.. يقول الإمام الصادق

---

(١) علل الشرائع ٥٢٤/ ح ٢ ـ الباب ٣٠١.

(٢) علل الشرائع ٥٢٤/ ح ١ ـ الباب ٣٠١.

(٣) تحف العقول عن آل الرسول (ص)، لابن شعبة الحرّانيّ: ١٥١، وتلهّف: بمعنى حزن عليه وتحسّر.

سلام الله عليه: «لابدّ للعبد من خالص النيّة في كلّ حركةٍ وسكون؛ لأنّه إذا لم يكن هذا المعنى يكون غافلاً..» (١).

وقد تكون النيّةُ سوءاً في الضيافة، فيستضيف المرء أصدقاءَه والباعثُ علىٰ ذلك هو الرغبةُ في الثناء وكسب المحامد والأمجاد، أو الدافع هو الشوق إلى الحصول على نفعٍ خاصّ، وقد يكون الهدف هو كسب السمعة، فتكون الضيافة رياءً، أو تكون مطويّةً على رغبةٍ دنيويّةٍ تافهة ليس فيها طلبٌ لمرضاة الله عزّوجلّ.. فيضيعُ المال، ويخيب العمل، وربّما خلّفا إثماً كثيراً ينتظره عذابٌ أليم.. قال النبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مَن أطعم طعاماً رِئاءً وسُمعةً، أطعَمَه اللهُ من صديد جهنّم، وجعل ذلك الطعامَ ناراً في بطنه حتّىٰ يقضيَ بين الناس يومَ القيامة» (٢).

مِن هنا تتّضح خطورةُ الأمر وأهميّةُ النيّة، ليس في الضيافة فحسب.. فقد أوصى النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أباذرّ رَحِمه الله فقال: «يا أباذرّ، لِيكنْ لكَ في كلّ شيءٍ نيّةٌ صالحة، حتّىٰ في النوم والأكل» (٣).

---

(١) مصباح الشريعة: ٥٣ ـ باب النيّة.

(٢) بحارالأنوار ٧٥: ٤٥٦ / ح ٣٢ ـ عن: كتاب زهد النبيّ (ص) للشيخ جعفر بن أحمد بن عليّ القمّيّ، بإسناده إلى ابن عبّاس.

(٣) مكارم الأخلاق: ٤٦٤.

والمؤمنُ في أعماله يطلبُ النيّةَ الحسنة حتّىٰ يَختِمَ هو بـخير، ويُختَمَ له بخير.. ففي دعاء مكارم الأخلاق قال الإمام السجّاد عليه السلام في صحيفته المباركة: «اللّهمّ صَلِّ عـلىٰ مـحمّدٍ وآله، وبـلِّغ بإيماني أكملَ الإيمان، واجعل يقيني أفضلَ اليقين، وآنْتَهِ، بنيّتي إلىٰ أحسن النيّات، وبعملي إلى أحسن الأعمال. اللّهمَّ وفّرْ بلطفِكَ نيّتي، وصَحّحْ بما عندك يقيني، واستصلحْ بقُدرتِكَ ما فَسَدَ منّي..» (١).

والمؤمنُ في ضيافته يحذر من أن تتسلّلَ إلى قـلبه نـيّةٌ تُـفسد عمله، فيخسر الثوابَ الأُخرويّ، وتكـون ضـيافتُه ضـيافةً جـاهليّةً تُنْصَب فيها الموائد للتفاخر، ويُدعىٰ إليها كبراءُ القـوم وأغـنياؤهم وشعراؤهم؛ ليُطروا المضيِّف ويكلّلوه بالمديح الكاذب، بينما يُحرَم من تلك الموائد الفقيرُ والمسكين واليتيم. وقـد ورد فـي ذلك ذمٌّ قرآنيٌّ كثير.. قال تعالىٰ بعد بيانِ عذاب مَن أُوتي كتابَه بشماله: ﴿**إنَّهُ كانَ لا يُؤمنُ باللهِ العظيم * ولا يَحُضُّ على طَعامِ المِسْكين**﴾ (٢)، وقال عزّ مِن قائل: ﴿**كلّا بَل لّا تُكْرِمونَ اليَتيمَ * ولا تَحاضُّونَ علىٰ طَعامِ المِسْكِين**﴾ (٣)، وقال جلّ وعَلا: ﴿**ما سَلَكَكُم فِى سَقَر * قالُوا لَمْ نَكُ**

(١) الدعاء العشرون من الصحيفة السجّاديّة المباركة.
(٢) سورة الحاقّة: ٣٣ ـ ٣٤.
(٣) سورة الفجر: ١٧ ـ ١٨.

مِن المُصَلِّين * ولَمْ نَكُ نُطْعِمُ المِسْكِين * وكُنّا نَخُوضُ مَعَ الخائِضِين * وكُنّا نُكَذِّبُ بِيَومِ الدِّين﴾ (١)، وقال سبحانه كذلك: ﴿**أَرَأَيتَ الَّذِي يُكذِّبُ بالدِّين * فَذٰلِكَ الّذِي يَدُعُّ اليَتيمَ * ولا يَحُضُّ على طَعامِ المسكين﴾** (٢).

وكذا جاء الذمُّ علىٰ لسان الحديث الشريف.. فقد رُويَ عن النبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «شرُّ الطعام: الوليمةُ يُدعىٰ إليها الشَّبعان، ويُحبَسُ عنها الجَيْعان» (٣). وكتب أميرُالمؤمنين عليه السلام كتاباً إلىٰ عاملِه على البصرة (عثمان بن حُنَيف) جاء في مستهلّه: «أمّا بعدُ يا ٱبنَ حُنَيف، فَقَد بلَغَني أنَّ رجلاً من فتيةِ أهل البصرة دَعاكَ إلىٰ مَأدبةٍ فأسْرعْتَ إليها، تُستطابُ لكَ الألوان، وتُنْقَلُ إليكَ الجِفان! وما ظَنَنْتُ أنَّكَ تُجيبُ إلىٰ طعامِ قومٍ عائلُهم مَجْفُوّ، وغنيُّهم مَدْعُوّ..» (٤).

فالضيف والمضيِّف.. كلاهما مَدعوّانِ إلىٰ أن تجمعَهما على المأدبة نوايا خيّرة، فالمضيّفُ يدعو أخاه المتّقي الذي يحبّه، ويعتني به ويخصُّه إذا كان فقيراً، والضيف إنّما يستجيب لِمَن يراه محبّاً له

(١) سورة المدّثّر: ٤٢ ـ ٤٦.

(٢) سورة الماعون: ١ ـ ٣.

(٣) كنزالعمّال / خ ٤٤٦٢٧.

(٤) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥، والعائل هو: الفقير، ومَجْفُو: مُعْرَضٌ عنه، مِن الجفاء.

مؤمناً متّقياً، فبهذا أوصىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وكذا أهلُ بيته عليهم السلام..

* قال صلّى الله عليه وآله: «أطعِمْ طعامَك مَنْ تُحبُّه في الله، وكُلْ طعامَ مَنْ يُحبُّك في الله عزّوجلّ» [(١)].

* وقال صلّى الله عليه وآله: «أُوصِي الشاهدَ من أُمّتي والغائب.. أنْ يُجيب دعوةَ المسلم ولو علىٰ خمسة أميال، فإنَّ ذلك من الدِّين» [(٢)].

* وفي النهي عن إجابة دعوة الفاسقين قال المصطفى صلّى الله عليه وآله: «أبى اللهُ لي زادَ المشركين والمنافقين، وطعامَهم» [(٣)].

* وقال لأبي ذرّ: «يا أباذرّ، لا تصاحِبْ إلّا مؤمناً، ولا يأكل طعامَك إلّا تقيّ، ولا تأكلْ طعامَ الفاسقين» [(٤)].

* وعن الإمام الصادق سلام الله عليه قال: «لا ينبغي للمؤمن أن يَجلسَ مجلساً يُعصَى اللهُ تعالىٰ فيه ولا يقْدِرُ على تغييره..» [(٥)].

فالمؤمنُ يتحرّز عن إجابة دعوة ظالم أو فاسق، أو ضيافةٍ يُراد

(١) مكارم الأخلاق: ٤٦٦.
(٢) المحاسن: ٤١١/ح ١٤٢.
(٣) المحاسن: ٤١١/ح ١٤٣.
(٤) مكارم الأخلاق: ٤٦٦.
(٥) جامع السعادات ٢: ١٥٥ ـ باب آداب الضيافة.

بها غيرُ وجه الله تعالىٰ، كأنْ تكون للتفاخر والمباهاة، أو يُقدَّم فيها طعام حرام أو مشبوه، أو يكون البُسط فيها أو المكـان مـغصوباً أو حراماً، أو في الموضع شيء من المنكرات كالخمرة وأواني الفضّةِ وآلات اللَّهو والطرب [1].

(١) جامع السعادات ٢: ١٥٥ ـ باب آداب الضيافة.

من عوائد الضيافة

من عوائد الضيافة

انتباهة: ما مِن أمرٍ أمَرَ الله جلّ جلاله به إلّا وهو مُنطوٍ على مصالح العبادِ ومنافعهم، وعائدٌ عليهم بالخير والسلامة والسعادة في الدنيا والآخرة، وما مِن أمرٍ نهى الله سبحانه عبادَه عنه إلّا وفي ارتكابه ضررُهم وتعاستُهم في الدنيا والآخرة. فالله عزّوجلّ هو الرؤوفُ بعباده.. يريد الخيرَ لهم، والرحمة بهم، وهو الحكيم.. يدلُّهم على الحقّ والصلاح والفضيلة، وعلىٰ كلّ ما يعود عليهم بالسعادة في حياتهم القصيرة هذه، وفي حياتهم الخالدة تلك.

وقد نبَّهَنا جَلَّ شأنُه إلىٰ أنّ الدنيا زائلة، ودعانا إلىٰ أن نجعل الآخرة أكبرَ همّنا، ومبتغانا، فنعمل في هذه لتلك، وهو القائل عزّ مِن قائل: ﴿**وَٱبْتَغِ فيما آتاكَ اللهُ الدارَ الآخِرةَ ولا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدنيا**﴾ (١)، وفي ظلّ هذه الآية الشريفة قال الإمام عليّ عليه السلام مفسّراً: «لا تنسَ صحّتَك وقوّتَك وفراغك وشبابك ونشاطك، أن تطلبَ بها الآخرة» (٢).

---

(١) سورة القصص: ٧٧.

(٢) معاني الأخبار، للشيخ الصدوق: ٣٢٥.

فالدنيا هي الحقل، وفي الآخرة الحصاد، والدنيا ـ كما يقول أميرالمؤمنين عليه السلام ـ: «دارُ مَمَرّ إلىٰ دار مَقرّ، والناس فيها رجلان: رجلٌ باع فيها نفسَه فأوبقها، ورجلٌ ابتاع نفسَه فأعتَقها» (١). ونحن في هذه الدنيا ضيوف، ويليق بالضيف أن يستثمر الوقت فيما ينتفع به، فإنّها فرصة يستفيدُ منها ويُفيد في لقائه وحديثه واستماعه.. قال الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أيُّها الناس، إنّ مَن في الدنيا ضيف، وما في أيديهم عارية، وإنّ الضيف مُرتحِل، والعارية مَردودة» (٢).

فإذا كان مَن في الدنيا ضيفاً فإنّ الدنيا دارُ ضيافة، والعاقلُ مَن تزوّد منها لِما بعدها، وما يُدرينا ما بعدها! ذاك الذي ترك في قلبِ عليّ صلوات الله عليه آهات، حيث كان يقول: «آهٍ من قلّةِ الزاد، وطولِ الطريق، وبُعدِ السفر، وعظيمِ المَورد!» (٣). فالمغتنِمُ مَن عَمِل فيها الصالحات، وأدّى الطاعات، وجاء بالمُنجيات.. سَمع

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١٣٣. وأوبقها: أهلكها في الآخرة بما باعها من متاع الدنيا، واعتقها بما شراها به من ذلك بالزهد فيه، وإنفاقه في سبيل الله. (اختيار مصباح السالكين، للشيخ ابن ميثم البحرانيّ: ٦١٢).

(٢) بحارالأنوار ٧٧: ١٨٩ / ح ١٠ ـ عن إعلام الدين، للديلميّ ـ أربعون حديثاً رواها ابن ودعان ـ ص ٣٤٤ / الحديث السادس والثلاثون.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٧٧.

أميرُالمؤمنين عليه السلام رجلاً يذمُّ الدنيا، فقال له: «إنَّ الدنيا دارُ صِدْقٍ لِمَن صَدَّقَها، ودارُ عافيةٍ لِمَن فَهِم عنها، ودارُ غنىً لِمَن تزوّد منها، ودارُ موعظةٍ لِمَنِ اتّعظ بها.. مسجدُ أحبّاءِ الله، ومُصلّىٰ ملائكةِ الله، ومَهبِطُ وحي الله، ومَتْجرُ أولياء الله، اكتَسَبوا فيها الرحمة، ورَبِحوا فيها الجنّة..»[1].

* * *

ومن الرحمة المكتسَبة في هذه الدنيا إقراءُ الضيف وإكرامُه.. قالت سلمى مولاةُ أبي جعفر الباقر عليه السلام: كان يدخل عليه إخوانُه فلا يخرجون من عنده حتّى يُطعمهم الطعام الطيّب، ويكسوهم الثياب الحسنة، ويَهبَ لهم الدراهم، فأقول له في ذلك ليُقلَّ منه، فيقول: «يا سلمى، ما حسَنةُ الدنيا إلّا صِلةُ الإخوانِ والمعارف»[2].

والضيافةُ فيها حسنةُ الدنيا والآخرة، لأنّها من الأخلاق التي يُحبّها اللهُ تعالى، ولأنّها سببُ الرزق والمغفرة، والخير والبركة، فقد بشّر المصطفى صلّى الله عليه وآله بذلك فقال: «الضيف يأتي القومَ

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١٣١.

(٢) كشف الغمّة ٢: ١١٨.

برزقه، فإذا ارتحلَ ارتحلَ بجميع ذنوبهم»[١]. ومن هنا عَرّف البعض معنى الضيف: أنّه الخَلَف، والمغفرة[٢].

❊ وفسّر الإمام الصادق عليه السلام هذه الآية المباركة ﴿**رَبَّنا آتِنا في الدُّنيا حَسَنةً وفي الآخِرةِ حَسَنةً**﴾[٣] بقوله: «رضوانُ الله والجنّةُ في الآخرة، والسَّعةُ في الرزق والمعاش وحسنُ الخُلق في الدنيا»[٤]. وذلك متحقّقٌ ـ بإذن الله ـ جميعاً في الضيافة التـي تكـتملُ آدابـها وشروطها، كما سيتبيّن ذلك.

❊ ❊ ❊

العوائد

إنّ الله جلّ وعلا دعانا إلىٰ خير الدارَينِ وسعادتهما، والضـيافة ممّا دعا إليه سبحانه، وكذا رسولُه الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهلُ بيته الأطهار عليهم السلام. وهي عائدةٌ على المضيِّف بالعوائد الطيّبة والخيرات والبركات: من الرزق الواسع ـ رغمَ أنّها إنفاق ـ ،

(١) بحارالأنوار ٧٥: ٤٦١/ ح ١٧ ـ عن: كتاب الإمامة والتبصرة.
(٢) لآلئ الأخبار ٣: ٦٦.
(٣) سورة البقرة: ٢٠٠.
(٤) معاني الأخبار: ١٧٥.

والمغفرةِ الراحـمة ـ رغـمَ أنّ البـعضَ لايـعتبرها ولا يـظنّها عـبادةَ استغفار ـ. وعلى أيّة حال.. فالنصوصُ الشريفة هي التي تُفصِح عن ذلك وتُبيِّن:

* قال النبيّ الصادق المصدَّق صلّى الله عليه وآله: «ما مِن ضيفٍ حلّ بقومٍ الّا ورزقُه في حِجْرِه»(١)، «إذا أراد الله بـقومٍ خـيراً أهـدىٰ إليهم هدية»، قالوا: وما تلك الهديّة؟ قـال: «الضـيف يـنزلُ بـرزقه، ويرتحل بذنوبِ أهلِ البيت»(٢).

فإذا كانت الضيافة تبلغُ هذا الشرفَ والفضل، فإنّ تَرْكها مذمومٌ عائد على المرء بالحرمان ونقصان الخير، وهذا مـا أفـصَحَت عـنه أخبارُ أهلِ بيت النبوّة صلوات الله عليهم.

*رُويَ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «لا خيرَ فيمَن لا يضيف»(٣). ومرّ صلّى الله عليه وآله يوماً برجلٍ له إبلٌ وبقرٌ كثير فلم يضيّفْه، ومرّ بعد ذلك بامرأةٍ لها شُـوَيهاتٌ فـذبحتْ له.. فـقال صلّى الله عليه وآله لأصحابه: «انظُروا إليهما، فإنّما هي الأخلاقُ بيدِ الله عزّوجلّ، فمَن شاءَ أن يَمنحَه خُلُقاً حسناً فَعَل»(٤).

---

(١) جامع السعادات ٢: ١٥١ ـ باب الضيافة.
(٢) بحارالأنوار ٧٥: ٤٦١/ح ١٤ ـ عن جامع الأخبار ٣٧٨/ح ١٠٥٧.
(٣) جامع السعادات ٢: ١٥١.
(٤) جامع السعادات ٢: ١٥١.

* وعن الإمام عليّ عليه السلام أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: «لا تَزال أُمّتي بخيرٍ ما تحابُّوا، وأدَّوُا الأمانة، واجتنبوا الحرام، وأقْرَوُا الضيف، وأقاموا الصلاةَ وآتَوُا الزكـاة.. فـإذا لم يـفعلوا ذلك ابـتُلوا بالقَحْطِ والسنين» (١).

* وقال صلّى الله عليه وآله أيضاً: «كلُّ بيتٍ لا يَدخل فيه الضيف لاتدخله الملائكة» (٢).

ومِن هنا يُفهَم ما للضيافة من كرامةٍ وعزّةٍ وشرف، أمّا إذا رَغِبنا في الاستزادة من هذا المعنى الرفيع فلنتأمّل في كلمة الإمام الصادق عليه السلام: «المكارم عشر، فإن آستطعتَ أنْ تكون فيك فَـلْتكنْ؛ فإنّها تكون في الرجل ولاتكون في وَلَده، وتكون في ولده ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولاتكون في الحر: صِدقُ البأس، وصدق اللسان، وأداءُ الأمانة، وصلةُ الرَّحِم، وإقراء الضيف، وإطعامُ السائل، والمكافاة على الصـنائع، والتـذمّم (٣) للـجار، والتـذمّم للـصاحب.. ورأسُهنّ الحياء» (٤). ولأهميّة شأنِ الضيافة أثبتها أميرُالمؤمنين عليه السلام: فـي وصـيّته الشـريفة لولده الحسـن عـليه السـلام، فـقال:

---

(١) جامع الأخبار ٣٧٧/ ح ١٠٥٢.

(٢) جامع الأخبار ٣٧٨/ ح ١٠٥٨.

(٣) التعهّد وحفظ الحُرمة.

(٤) الخصال: ٤٣١/ ح ١١ ـ باب العَشرة.

«أُوصيكَ يا بُنيَ بالصلاةِ عند وقتها.. وإكرامِ الضيف»[١]. وكان سلام الله عليه يقول: «الضيافة رأس المروءة»[٢].

أجل.. إنّها الكرامةُ والنماء، وإنّها مَهبِطُ رضى الله تعالىٰ ومصبُّ رحمته، حيث لقاءُ الإخوان المؤمنين، وصلة الأحبّة والأرحام، وفي ذلك خيرٌ وافر.. قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «أيُّما ثلاثةِ مؤمنينَ اجتمعوا عند أخٍ لهم يأمَنونَ بوائقَه، ولا يخافون غوائلَه، ويرجونَ ما عنده، إن دَعُوا اللهَ أجابهم، وإنْ سألوا أعطاهم، وإن استزادوا زادهم، وإن سكتوا ابتدأَهم»[٣].

وما يُدرينا ما في الضيافة مِن أسباب الخير والهداية والكرامة! فقد رُويَ عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «إنّ رسول الله قدّم أسيراً من اليهود فأمر عليّاً عليه السلام بضرب عنقه، فنزل عليه جبريلُ فقال: يا محمّد، ربُّك يُقرِئك السلام، ويقول: لا تَقْتُلْه، فإنّه حسَنُ الخُلق، سخيٌّ في قومه. فأسلم اليهوديّ»[٤].

* وعن الإمام الباقر عليه السلام: «أُتيَ النبيُّ صلّى الله عليه وآله

---

(١) أمالي الطوسيّ ١: ٦.

(٢) غررالحكم: ٥٢٨.

(٣) الكافي ٢: ١٤٠ ـ باب زيارة الإخوان /ح ١٤.

(٤) أمالي الصدوق ١٦٧ ـ ١٦٨/ح ١٦٤ ـ المجلس ٢٢، الجواهر السَّنيّة، للحرّ العامليّ ١٣٥.

بأسارىٰ فأمر بقتلهم وخلّى رجلاً مِن بينهم، فقال الرجل: كيف أطلقتَ عنّي مِن بينهم؟! فقال: أخبَرَني جبرئيل عن الله جلّ جلاله أنّ فيك خمسَ خصال يحبّها الله ورسولُه: الغَيرة الشديدة على حرمك، والسخاء، وحسن الخُلق، وصدق اللسان، والشجاعة. فلمّا سمعها الرجل أسلم وحسن إسلامه، وقاتل مع رسول الله صلّى الله عليه وآله قتالاً شديداً حتّى استُشهِد» (١).

❊ وكذا رُوي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «أُتي رسول الله صلّى الله عليه وآله بأُسارى، فقدّم رجلاً ليضرب عنُقَه، فقال جبريل: يا محمّد، ربُّك يُقرئك السلام ويقول: إنّ أسيرك هذا يُطعم الطعام، ويُقري الضيف، ويصبر على النائبة، ويحتمل الحمالات. فقال له النبيّ صلّى الله عليه وآله: إنّ جبريل أخبرني عنك ـ عن الله ـ بكذا وكذا، وقد أعتقتُك، فقال له: وإنّ ربَّك لَيُحبّ هذا؟! فقال: نعم. فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّك رسول الله، والذي بعثكَ بالحقّ، لا رددتُ عن مالي أحداً أبداً» (٢).

❊ ❊ ❊

---

(١) الخصال: ٢٨٢/ ح ٢٨ ـ باب الخمسة.

(٢) المحاسن: ٣٨٨ ـ ٣٨٩/ ح ١٤.

اِلتفاتة

ممّا يجدرُ معرفتهُ هو أن ليست كلُّ ضيافةٍ محمودةً في الدِّين، واقعةً تحت رحمة الباري سبحانه، إنّما الممدوحة ما كانت معقودة على طاعة الله و محبّته، يُدعى إليها المؤمنون، ويُستزاد فيها من الأجر والثواب.. جاء عن الإمام الصادق سلام الله عليه قولُه: «مَن أطعَمَ ثلاثة نفرٍ من المؤمنين أطعَمَه الله مِن ثلاث جِنان: ملكوتِ السماء الفردوس، وجنّةِ عَدْن، وطُوبى ـ وهي شجرةٌ من جنّة عدنٍ غرَسَها ربّي بيده» (١).

والضيافة التي يُثاب فيها الضيفُ والمضيِّف ما كانت لوجه الله سبحانه، معطّرةً بذِكر الله جَلّ وعلا، فإذا انفضّ حُضّارها عادوا مُنشرحِي الصدور، منوَّري العقول، قد تعلّموا فيها خيراً كثيراً.

ولعلّ من أفضل الضيافات ضيافةَ المؤمن والعابد والصائم، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في ذلك أنّه قال: «إنّ مِن رَوحِ اللهِ تعالىٰ ثلاثة: التهجّدَ باللّيل، وإفطار الصائم، ولقاء الإخوان» (٢).

(١) ثواب الأعمال: ١٣٦ ـ باب ثواب مَنْ أطعم ثلاثة نفر من المؤمنين؛ المآكل من المحاسن ص ٣٩٣ باب الإطعام / ح ٤٣.
(٢) أمالي الطوسيّ ١: ١٧٥.

حيث الوقت مُستثمَرٌ بصالح الأقوال: بين تذكّرٍ وتذكير، وتعلّم وتعليم، وحثٍّ على الباقيات الصالحات.. تدور بين الإخوة أحاديثُ يُحبّها الله عزّوجلّ، لأنّها تُحْيي قلوبهم، فإذا اجتمعوا علىٰ مأدبةٍ كان طعامُها حلالاً، وكانت آدابُ الأكل حاضرة، وكان للفقير حضورٌ ملحوظٌ غالباً، فيُثاب المُطعِم وتَهبطُ البركة، وتزداد أواصر الأُخوّة والمحبّة عمقاً.. ولهذا حثّ الإسلام علىٰ مجالسة الصالحين، فإنّ فيها اقتباسَ الصلاح، وتهذيبَ النفوس، والاقتداءَ بأهل المعرفة والطاعة. جاء عن النبيّ الهادي صلّى الله عليه وآله قولُه: «مِن خيرِ حظِّ المرء قرينٌ صالح. جالِسْ أهلَ الخيرِ تكنْ منهم»[1].

وأهلُ الخيرِ والصلاح تُعرَف مجالسُهم بخلوّها من الرياء وتنزّهها عن آفات اللّسان، وأنّها زاهية بعاطر ذِكْر الله تعالى. فالضيافة لهم أو عندهم تعني الانتفاع من علمهم وتقواهم وأخلاقهم، كما تعني إحياءَ القلوب بالمواعظ الحسنة والسُّنن الشريفة، فمُلتقاهم لا يخلو من ذِكْر الله أو ذِكْر مَن يُحبّه الله، من الأولياءِ المخلصين صلوات الله عليهم أجمعين، فبينَ أن يسمع جليسُهم حُكماً شرعيّاً أو مسألة فقهيّة، أو يسمع روايةً في سيرةٍ أخلاقيّة، أو عقيدةً حقّة، أو بحثاً علميّاً شائقاً، وقد يسمع ذِكْراً

---

(١) المواعظ، للشيخ الصدوق: ٦٥.

لفضائل أهل البيت عليهم السلام ومناقبهم، أو مجلسَ عـزاءٍ عـلىٰ سيّد الشهداء الحسين عليه السلام، أو دعاءً شـريفاً، أو تـلاوةً فـي كتاب الله العزيز، أو زيارةً لأحدِ الأئمّة الطاهرين صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين.. فلا يخرج إلّا بزيادةٍ في نورانيّته، وقد حصل علىٰ عبادة، وجنىٰ ثواباً، وأصاب مرضاةَ ربّه عزّوجلّ.

وللآثار المباركة لهذه الضيافات والمـجالس فـي تـربية النـاس وإرشادهم.. دَعَتِ الرواياتُ الوافرة إلىٰ إقامتها وإعمارها، والانتفاع بها، من ذلك:

* قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «ما اجتمَعَ قومٌ يَذْكرون فضلَ عليّ بنِ أبي طالب عليه السـلام إلّا هـبَطَت عـليهم مـلائكةُ السماء حتّىٰ تحفَّ بهم، فإذا تفرّقوا عرَجَتِ الملائكة إلى السـماء، فيقول لهم الملائكة: إنّا نَشمّ مِن رائحتكم ما لا نشمّه من الملائكة، فلم نَرَ رائحةً أطيبَ منها! فيقولون: كنّا عند قـومٍ يـذكرونَ مـحمّداً وأهلَ بيته عليهمُ السلام، فعَلَق مِن ريحهم فتعطّرنا، فيقولون: اهبطوا بنا، فيقولون: تفرَّقوا ومضىٰ كلُّ واحدٍ مـنهم إلىٰ مـنزله، فـيقولون: اهبطوا بنا حتّىٰ نتعطّر بذلك المكان»[1].

*وقال رسول الله صلّى الله عـليه وآله: «إذا رأيـتم روضـةً مِـن

---

(١) مستدرك الوسائل ١٢: ٣٩٢/ ح ١٤٣٨٧، الروضة لابن شاذان ١٥١.

رياض الجنّة فارتَعُوا فيها»، قيل: يا رسول الله، وما روضة الجنّة؟ قال: «مجالس المؤمنين» (١).

* وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله أيضاً: «بادروا إلىٰ رياض الجنّة». فقالوا: وما رياض الجنّة؟ قال: «حَلَقُ الذِّكْر» (٢).

* وقال الإمام الباقر عليه السلام لأحد أصحابه: «أتَخْلون وتتحدّثون، وتقولونَ ماشئتم؟!» قال: قلت: إي والله.. فقال عليه السلام: «أمَا واللهِ لَوَدَدْتُ أنّي معكم في بعض تلك المواطن، أما واللهِ إنّي لَأُحبُّ رِيحكم وأرواحَكم، وإنّكم علىٰ دِين الله ودِين ملائكته، فأعينونا بورع واجتهاد» (٣). وقال عليه السلام لآخر: «أتَتجالسون؟!» قال: نعم، فقال: «واهاً لتلك المجالس!» (٤). ووَجَّه المؤمنين يوماً فقال لهم: «تَزاوروا في بيوتكم، فإنّ ذلك حياةٌ لأمرنا، رَحِم اللهُ عبداً أحيا أمرنا» (٥). وأوصى أحدَ خواصّه فقال له: «بلِّغْ

---

(١) مستطرفات السرائر، لابن إدريس: ١٤٣/ح ٧.

(٢) معاني الأخبار: ٣٢١، وحلَقُ الذِّكرْ: هي المجالس الّتي يُذكَر الله فيها على قانون الشرع، ويُذكر فيها علوم أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، ومجالس الوعظ الّتي يُذكر فيها وعدُه ووعيده، لا المجالس المبتدعة المخترعة التي يُعصى الله فيها، فإنّها مجالس الغفلة لا حلَق الذكر (سفينة البحار ـ باب الذِّكْر).

(٣) مصادقة الإخوان: ١٧ ـ باب اجتماع الإخوان في محادثاتهم/ح ٢.

(٤) مصادقة الإخوان: ١٨ ـ ح ٥.

(٥) الخصال: ٢٢/ح ٧٧ ـ باب الواحد.

شيعتَنا السلام، وأوصِهم بتقوى الله العظيم..»، إلىٰ أن قال عليه السلام: «ويَتلاقَوا في بُيوتِهم؛ فإنّ لقاءَ بعضهم بعضاً حياةٌ لأمرِنا، رَحِمَ اللهُ امرأً أحيا أمرَنا وعَمِل بأحسنه» (١).

* ومِن بعده أوصى الإمام الصادق عليه السلام أحدَ خواصّه أيضاً فقال له: «أبلِغْ مَواليَّ عنّي السلام، وأنّي أقول: رَحِم اللهُ عبداً اجتمع مع آخَرَ فتذاكرا أمرَنا؛ فإنّ ثالثَهما ملَكٌ يستغفر لهما، وما اجتمع اثنانِ علىٰ ذِكْرنا إلّا باهى الله تعالىٰ بهما الملائكة. فإنِ اجتمعتُم فاشتغلوا بالذِّكْر؛ فإنّ في اجتماعكم ومُذاكرتكم إحياءَنا، وخيرُ الناس بعدنا مَن ذاكَرَ بأمرنا، ودعا إلىٰ ذِكْرنا» (٢).

وفي روايةٍ أخرىٰ: «تزاوروا؛ فإنّ في زيارتكم إحياءً لقلوبكم، وذِكْراً لأحاديثنا، وأحاديثُنا تَعطفُ بعضَكم علىٰ بعض..» (٣).

* وقال لفُضَيل: «تَجلسون وتَحَدّثون؟!» قال: نعم جُعِلتُ فداك، فقال عليه السلام: «إنّ تلك المجالسَ أُحبُّها، فأحْيُوا أمرَنا يا فُضَيل، فَرَحِمَ اللهُ مَن أحيا أمرَنا. يا فُضَيل، مَن ذكَرَنا أو ذُكِرْنا عنده فخرج مِن عينه مثلُ جَناح الذباب، غفر اللهُ له ذنوبه ولو كانت أكثرَ مِن زَبَدِ البحر» (٤).

---

(١) دعائم الإسلام ١: ٦١.
(٢) المحاسن: ٦٣/ ح ١٠٧.
(٣) الكافي ٢: ١٤٩ ـ باب تذاكر الإخوان / ح ٢.
(٤) قُرب الإسناد، للحِمْيريّ ٣٦/ ح ١١٧ ـ أحاديث متفرّقة.

* ورُويَ عن مولانا الإمام الجواد عليه السلام أنّه قال: «رَحِمَ اللهُ عبداً أحيا ذِكْرنا»، فقيل له: ما إحياءُ ذِكركم؟ قال: «التلاقي والتذاكر عند أهل الثبات»[(١)].

وضيافةُ المؤمنين تأتي بهذا العطاء كلِّه، وتعطي ثمار هذا الخير كلّه، فرُبَّ مجلسٍ لهم ذُكِرتْ فيه آياتٌ وروايات، ودعَواتٌ وزيارات، وانعقد فيه ذِكْرٌ للنبيّ وآله صلواتُ الله عليه وعليهم، فأحيَوا أمرَهم، ونشروا أحاديثهم، وعدّدوا شيئاً من فضائلهم وكراماتهم، وبيّنوا بعضاً من علومهم، حتّىٰ يخرج الضيف ولسانُ حاله يقول: طُوبىٰ لمن استضاف إخوانَه علىٰ هذه! ولسانُه يردّد مصدِّقاً قول مولانا الباقر عليه السلام: «ألا وإنّ لكلّ شيءٍ سيّداً، وسيّدُ المجالس مجالسُ الشيعة»[(٢)].

* * *

قد تقتضينا معرفةُ عوائد الضيافة أن نتعرّفَ على فضل المضيِّف من خلال بعض الأخبار الشريفة..

فأحدُها يذكر: أَنّ الأرض لانتْ لرجلٍ مات حتّىٰ حُفِرتْ تلك الأرض بالكفّ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لقد كان يُحِبّ

---

(١) مصادقة الإخوان: ١٧ ـ باب اجتماع الإخوان في محادثتهم /ح ٣.

(٢) تفسير فرات الكوفيّ، ٢٠٨.

إقراءَ الضيف، ولا يُقري الضيفَ إلّا مؤمنٌ تقيّ» (١).

والآخر مِن تلك الأخبار: أنَّ رجلاً ذُكِر لرسول الله صلّى الله عليه وآله بعضُ أعماله، وكان منها إقراء الضيف، فقال صلّى الله عليه وآله له: «بخٍ بخٍ بخ، ما لِجهنّمَ عليك سبيل، إنّ الله قد بَرأكَ من الشُّحّ إن كنتَ كذلك» (٢).

وثالث: أنّه صلّى الله عليه وآله قال: «الضيفُ دليلُ الجنّة» (٣).

ورابع: أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «ما مِن مؤمنٍ يُحبّ الضيف إلّا ويقوم مِن قبرهِ ووجهُه كالقمر ليلة البدر، فيَنظر أهلُ الجمع فيقولون: ما هذا إلّا نبيٌّ مُرسَل! فيقول مَلَك: هذا مؤمنٌ يُحبّ الضيف، ويُكرِم الضيف، ولا سبيلَ له إلّا أن يدخلَ الجنّة» (٤).

وخامس: يُشير إلى أنّ الضيافة ـ علىٰ كلِّ حال ـ شرفٌ دُنيويّ، وعزّ وكرامةٌ للمرء، فقد جاء عن أميرالمؤمنين عليه السلام قوله: «المُروءةُ: بَثُّ المعروف، وقِرَى الضيوف» (٥)، كما جاء عنه عليه السلام قوله أيضاً: «مِن أفضل المكارم: تَحَمُّلُ المَغارم، وإقراء الضيوف» (٦).

---

(١) قرب الإسناد ٧٤ ـ ٧٥ / ح ٢٤٠ ـ أحاديث متفرّقة.

(٢) قرب الإسناد ٧٥ / ح ٢٤١ ـ أحاديث متفرّقة.

(٣) جامع الاخبار: ٣٧٨/ح ١٠٥٥ ـ الفصل ٩٤ في الضيافة وفضلها.

(٤) جامع الاخبار: ٣٧٨/ح ١٠٥٦ ـ الفصل ٩٤.

(٥) غرر الحكم ٥٨، و شرح غرر الحكم ٢ : ١٥٦.

(٦) غرر الحكم ٣٠٤، و عيون الحكم ٦ : ٤١٤.

آداب الضيف

آداب الضيف

كلّ مُعَنوَنٍ ينبغي أن يحمل مقتضيات عنوانه، وكلُّ مسمّىً يَحسُن به أن يُعرِب عن خصائص اسمه. والضيف هو مَن أُضيف بإكرام إلى مضيِّفه، رَحِماً كان أو صديقاً أو أخاً في الله، أقبلَ إلىٰ أخيهِ ليدخلَ عليه بالرزق والبركة، ويخرج من عنده بالرحمة والمغفرة، وهو في لسان الروايات: هديّة الله، ورسولُ الله.. ولكنْ كيف يرتحل بذنوب أهل البيت الذين نزل عليهم ضيفاً إذا لم يُكرموه ولم يَرعَوا فيه حُرمة الضيافة وآدابها؟! وكيف يخرج هو بالمغفرة إذا لم يكن في دخوله مراعاة لحرمة الدار وأصحابها؟! فيسأل نفسه: هل دخل بالكلمة الطيّبة والخبر المُسرّ فنال البشارةَ من النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ما مِن عبدٍ يُدخِل على أهل بيت مؤمنٍ سروراً إلّا خلَقَ اللهُ له من ذلك السرور خَلْقاً يَجيئُه يومَ القيامة، كلّما مرّتْ عليه شديدة يقول: يا وليَّ اللهِ لا تَخَف، فيقول له: مَن أنت يرحمك الله؟! فلو أنّ الدنيا كانت لي ما رأيتُها لك شيئاً، فيقول: أنا السرورُ الذي أدخلتَ على آل فلان»[1].

---

(١) ثواب الأعمال: ١٤٩ ـ باب ثواب من أدخل على أهل بيت مؤمنٍ سروراً.

وقد لا يتصوّر الضيف ما لإدخالِ السرور من عظيم الثواب وكبير الفضل، حتّى يسمع أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله قال في ذلك: «مَن سرَّ مؤمناً فقد سرّني، ومَن سرّني فقد سرَّ الله» (١).

* وحتّى يستمع إلى الإمام الصادق عليه السلام وهو يقول: «لا يرىٰ أحدُكم إذا أدخل علىٰ مؤمنٍ سروراً أنّه عليه أدخله فقط، بلْ واللهِ علينا، بل واللهِ علىٰ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله» (٢).

وممّا يسرّ المؤمنَ ذِكْرُ الله عزّوجلّ، وذكْرُ مَن يُحبّ اللهُ سبحانه أن يُذكَر، فإذا وُفّق الضيف لذلك فقد أصاب خيراً وثواباً كثيرَين، وأدخل على مضيّفه الأُنسَ والبركة، وخرج من عنده مغفوراً له ولأخيه المؤمن؛ لأنّه دخل بالمسرّة وخرج على التحابب في الله عزّوجلّ.

ولكي يبقىٰ الضيف عازماً على ذلك يَحسنُ به أن يتذكّر هذه الأحاديث الشريفة:

* قال أبوعبدالله الصادق عليه‌السلام: «مَن سرّ آمرءاً مؤمناً سرّه اللهُ يومَ القيامة، وقيل له: تَمَنَّ علىٰ ربِّك ما أحببت، فقد كنتَ تُحبّ أن تسرَّ أولياءَه في دار الدنيا. فيُعطىٰ ما تمنّىٰ، ويَزيدُه الله مِن عنده ما

(١) الكافي ٢: ١٨٨ ـ باب إدخال السرور على المؤمنين / ح ١.
(٢) الكافي ٢: ١٨٨ / ح ٦.

لم يخطر علىٰ قلبِه من نعيم الجنّة»[١].

* وقال الإمام الرضا عليه‌السلام: «المُتحابّين[٢] في الله يومَ القيامة علىٰ مَنابرَ من نور، قد أضاءَ نورُ وجهِهم وأجسادهم ونورُ منابرهم كلَّ شيء، حتّىٰ يُعرَفوا أنّهمُ المتحابّون في الله عزّوجلّ»[٣].

* وفي حديثٍ له طويل.. قال الإمام الصادق عليه‌السلام: «إذا بعث اللهُ المؤمنَ مِن قبره خرج معه مثالٌ من قبره يَقْدِمُه أمامَه، وكلّما رأى المؤمنُ هَولاً مِنْ أهوالِ يوم القيامة قال له المثال: لا تَحزنْ ولا تَفزعْ، وأبشِرْ بالسرورِ والكرامةِ من الله. فلا يزال يُبشّره بالسرور والكرامة مِن الله حتّىٰ يقف بين يَدَي الله جلّ جلاله فيحاسبه حساباً يسيراً، ويأمر به إلى الجنّة والمثالُ أمامَه، فيقول له المؤمن: رَحِمَكَ الله، نِعمَ الخارجُ كنتَ معي في قبري، وما زلتَ تُبشّرُني بالسرور والكرامة حتّىٰ رأيتُ ذلك، فمَن أنت؟ قال: فيقول: أنا السرور الذي كنتَ أدخلتَه علىٰ أخيكَ المؤمن، خَلَقَني اللهُ منه لأُبشّرك»[٤].

---

(١) ثواب الأعمال: ١٤٩ ـ باب من سرّ مؤمناً.

(٢) هكذا في الأصل، ولعلّه من خطأ المُصحِّف، وإلّا فالكلمة مرفوعةٌ على الابتداء: المُتحابّون، وربّما كان للإمام استعمالٌ آخر أراد عليه السلام به الحالَ المستمر على المحبّة ودوامها.

(٣) ثواب الأعمال: ١٥٢ ـ باب ثواب المتحابّين في الله عزّوجلّ.

(٤) ثواب الأعمال: ١٥٠ ـ باب ثواب إدخال السرور على الأخ المؤمن.

والضيافة من شأنها أنْ يُعقَد فيها مجلس، لا يدري الضيفُ ماذا سيكون الحديث فيه، وقد يكونُ علىٰ وَجَلٍ من أمره فيراجع نيّتَه، وينقل خُطُواتِه علىٰ بصيرة و هدىً إلىٰ مجلسٍ نافع، فيه الكلمةُ الواعظة يُحيي بها قلبه، والثوابُ الوافرُ يغتنمُ منه لآخرته. وهو قبل ذلك ينوي أن لا يستمعَ إلىٰ ما لا يَحلّ، ولا يتحدّثَ فيما لا يجمل، ولا يخوض في ما يَحرم، والّا غادر ذلك المكانَ الذي يُعصى الله تعالى فيه.. كان فيما أوصىٰ به لقمان عليه‌السلام ابنه أنْ قال له: «يا بُنَيّ، إختر المجالسَ علىٰ عينك، فإن رأيتَ قوماً يذكرونَ اللهَ عزّوجلّ فاجلسْ معهم، فإنّك إن تكُ عالماً ينفعك علمُك ويَزيدونك علماً، وإن كنتَ جاهلاً علّموك، ولعلّ اللهَ أن يُظلَّهم برحمةٍ فتعمَّك معهم. وإذا رأيتَ قوماً لا يذكرون اللهَ فلا تجلسْ معهم، فإنّك إن تكُ عالماً لا ينفعُك علمك، وإن تك جاهلاً يزيدونك جهلاً، ولعلّ اللهَ أن يَصِلَهم بعقوبةٍ فتعمَّك معهم»(١).

ولكي نشتاق إلى الضيافة التي فيها مجالسُ الذِّكْر والطاعة، نقرأ هذا الحديثَ المبشّر، والذي قال فيه نبيُّ الرحمة صلّى‌الله عليه وآله: «إنّ الملائكة يمرّون على حَلَقِ الذِّكْر فيقومون علىٰ رؤوسهم، ويبكون لبكائهم، ويُؤمّنون علىٰ دعائهم، فإذا صَعِدوا إلى السماء

(١) بحارالأنوار ٧٥: ٤٦٥، ٤٦٦ /ح ٨ ـ عن: علل الشرائع ٣٩٤/ح ٩ ـ الباب ١٣١.

يقول اللهُ تعالى: يا ملائكتي أين كنتُم؟! ـ وهو أعلم ـ فيقولون: يا ربَّنا، إنّا حضرنا مجلساً من مجالس الذِّكْر، فرأينا أقواماً يُسبّحونك ويُمجّدونك ويُقدّسونك، ويخافون نارَك، فيقول الله سبحانه: يا ملائكتي، أُزْوُوها عنهم [١]، وأُشهِدُكم أنّي قد غفرتُ لهم وآمنتُهم ممّا يخافون، فيقولون: ربَّنا إنّ فيهم فلاناً وإنّه لم يَذكُرْك، فيقول اللهُ تعالى: قد غفرتُ له بِمُجالسته لهم، فإنّ الذاكرين مَن لا يشقىٰ بهم جليسُهم» [٢].

فالضيافة المباركة ما استضافت ملائكةَ الرحمان، وحَظِيتْ بتأمين الدعاء، واستنزلتِ المغفرةَ والأمان، فإليها يحقّ أن تشتاق قلوبُ المؤمنين، وإلىٰ مَن يعقدها يحقّ أن تهفو نفوسُهم، وإلّا خُيّبوا.. جاء عن رسول الله صلّى‌الله عليه وآله قوله: «مَن لم يُنتفَعْ بِدِينه ولا دنياه فلا خيرَ في مجالسته» [٣]، وعن الإمام الصادق عليه‌السلام أنّه قال: «ما اجتمع قومٌ في مجلس لم يَذكروا اللهَ ولم يَذكرونا إلّا كان ذلك المجلسُ حسرةً عليهم يومَ القيامة»، وقال عليه‌السلام: «ما مِن مجلسٍ يجتمع فيه أبرار وفُجّار، ثمّ تفرّقوا علىٰ غير ذِكر الله، إلّا كان ذلك حسرةً عليهم يومَ القيامة». [٤]

---

(١) أي ازْووا النارَ عنهم.

(٢) عُدّة الداعي، لابن فهد الحلّي، ص ٢٥٦ ـ عنه: بحارالأنوار ٧٥: ٤٦٨/ ح ٢٠.

(٣) المواعظ: ٦.

(٤) عدّة الداعي ـ عنه: بحارالأنوار ٧٥: ٤٦٨/ ح ٢٠.

ومِن هنا تتبيّن أهميّةُ النيّة، فإذا ابتغى الضيفُ وصلاً للأُخوّة الإيمانيّة والرَّحِميّة، وراعىٰ آداب الضيافة وُفّق لخير الدنيا والآخرة، أو راعىٰ آداب المجالسة أَصاب حظّاً من الثواب، وأمِن من مُوجبات العقاب.

* * *

وقد مرّت علينا ـ عَرَضاً ـ بعضُ آداب الضيافة، إلّا أنَّ كثيراً منها يحتاج إلى التعرّف عليه بشكل واضح، مبتدئين بآداب الضيف، الذي يزور إخوانه وينزل عندهم أو يستجيب دعوتهم. ومِن الآداب المهمّة:

[١] الاستجابة لدعوة المؤمنين، فهي تعبيرٌ عن إكرام الداعي، واعتزازٍ بأخوّته و قبولٍ لمبادرته وتشجيعٍ وإعانةٍ له على سخائه. وذلك كلُّه حَكَتْه رواياتٌ شريفة عديدة، منها:

* قولُ النبيّ صلّى الله عليه وآله: «مِن تَكْرُمةِ الرجل لأخيه المسلم أن يَقْبَلَ تُحفتَه، أو يُتحفه ممّا عنده، ولا يتكلّف له شيئاً» (١).

* وقول الإمام الحسين عليه السلام: «مَن قَبِل عطاءَك، فقد أعانَك على الكرم» (٢).

(١) نوادر الراونديّ: ١١.

(٢) الدرّة الباهرة، للشهيد الأوّل: ٢٤.

وقد عرفنا مِن قبلُ كيف استجاب الإمام الحسين عـليه‌السـلام للفقراء الذين دَعَوه علىٰ كُسَيراتِ خبز، وفـي روايـة الإمـام البـاقر عليه‌السلام: «كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يُجيب الدعوة» (١).

* وقال عليه‌السلام: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أُوصِي الشاهدَ مِن أُمَّتي والغائبَ أن يُجيب دعوة المسلم ولو علىٰ خمسة أميال، فإنّ ذلك من الدين» (٢).. قال صلّى الله عليه وآله ذلك وهـو الأُسوةُ العليا وقد أسمعَ النـاسَ: «لو أُهـدِيَ إليّ كُـراع لَـقبِلتُ، ولو دُعيتُ إلىٰ كراع لأَجَبتُ» (٣).. ورُوي عن الإمام الصادق عليه‌السلام أنّه قال: «من الحقوق الواجبات للمؤمن عـلى المـؤمن أن يُـجيب دعوتَه» (٤).

* وجاء عن الإمام عليّ الرضا صلوات الله عليه قولُه: «السخيُّ يأكلُ مِن طعام الناس ليأكلوا مِن طعامه، والبخيلُ لا يأكل من طعام الناس لئلّا يأكلوا مِن طعامه» (٥).

وفي هذا الموضوع محذورات، منها:

---

(١) المحاسن: ٤١٠/ح ١٣٩.
(٢) المحاسن: ٤١١/ح ١٤٢.
(٣) المواعظ: ٢٨.
(٤) المحاسن: ٤١١/ح ١٤١.
(٥) عيون أخبار الرضا «عليه‌السلام» ٢: ١٢/ ح ٢٦ ـ الباب ٣٠.

الأوّل: عدم الاستجابة، وفيه علامةٌ من علامات الجَفاء، وربّما يُفهَم منه معنى الإهانة. وقد حذّرَت منه بعضُ الروايات، كقول المصطفى صلّى الله عليه وآله: «ثلاثةٌ من الجفاء».. ـ وعدّد منها ـ «أن يُدعَى الرجلُ إلىٰ طعامٍ فلا يُجيب، أو يُجيب فلا يأكل»[(١)]، وقوله: صلواتُ الله وسلامه عليه وآله: «مَن لم يُجِبِ الدعوةَ فقد عَصَى اللهَ ورسوله!»[(٢)].

والمحذور الثاني: هو الذهاب إلىٰ مائدةٍ لم يُدعَ إليها، فربّما كانت الضيافةُ خاصّةً دُعي إليها جماعةٌ معيّنة لحديثٍ خاصّ، أو لحلِّ مشكلةٍ معيّنة، أو كانت محدودةً بحدود إمكانيّة المضيّف حيث لم يستعدّ في وليمته إلّا لعددٍ من الإخوان، أو كانت مقتصرةً على الرجال دون غيرهم من النساء والأطفال مثلاً. كذا لا يجوز لأحدٍ أن يدعوَ معه ـ إذا كان مدعوّاً ـ أحداً لم يكن مدعوّاً معه.

* دعا النبيَّ صلّى الله عليه وآله قومٌ من أهل المدينة إلىٰ طعام صنعوه له، ولأصحابٍ له خمسة، فأجاب دعوتَهم، فلمّا كان في بعض الطريق أدركَهُم سادسٌ فماشاهم، فلمّا دَنَوا من بيت القوم قال صلّى الله عليه وآله للرجل السادس: «إنّ القوم لم يَدْعوك، فاجلسْ

(١) قرب الإسناد: ١٦٠/ ح ٥٨٣ ـ أحاديث متفرّقة.
(٢) دعوات الراونديّ: ١٥٤/ ح ٣٧٧.

حتّىٰ نذكر لهم مكانَك ونستأذنَهم لك»[١].

فيكون من الدناءة أن يضيّف المرءُ نفسه علىٰ مائدةٍ يُهين شخصَه فيها، ويُحرج صاحبَ الدار، وربّما أكلَ ما لا يحلّ له، إذ المأخوذُ حياءٌ كالمأخوذ غَصْباً.. جاء عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قولُه: «إذا دُعيَ أحدُكم إلىٰ طعامٍ فلا يَستَتْبِعنَّ ولَدَه، فإنّه إن فعَلَ ذلك كان حراماً، ودخل غاصباً»[٢]، وفي جملة وصاياه الشريفة قال صلّى الله عليه وآله لعليٍّ صلواتُ الله عليه: «يا عليّ، ثمانيةٌ إن أُهِينوا فلا يَلوموا إلّا أنفسَهم: الذاهبُ إلىٰ مائدةٍ لم يُدْعَ إليها، والمتأمِّرُ علىٰ ربِّ البيت، وطالبُ الخير مِن أعدائه، وطالبُ الفضل من اللئام، والداخلُ بين اثنين في سرٍّ لم يُدخِلاه فيه، والمستخفُّ بالسلطان، والجالسُ في مجلسٍ ليس له بأهل، والمُقْبِل بالحديث علىٰ مَن لا يسمع منه»[٣].

وربّما ارتكب المرء أكثر موجباتِ الإهانة إذا ذهب إلى مجلسٍ ضيافةٍ لم يُدعَ له، إلّا أن يُحرز الإذن صراحةً أو فحوىً، أو يَضمِنَ أنّ دخوله يحظىٰ بالترخيص. أمّا إذا رُفع الجُناح فلا حرج؛ لقوله تعالىٰ:

---

(١) مكارم الأخلاق: ٢٢.

(٢) المحاسن: ٤١١/ ح ١٤٧.

(٣) الخصال ٤١٠/ ح ١٢ ـ باب الثمانية.

﴿لَيسَ عَلَى الأعمىٰ حَرَجٌ، ولا عَلَى الأعرجِ حَرَجٌ، ولا عَلَى المريضِ حَرَجٌ، ولا عَلىٰ أنفُسِكُم أن تأكُلُوا مِن بُيوتِكُمْ أو بُيوتِ آبـائِكُم أو بُيوتِ أُمّهاتِكُم أو بُيوتِ إخْوانِكُـم أو بُـيوتِ أَخَـواتِكُـم أو بُـيوتِ أعْمامِكُم أو بُيوتِ عَمّاتِكُم أو بُيوتِ أَخْوالِكُم أو بُيوتِ خالاتِكُم، أو ما مَلَكْتُم مَفاتحَه أو صَديقِكُم، ليس عَلَيكُم جُناحٌ أن تأكُلوا جَميعاً أو أشتاتاً، فإذا دَخَلْتُم بيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلىٰ أنْفُسِكُم تَـحيّةً مِـنْ عِـنْدِ اللهِ مُباركةً طيّبةً﴾ [١]، قال الإمام الصادق عليه‌السلام فـي بـيان **﴿لَـيسَ عَليكُم جُناحٌ﴾**: «بإذْنٍ و بغيرِ إذْن» [٢]، وعنه سلام الله عليه في قوله تعالى: **﴿أو صَدِيقِكُم﴾** قال: «هو واللهِ الرجلُ يَدخلُ بيتَ صـديقه فيأكـل بـغير إذْنـه» [٣]، وعـن زرارة قـال: سألتُـه (أي الإمـامَ البـاقر عليه‌السلام) عمّا يحلّ للرجـل مـن بـيت أخـيه مـن الطـعام، قـال: «المأدوم والتمر، وكذلك يَحِلّ للمرأة من بيت زوجها» [٤]، وفي قوله جلّ وعلا: **﴿أو ما مَلَكْتُم مَفاتِحَه﴾** قال الإمام الصادق عليه‌السلام: «الرجلُ يكون له وكيلٌ يقوم في مالِه، فيأكل بغير إذْنه» [٥].. هذا مع ملاحظة الشروط والحُرمات.

---

(١) سورة النور: ٦١.
(٢) المحاسن: ٤١٦/ ح ١٧١.
(٣) المحاسن: ٤١٦/ ح ١٧٢.
(٤) المحاسن: ٤١٦/ ح ١٧٣.
(٥) المحاسن: ٤١٦/ ح ١٧٥.

ولا يفوتُنا هنا أن نذكر ونَذكّر بكتاب أميرالمؤمنين عليٍّ عليه‌السلام إلى واليهِ على البصرة عثمان بن حُنَيف الأنصاريّ، وقد بَلَغه أنّه دُعِيَ إلى وليمةِ قومٍ من أهلها فمضى إليها.. و كان في الكتاب: «وما ظننتُ أنّك تُجيب إلى طعامِ قومٍ عائلُهم مَجْفوّ، وغنيُّهم مَدْعُوّ، فانظرْ إلى ما تَقْضَمُه مِنْ هذا المَقْضَم، فما اشتبهَ عليك علمُه فالفِظْه، وما أيقَنْتَ بِطِيبِ وُجوهِهِ فَنَلْ منه..» [1].

وفي ذلك تحذيرٌ بليغ مِن دعواتِ الشبهةِ والحرام، وما يُراد به مِن الولائم غيرُ وجه الله تبارك وتعالى.

والمحذورالثالث: هو أنّ الضيف أحياناً يتصوّر أنّ مِن التواضع ألّا يتقبّل بعضَ زحمات المضيّف، فيفوته أنّ ردّ كرامة المضيّف إهانةٌ له من جهة، و للنفس من جهةٍ أخرىٰ.

وهنا نقف متعلّمين منتفعين بهذه الوصايا الكريمة:

* قال أميرالمؤمنين عليه‌السلام: «لا يأبى الكرامةَ إلّا حمار»، قال الراوي: قلت: ما معنى ذلك؟ قال: «التوسعة في المجلس، والطِّيب يُعرَض عليه» [2].

* وعن أبي خليفة قال: دخلتُ أنا وأبو عبيدة الحذّاء على

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه‌السلام ١: ٣١١/ح ٧٧ ـ الباب ٢٧.

أبي جعفر (الباقر) عليه‌السلام، فقال: «يا جارية، هَلُمّي بمِرفَقة» (متّكأ أو سرير)، قلت: بل نجلس، قال: «يا أبا خليفة، لا تَرُدَّ الكرامة، لأنّ الكرامة لا يردّها إلّا حمار»[(١)].

* وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إذا دخلتَ إلى منزل أخيك فاقبَلِ الكرامةَ كلَّها؛ ما خلا الجلوسَ في الصدور»[(٢)].

* وعن عليّ بن الجَهْم قال: سمعتُ أبا الحسن عليه‌السلام (لعلّه الإمامُ الرضا عليه‌السلام) يقول: «لا يَأبَى الكرامةَ إلّا حمار»، قلت: أيُّ شيءٍ الكرامة؟ قال: «مِثْلُ الطِّيب، وما يُكْرِم به الرجلُ الرجلَ»[(٣)].

* وعن أبي زيد المالكيّ قال: سمعت أبا الحسن عليه‌السلام يقول: «لا يأبى الكرامةَ إلّا حمار» ـ يعني بذلك في الطِّيب والوسادة[(٤)].

ولكن، لابدّ للمؤمن أن يتحرّىٰ بعقله وضميره قبل أن يُلبّيَ دعوةً أو يَمدّ خَطْوَه إليها.. إلىٰ أين، وما هناك، ولماذا؟ أيجوز ذلك أم لا؟ أيُكره هذا أو لعلّه يَحرُم أو لا؟ أفيها شُبهةٌ تلك الضيافة أم لا؟!

* كتب أميرالمؤمنين عليه‌السلام كتاباً إلىٰ عامله على البصرة

---

(١) تفسير فرات الكوفيّ ٩٩.

(٢) بحارالأنوار ٧٨: ٢٠٦ / ح ٥٦ ـ عن كشف الغمّة ٢: ٣٧٤.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه‌السلام ١: ٣١١ / ح ٧٨ ـ الباب ٢٧.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه‌السلام ١: ٣١١ / ح ٧٩ ـ الباب ٢٧.

عثمان بن حُنَيف، جاء فيه: «أمّا بعدُ يا ابنَ حُنَيف، فقد بلَغَني أنّ رجلاً مِن فتية أهل البصرة دعاك إلىٰ مَأدُبةٍ فأسرَعْتَ إليها، تُستَطابُ لك الألوان، وتُنقل إليك الجِفان. وما ظَنَنْتُ أنّك تُجيب إلىٰ طعامِ قومٍ عائلُهم مَجْفُوّ، وغَنيُّهم مَدْعُوّ! فانظُرْ إلىٰ ما تَقْضَمُه مِن هذا المَقْضَم، فَمَا ٱشتَبَهَ عليك عِلمُه فالْفِظْه، وما أيقَنْتَ بِطيبِ وُجُوهِه فَنَلْ منه» (١).

[٢] مراعاة آداب المجلس: إنّ أسوأَ من نازلٍ من غير إذنٍ ولا دعوة، نازلٌ يريد بصاحب الدار شرّاً، فيُكرَم اتقاءَ شرِّه: شرٍّ يده أو لسانه، وفي الحديث النبويّ الشريف: «شرُّ الناس، مَن أكرمه الناسُ اتّقاءَ شرِّه» (٢).

وممّا يأتي به الضيفُ من الشرّ: الغِيبة والنَّميمة، والأخبار الفاضحة والمشكوكة، والأقاويل والشُّبُهات، والتساؤلات عن هذا وذاك ترصّداً وإحصاءً لمثالب الناس.. فيَدخلُ علىٰ مُضيّفه بالشرّ لا بالبركة، ويخرج بالذنوب لا بالمغفرة، فإن كان صاحبُ البيت تقيّاً ورعاً متفقّهاً في دين الله ردّه ونصحه ونال بذلك الثواب، وحصّن بيته من الشرور.. وتلك بشارة:

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.

(٢) المواعظ: ٤.

* قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: .. ألا ومَن تطوّل علىٰ أخيه في غِيبةٍ سَمِعها فيه في مجلسٍ فردّها عنه ردّ اللهُ منه ألفَ بابٍ من السوء في الدنيا والآخرة، فإن هو لم يَرُدَّها وهو قادرٌ علىٰ ردّها كان عليه كوِزْرِ مَنِ اغتابه سبعين مرّة» (١). وفي روايةٍ أنّ رجلاً نال من عِرض رجلٍ عند النبيّ صلّى الله عليه وآله فردّ رجلٌ من القوم عليه، فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «مَن ردّ عن عِرض أخيه كان له حجاباً من نار» (٢). وعنه صلّى الله عليه وآله كذلك: «مَن ردّ عن عِرض أخيه المسلم وجَبَت له الجنّة البتّة» (٣).

أمّا إن سكت صاحب الدار فقد صار شريكاً معه، لقول أميرالمؤمنين عليه‌السلام: «السامع للغِيبة كالمغتاب» (٤)، أو لم ينصر أخاه نال الخفضَ هنا وهناك، لقول الإمام الباقر عليه‌السلام: «مَنِ اغتِيب عنده أخوه المؤمنُ فلم ينصره ولم يدفع عنه، وهو يَقْدرُ على نصرته وعونه، خَفضَه الله في الدنيا والآخرة» (٥).

فلْيلاحظِ الضيفُ أيَّ إساءةٍ يأتي بها علىٰ مُضيّفه، وأيَّ بلاء،

---

(١) بحارالأنوار ٧٥: ٢٤٧/ح ١٠ ـ عن أمالي الصدوق ٣٥٠/ح ١ ـ المجلس ٦٦.
(٢) أمالي الطوسيّ: ١١٥/ح ١٧٧ (ط ـ مؤسّسة البعثة).
(٣) ثواب الأعمال: ١٣١.
(٤) غررالحكم: ٢٦.
(٥) عقاب الأعمال: ١٣٣.

وهو يأكل طعامَه ويأخذ عليه وقته، حيث يخلق له في بيته جَوّاً من الذنوب، ثمّ يُدخله في امتحانٍ ربّما يفشل فيه، فيسكتُ حياءً أو مُراعاةً لأدب الضيافةِ العُرفيّة، أو قد يكون المضيِّف منشغلاً بتهيئة مأدبته، فإذا الحديث بين الضيوف مُنْجرٌّ إلىٰ ما لا يُرضي اللهَ سبحانه. فإذا تكرّرت الضيافة وكثر فيها حديثُ الناس، كان ذلك البيتُ من البيوت التي يبغضها الله، والضيفُ سببٌ في هذا البغض.. عن أديم بيّاع الهرويّ قال: قلتُ لأبي عبدالله الصادق عليه‌السلام: بلَغَنا أنّ رسول‌الله صلّى الله عليه وآله كان يقول: «إنّ الله يبغض البيتَ اللَّحِم»، فقال عليه‌السلام: «إنّما ذلك البيتُ الذي يُؤكَل فيه لحومُ الناس» (١).

فمِن آداب الضيف أن يراعيَ الشؤون الشرعيّة، متجنّباً كلَّ سيّئ، وتاركاً كلَّ عملٍ وقول لا يرضاه الله تعالىٰ من عباده.. إن أراد حقّاً أن يكون ضيفاً على أخيه المؤمن، زائراً مُدخِلاً عليه السرور، فيأتيه ليستمعَ إلىٰ موعظة أو يُهديَها إليه، أو ليتذاكر معه في مسائل العلم والمعرفة، لا أن يأتيه لِيستَرِقَ منه أخبار الناس يطلب بذلك عثراتهم، ويتجسّس على مثالبهم، أو يتجسس على مضيّفه نفسه وهو الذي يقوم بإكرامه وخدمته.. فمِثلُ هذا الضيف يكون داخلاً وخارجاً بالإثم والشؤم والبلاء، لا سيّما إذا استزلق مضيِّفَه بالكلام يجرّ

---

(١) المحاسن: ٤٦٠ ـ ٤٦١/ ح ٤١٠.

الكلام، فأثار دفائنه واستلّ أسراره، ليبثَّها فيما بعد أو يشهرها في وجهه متىٰ شاء.

ومن الضيوف مَن يأتي بالمكدّرات أو المفاسد.. عن أبي عبدالله الصادق عليه‌السلام، قال: «كان عابدٌ مِن بَني إسرائيل، فطرقَتْه امرأة باللّيلِ فقالت له: أضِفْني. فقال: امرأةٌ مع رجلٍ لا يستقيم! قالت: إنّي أخاف أن يأكلني السَّبُع فتأثّم! فخرج وأدخلها والقنديلُ بيده، فذهب يصعد به، فقالت له: أدخَلتَني من النور إلى الظلمة! فرَدَّ القنديل.. فما لَبِث أن جاءته الشهوة، فلمّا خشيَ علىٰ نفسه قرّب خنصره إلى النار، فلم يَزَل كلَّما جاءته الشهوة أدخل إصبعَه النار، حتّىٰ أحرق خمس أصابع، فلمّا أصبح قال: اخرُجي؛ فبئستِ الضيفةُ كنتِ لي!» (١).

كذلك بئس الضيوف مَن يأتون بنسائهم يختلطن مع الرجال الأجانب من غير المحارم، فيكون الحديث والتفكّه وسقوط الحياء وإثارة النزوات في داخل النفوس لاسيّما في الحفلات.. وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله قد حذّر من ذلك، فقال في إحدىٰ خُطبه وقد أمر بلالاً فنادى: الصلاةَ جامعة، فقال بعد أن ارتقى المِنبر:

«يا أيُّها الناس، أُدْنوا ووسِّعوا لِمَن خَلفكم...»، إلىٰ أن قال:

ـ مَن صافَحَ ٱمرأةً حراماً جاء يومَ القيامة مغلولاً، ثمّ يُؤمَر به إلى النار!

---

(١) بحارالأنوار ٧٠: ٤٠١/ح ٧٥ ـ عن نوادر عليّ بن أسباط.

ـ مَن فاكَهَ ٱمرأةً لا يَملكها حُبِس بكلّ كلمةٍ كلّمَها في الدنيا بألف عامٍ في النار!...

ـ ومَن وَصَف امرأةً لرجلٍ وذكر جمالَها له، فافتتَنَ بِها الرجل فأصاب منها فاحشةً، لم يخرج من الدنيا حتّىٰ يَغضَبَ اللهُ عليه، ومَن غَضِب اللهُ عليه غَضِبَت عليه السماواتُ السَّبْع والأرضون السبع، وكان عليه مِن الوِزْر مِثْلُ الذي أصابها...

ـ ومَن ملأ عينَيهِ مِنِ ٱمرأةٍ حراماً، حشاهما اللهُ عزّوجلّ يومَ القيامة بمساميرَ مِن نار، وحشاهما ناراً حتّىٰ يَقضيَ بين الناس، ثمّ يُؤمَر به إلى النار...

ـ واشتدّ غضبُ اللهِ عزّوجلّ علَى ٱمرأةٍ ذاتِ بعل، مَلأَت عينَها مِن غير زوجها أو غير ذي مَحْرمٍ منها؛ فإنّها إن فعَلَت ذلك أحبَطَ اللهُ كلَّ عملٍ عمِلَتْه..» (1).

وهنالك من النساء مَن يَصِفْن لأزواجِهنّ بعضَ البنات أو النساء وقد التقَينَ بهنّ في ضيافة، فيقع في قلوب الرجال شيءٌ من الهوىٰ!

وهنا نتساءل: هل يُطلَق علىٰ مِثل هؤلاء ذلك الاسم المكرَّم (ضيف)، الذي عرّفه الله تعالىٰ بقوله في الحديث القدسيّ: «الضيفُ

---

(1) بحارالأنوار ٧٦: ٣٥٩ ـ ٣٦٦/ ح ٣٠ ـ عن ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ٢٨٦، وغيره من مواضع عديدة، منها: وسائل الشيعة ٢٠: ١٨٤/ ح ٢٥٣٨٠.

رسولي»؟! أم الأنسب أن يُطلَق عليه رسولُ الشيطان؛ لأنّه حمل إلىٰ مضيِّفه المعاصي، ولوّث بيتَه بالآثام، وتركه مشغولَ القلب عن الله سبحانه وعن طاعته.

ولخطورة الأمر.. أفرَدَ علماء الأخلاق في كتاب العِشرة والمعاشرة أبواباً بهذه العناوين: مَن تَجِب مصادقتُه ومصاحبته، مَن تُكرَه مجالستُه ومرافقته. إتَّخِذْ هؤلاءِ صديقاً، لا تتّخذْ هؤلاء صديقاً أو مُصاحِباً، إيّاك ومصاحبةَ هؤلاء، أضِف مَن تُحبُّه في الله تعالىٰ، مَن ينبغي ضيافتُه. إجابة دعوة المؤمن، لا تُجِبْ دعوةَ الفاسق. وقد اشتهر عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قولُه: «لا تصاحِبْ إلّا مؤمناً، ولا يأكل طعامَك إلّا تقيّ، ولا تأكلْ طعامَ الفاسقين» [1].

أجل.. فالتقيّ، فعلُه طاهر، وخيرُه حاضر، في نظرته فكرة، وفي حديثه عِبرة.. كذلك كان أهل البيت عليهم‌السلام، وكذلك ينبغي أن يكون أتباعُهم ومُوالوهم ومُحِبّوهم:

* عن سليمان بن خالد، قال: حضرتُ عَشاءَ أبي عبدالله (الصادق) عليه‌السلام في الصيف، فأُتِيَ بخِوانٍ عليه خبز، وأُتي بجفنةِ ثريدٍ ولحم، فقال: «هلمَّ إلىٰ هذا الطعام». فدنوتُ، فوضعَ يده

(١) في ضمن وصيّته صلّى الله عليه وآله لأبي ذرّ الغفاريّ رحمه الله، مكارم الأخلاق: ٤٦٦.

فيه، فرفعها وهو يقول: أستجيرُ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، هذا لا نَقوىٰ عليه، فكيف النار؟! هذا لانُطيقه، فكيف النار؟! هذا لا نصبر عليه، فكيف النار؟!» قال سليمان بن خالد: فكان عليه‌السلام يكرّر ذلك حتّىٰ أمكن الطعام، فأكلَ وأكلنا.[1] وكم كانت في تلك الضيافة من عِبرةٍ وموعظةٍ تُوقظان القلوبَ إلىٰ آخر الأعمار!

وفي كتب الأخلاق آداب المجلس، مِن ضمنها عنوان [المجالس بالأمانة]، وهي عبارةٌ أُثِرت عن النبيّ صلّى الله عليه وآله[2]، وكان فيماقاله صلّى الله عليه وآله في ذلك: «ليس لأحدٍ أن يُحدِّثَ بحديث يكتمه صاحبه إلّا بإذنه، إلّا أن يكون ثقةً أو ذِكْراً له بخير»[3]، و«لا يحلّ لمؤمنٍ أنْ يُؤْثِر عن مؤمنٍ [أو: عن أخيه المؤمن] قبيحاً»[4].

* * *

وغير الكتمان والأمانة.. هناك آدابٌ أخرىٰ تُوضّحها الروايات الشريفة:

* جاء في رسالة الحقوق، قولُ الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه‌السلام: «وأمّا حقُّ الجليس، فأن تُلينَ له كنَفَك، وتُطيب

---

(١) المحاسن: ٤٠٧/ح ١٢٢.

(٢) يراجع: الكافي ٢: ٦٦٠، كتاب العشرة ـ باب المجالس بالأمانة / ح ١.

(٣) الكافي ٢: ٦٦٠/ح ٢.

(٤) أمالي الطوسيّ ٢: ١٨٤.

له جانبَك، وتُنصفَه في مجاراة اللَّفظ، ولا تُغرِقَ في نزع اللَّحظ إذا لَحِظت، وتقصدُ في اللَّفظ إلىٰ إفهامه إذا لفظت. وإن كنتَ الجليسَ إليه كنتَ في القيام عنه بالخِيار، وإن كان الجالسَ إليك كان بالخِيار. ولا تقوم إلّا بإذنه، ولا قوّةَ إلّا بالله» (١).

* وقال الإمام الصادق عليه‌السلام: «لا ينبغي للمؤمن أن يجلس إلّا حيث ينتهي به الجلوس، فإنّ تخطّي أعناقِ الرجال سخافة» (٢)، وعن آبائه عليهم الصلاة والسلام: «إنّ مِن التواضع أن يرضى الرجلُ بالمجلس دونَ المجالس، وأن يسلّم علىٰ مَن يلقىٰ، وأن يتركَ المِراءَ وإن كان مُحِقّاً، ولا يُحبّ أن يُحمَدَ على التقوى» (٣).

وعن الإمام الحسن العسكريّ سلام الله عليه قال: «مَن رَضِيَ بدون الشرف مِن المجلس، لم يَزَل اللهُ وملائكتُه يُصلّون عليه حتّىٰ يقوم»، وقال عليه‌السلام: «مِن التواضع: السلامُ علىٰ كلِّ مَن تمرُّ به، والجلوسُ دونَ شرف المجلس» (٤).

* ورُويَ عن الإمام محمّد الباقر عليه‌السلام قولُه: «مَن أراد أن

---

(١) تحف العقول: ١٩١ ـ من رسالته المعروفة بـ«رسالة الحقوق»، والكَنَف: الجانب والظِّلّ.

(٢) أمالي الطوسيّ ١: ٣١٠.

(٣) معاني الأخبار: ٣٨١.

(٤) تحف العقول: ٣٦١، ٣٦٢.

يكتالَ بالمكيال الأوفى، فَلْيَقُل إذا أراد القيام مِن مـجلسه: سُـبحانَ ربِّكَ ربِّ العزّةِ عمّا يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمدُ لله ربِّ العالمين» (١). كما ورد استحباب الاستغفار خمساً وعشرين مرّة قبل الانصراف من المجلس.

وفي آداب الضيافة، بـاعتبارها أخـصَّ مـن المـجالس العـامّة، ورَدَت هذه الوصايا الشريفة:

*قال النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «صاحبُ المجلس أحقُّ بصدر مجلسِه» (٢)، «الرجلُ أحقُّ بصدرِ داره، وبِـصدرِ فـرسه، وأن يؤمَّ في بيته، وأن يبدأ في صُحفتِه» (٣).

فمِن آداب الضيف ألّا يتصدّر الدار، ولا يقصدَ أحسنَ الأماكن، ولا يجلس في مقابل بابِ حُجرة النساء، وكذا عليه أن يترك الخِيارَ في جلوسه لصاحب الدار، فهو أدرىٰ بالأبعد عن عيون الناظرين.. يُوصي الإمام الباقر عليه‌السلام فيقول: «إذا دخل أحدُكم علىٰ أخيه في رَحْلِه، فَلْيقعدْ حيث يأمر صاحبُ الرحل؛ فإنّ صاحب الرَّحْـل أعرفُ بعورةِ بيتِه من الداخل عليه» (٤).

---

(١) بحارالأنوار ٧٥: ٤٦٨/ح ٢٠ ـ عن عُدّة الداعي.

(٢) المواعظ: ٥٤.

(٣) بحارالأنوار ٧٥: ٤٦٨/ح ٢١ ـ عن: كتاب الإمامة والتبصرة.

(٤) قرب الإسناد ٦٩/ح ٢٢٢ ـ أحاديث متفرّقة.

فإذا راعى الضيف آدابَ الجلوس والمجلس، فإنّ المضيِّف سيكون مسروراً بدخوله عليه، وسيقوم بضيافته على أحسن وجه، وفي هذا سيكون رضى الله تعالى والأجرُ المحبوب والبِشارة الصادقة من رسول الله الصادق الأمين صلواتُ الله عليه وآله أجمعين: «مَن لَقيَ أخاه بما يَسرُّه، سَرَّه الله يومَ القيامة، ومَن لقيَ أخاه بما يَسوؤُه لِيسوءَه، ساءَه اللهُ يومَ يلقاه» (١).

[٣] الحضور في الوقت المناسب، فلا يتأخّرِ الضيفُ لكي لا يطول الانتظار على صاحب الدار أو على ضيوفه الآخرين. كما لا ينبغي له أن يأتيَ عاجلاً إذا كان هنالك موعدٌ مقرَّر، فيفاجئَ صاحبَ الدار قبل تمام الاستعداد لاستقبال ضيوفه. ولا يتأخر كثيراً عنده عن الوقت العرفيّ الذي يُفترَض في الضيافة ألّا يزداد عليه، فإنّ في كلِّ ذلك إحراجاً للمضيِّف، لا سيّما إذا كان الدخول في وقتٍ غير مناسب أو ظرفٍ مُوجبٍ للضيق، فيُضطَرّ المضيّفُ أن يُؤجّلَ كثيراً من اهتماماته وأشغاله إذا طالت المجالسة، خاصّةً إذا كان الضيف بائتاً، فيضيع الوقت، والوقت غنيمةٌ يستدعي استثمارها النهوضَ بجميع الحقوق والواجبات، والطاعات والعبادات.. يُوصي الرسولُ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم فيقول: «كُنْ على عُمرِك

(١) ثواب الأعمال: ١٥١ ـ باب ثواب مَن لقيَ أخاه لِيَسرَّه بما يَسرّ.

أشحَّ منك على درهمك وديـنارك»(١)، ويـنبّه صـلّى الله عـليه وآله فيقول: «إذا كان يومُ القيامة لم تَزلْ قَدَما عبدٍ حتّىٰ يُسألَ عن أربع: عن عُمرِه فِيمَ أفناه، وعن شبابِه فيمَ أبلاه، وعمّا آكـتسَبَه مِـن أيـن اكتسبه، وفيمَ أنفقه، وعن حُبِّنا أهلَ البيت»(٢)، وفي غرر حكمه قال أميرُالمؤمنين عليه‌السلام محذّراً: «إحذروا ضَياعَ الأعمارفيما لا يبقى لكم، ففائِتُها لا يعود»(٣).

فلابدَّ من الاعتدال في الانتفاع من الوقت، وتقسيمِه بشكـلٍ لا تضيع معه الموازين، ولا يكون إفراطٌ أو تفريط أو مَلل أو ارتباك في أعمال المرء ومهمّاته.. قال مولانا الإمام موسى بن جـعفر الكـاظم عليه‌السلام: «اجتهدوا في أن يكونَ زمانُكم أربـعَ سـاعات: سـاعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان والثِّقات الذين يُعرّفُونَكم عيوبَكم ويُخلِصونَ لكم في الباطن، وساعة تَخلَون فيها لِلذّاتِكم في غير محرَّم، وبهذه الساعة تَـقْدِرون عـلى الثـلاث ساعات»(٤).

فربّما أراد المضيِّف أن يقتطع ساعةً من ليله أو نهاره لمناجاة الله

---

(١) مكارم الأخلاق: ٤٦٠.

(٢) تحف العقول: ٤٥.

(٣) غررالحكم: ٧٣.

(٤) تحف العقول: ٣٠٢.

تعالىٰ وعبادته، أو لقضاءِ حاجةٍ أو إنجاز عملٍ معيشيّ، أو للمطالعة، أو للتفرّغ لعائلته.. فإنّ مِن أدب الضيف أن يفسح له في ذلك، لاسيّما إذا انصرَمَت أيّامُ الضيافة، فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «الضيافةُ أوّلَ يومٍ حقّ، والثاني والثالث، وما بعد ذلك فإنّها صدقةٌ تصدّق بها عليه»، ثمّ قال: «لا يَنزِلنَّ أحدُكم علىٰ أخيه حتّىٰ يُؤثمَه» (١)، قيل: يا رسولَ الله وكيف يُؤثمُه؟! قال: «حتّىٰ لا يكونَ عنده ما يُنفِق عليه» (٢).

[٤] **التخفيف على المضيِّف:** فلا يُثقله بكثرة الطَّلَبات، فربّما أحرجه في تهيئتها، وربّما عجز عن ذلك لفقرٍ أو سبب آخر.. حتّىٰ ورد في آداب الضيف أن يستأذنَ صاحبَ الدار إن أراد الصيامَ تطوّعاً، لقول النبيّ صلّى الله عليه وآله: «لا يصوم الضيفُ تطوّعاً إلّا بإذنِ صاحبِه» (٣).. وفي بيان أوجه الصوم قال الإمام زين العابدين عليه‌السلام: «وأمّا صومُ الإذن، فإنّ المرأة لا تَصوم تَطوّعاً إلّا بإذن زوجها، والعبد لا يصومُ إلّا بإذن سيّده، والضيف لا يصوم تطوّعاً إلّا بإذن صاحبه، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: فَمَن نزل علىٰ قومٍ

(١) أي يُوقعه في التعب والمشقّة والتكلّف والإنفاق.
(٢) الخصال ١٤٩ / ح ١٨١ ـ باب الثلاثة.
(٣) بحارالأنوار ٧٧: ٥٨ / ح ٢ ـ عن: مكارم الأخلاق: ٤٤١.

فلا يَصومنَّ تَطوّعاً إلّا بإذنهم»(١). وفي بيان إحدىٰ علل ذلك، روى الإمام الباقر عليه‌السلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «إذا دخل رجلٌ بلدةً فهو ضيفٌ علىٰ مَن بها مِن أهل دِينه حتّىٰ يرحل عنهم، ولا ينبغي للضيف أن يصومَ إلّا بإذنهم؛ لئلّا يعملوا له الشيءَ فيفسد عليهم»(٢)، وفي حديث آخر قال صلواتُ الله عليه وآله: «مِن فقهِ الضيف أن لا يصومَ تطوّعاً إلّا بإذن صاحبه، وإلّا كان الضيفُ جاهلاً!»(٣).

وعند الفقهاء: [يُكره ـ الصوم نَدْباً لِمَن دُعيَ إلىٰ طعام.. وقد يُستدَلّ على ذلك ـ مضافاً إلى فتوى المحقّق الحلّيّ وغيره بها ـ بما دلّ على النهي عن معارضة المؤمن وترك إجابته، بل قال الصادق عليه‌السلام في خبر سماعة بن مهران: «إذا دخلتَ إلىٰ منزلِ أخيك فليس لك أمرٌ معه»(٤)]، وقال عليه‌السلام أيضاً في خبر الحسين بن حمّاد: «إذا قال أخوك: كُلْ، وأنت صائم، فكُلْ ولا تُلْجِئْه إلىٰ أن يُقسم عليك»(٥)، وكفى بذلك دليلاً لِمِثلها..

---

(١) الخصال: ٥٣٧ / ح ٢ ـ باب الأربعين وما فوقه.

(٢) علل الشرائع: ٣٨٤ / ح ١ ـ الباب ١١٥.

(٣) علل الشرائع: ٣٨٥ / ح ٤ ـ الباب ١١٥.

(٤) الوسائل ج ٤ ص ١١١ ـ الباب ٨ ـ من أبواب آداب الصائم / ح ١٤.

(٥) الوسائل ج ٤ ص ١١١ ـ الباب ٨ ـ من أبواب آداب الصوم / ح ١١.

وقد نصّ الفاضلان وغيرهما (جملة من الفقهاء) على اشتراط كونه (أي المضيِّف) مؤمناً، ولعلّه لكونه المتبادَرَ من «الأخ»، ولأنّه الذي رعايتُه أفضلُ من الصوم. ثمّ إنّ الحكمة من الإفطار ليست من حيث الأكل، بل هي من حيث إجابة دعاء المؤمن (أي دعوته) وعدم ردّ قوله، وإنّما يتحقّق الثواب على الإفطار مع قصد الطاعة به لذلك ونحوه من إدخال السرور وغيره، لا بمجرّده؛ ولأنّه عبادةٌ يتوقّف ثوابها على النيّة.

وظاهر [المحقّق الحلّيّ] وغيره عدم الفرق في ذلك بين الصوم المندوب وغيره من الواجب الموسَّع، كالقضاء، لإطلاق النصّ والتعليل بإدخال السرور، وخبر صالح بن عبدالله الخثعميّ: سألت أباعبدالله عليه السلام عن الرجل ينوي الصومَ فيَلقاه أخوه الذي علىٰ أمره، أيُفطر؟ قال: «إن كان تطوّعاً أجزَأَه وحُسِب له، وإن كان قضاءَ فريضةٍ قضاه»[1].

ولمّا كان الضيف مُنْضَمّاً إلىٰ مضيّفه، مضافاً إلى بيته وأسرته، كان عليه مجاراةُ صاحبه وعدمُ إحراجه، لاسيّما إذا تعدّىٰ مدّة الضيافة، فهو يُواكل أهل الدار باعتباره واحداً منهم.. يقول النبيّ صلّى الله عليه

---

(١) جواهر الكلام، للشيخ محمد حسن النجفيّ ١٧: ١١٩ ـ ٢٢١. يراجع أيضاً: وسائل الشيعة ٤: ١١١ ـ الباب ٨ ـ من أبواب آداب الصوم / ح٩.

وآله: «الضيف يلطف ليلتين، فإذا كان اللّيلة الثالثة فهو من أهل البيت، يأكُلُ ما أدرك»[(١)]. وروى صفوان بنُ يَحيىٰ قائلاً: جاءني عبدالله بن سنان فقال: هل عندك شيء؟ فقلت: نعم، بعثتُ ابني وأعطيته درهماً يشتري به لحماً وبيضاً، فقال: أين أرسلتَ ابنك؟ فخبّرتُه، فقال: رُدَّه رُدّه، عندك خلّ؟ عندك زيت؟ قلت: نعم، قال: فهاتِه؛ فإنّي سَمِعتُ أباعبدالله [الصادق] عليه‌السلام يقول: «هَلَك امرؤٌ آحتقر لأخيه ما حضره، هلك امرؤٌ آحتقر من أخيه ما قدّم إليه»[(٢)].

* وعن الإمام الرضا عن آبائه عليهم‌السلام أنّه دعا رجلٌ أميرَالمؤمنين عليه‌السلام، فقال له: «على أن تضمَنَ لي ثلاثَ خصال»، قال الرجل: وما هي يا أميرَالمؤمنين؟ قال: «لا تُدخِلْ علينا شيئاً مِن خارج، ولا تدّخرْ عنّا شيئاً في البيت، ولا تُجْحِفْ بالعيال»، قال: ذلك لك. فأجابه أميرُالمؤمنين عليه‌السلام[(٣)].

* ورُويَ أنّ الحارث الأعور أتىٰ أميرَالمؤمنين عليه‌السلام فقال: يا أميرالمؤمنين، جعلني اللهُ فداك، أُحِبّ أن تُكرِمَني بأن تأكل عندي،

---

(١) وسائل الشيعة ١٦: ٥٥٣ ـ ٥٥٤ / ح ١ ـ الباب ٣٦.

(٢) المحاسن: ٤١٥ / ح ١٦٦.

(٣) عيون أخبار الرضا (ع) ١: ٢٥٩ / ح ١٦ ـ الباب ٢٦.

فقال له عليٌّ أميرالمؤمنين عليه‌السلام: «علىٰ أن لا تتكلّفَ شيئاً». ودخل، فأتاه الحارثُ بكِسْر، فجعل أميرالمؤمنين عليه‌السلام يأكل، فقال له الحارث: إنّ معي دراهم. وأظهرها، فإذا هي في كُمِّه، فقال: إن أذِنْتَ لي اشتريتُ لك، فقال أميرالمؤمنين عليه‌السلام: «هذه مِمّا في بيتك» (١).

وفي روايةٍ أخرىٰ قال الحارث: يا أميرالمؤمنين، أُدخُلْ منزلي، فقال: «على شرط أن لا تدّخرَني شيئاً مِمّا في بيتك، ولا تتكلّفَ شيئاً ممّا وراءَ بابِك» (٢).

* وقد جاء عن مولانا أميرالمؤمنين عليه‌السلام قولُه: «شرُّ الإخوان مَن تُكُلِّف له» (٣)، أي: (مَن أُحوِج إلى الكُلْفة له؛ وذلك أنّ الأُخوّة الصادقة تستلزم الانبساط بين الإخوان وترك التكلّف مِن بعضهم لبعض، فكان وجود التكلّف مستلزماً لعدم صدق الإخاء، ومَن لا يكونُ أخَ صدقٍ فهو شرُّ الاخوان.

والكلمة في قوّةٍ صغرىٰ نبّه به على اجتناب أخٍ كذلك، وتقديرها: مَن أُحوِج إلى التكلّف له فهو شرُّ الإخوان. وتقدير الكبرىٰ: ومَن كان شرّاً لزم مجانبتُه) (٤).

---

(١) المحاسن: ٤١٥/ح ١٦٩.

(٢) المحاسن: ٤١٥/ح ١٧٠.

(٣) نهج‌البلاغة: الحكمة ٤٧٩.

(٤) شرح نهج‌البلاغة، لابن ميثم البحرانيّ ٥: ٤٦٧ ـ ٤٦٨.

[٥] من آداب الضيف أن لا يُكثِرَ النظرَ إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام: فإنّه دليلُ الشَّرَهِ و خسّةِ النفس. وأن لا يشقَّ الضيف على صاحب الدار أو ينظرَ إلى نوع الطعام وكمّيّته؛ فإنّ ذلك دليلُ سوء نيّة الزيارة، إذ يُفهَم أنّها قُصِدت لقضاءِ شهوة البطن لا لصلةِ الإخوان والأرحام، أو لاستجابة دعوة المؤمنين.

ويرى البعض.. أنّه إذا حضر الطعام ولم يكن يصلح للضيف، لكونه مضرّاً به، أو لأنّ الضيف ضعيفٌ عن هضم ذلك الطعام، فلا ينبغي أن يقول: هذا طعامٌ غليظ لا يصلح لي، بل يأتي بعبارة حسنة، كأن يقول: فيَّ مانعٌ من أكل الطعام.

[٦] الدعاء للمضيِّف: فإذا أراد أن يَخرج الضيف خرج وهو يدعو لصاحب البيت، فقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا طَعِم عند أهل بيت قال: «طَعِم عندَكُم الأخيار» (١). وحُمِل إلى الإمام الصادق عليه‌السلام يوماً طعام فأكل منه، فلمّا فرغ قال: «الحمدُ لله»، وقال لصاحب الطعام: «أكلَ طعامَك الأبرار، وصَلّتْ عليك الملائكةُ الأخيار» (٢).

فإذا كانت الضيافة لوجه الله تعالىٰ، وقد اجتمع فيها المؤمنون

(١) المحاسن: ٤٣٩/ ح ٢٩٤.

(٢) المحاسن: ٤٣٩ / ح ٢٩٥.

على حبّ الله جلّ وعلا، وتَضمّنَت ذِكْراً مباركاً لله عزّوجلّ.. فيُظَنّ استجابة الدعاء، ويهبط الخيرُ وتنزل الرحمة على الضيوف والمضيِّف جميعاً.

[٧] دعوة المضيِّف: إذا كانت الاستضافة تكريماً، فمِن المستحسَن أن يدعوَ الضيفُ صاحبه ليكرمه أو يُجازيَه ويُكافئَه.. رُويَ أنّه مرّ الحسنُ بن عليّ عليهماالسلام على فقراء وقد وضعوا كُسَيراتٍ على الأرض وهم قعودٌ يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا له: هَلُمَّ يا ٱبنَ بنتِ رسول الله إلى الغداء، فنزَلَ وقال: «إنَّ اللهَ لايُحِبّ المُستكبِرين» (١)، وجعل يأكل معهم، حتّى اكتفَوا والزّادُ على حاله ببركته، ثمّ دعاهم إلى ضيافته، وأطعمهم وكساهم (٢).

كما رُويَ: أنّ الحسنَ والحسين وعبدالله بن جعفر خرجوا حُجّاجاً ففاتَتْهم أثقالهم، فجاعوا وعطشوا، فرأوا عجوزاً في خِباءٍ فاستسقَوها، فقالت: ليس لي إلّا هذه الشاة، فَلْيذبحْها أحدُكم. فذبحها أحدهم وكشطها، ثمّ شَوَت لهم من لحمها فأكلوا، وقالوا عندها (٣). فلمّا نهضوا قالوا: «نحنُ نفرٌ مِن قريشٍ نريد هذا الوجه،

(١) هي عبارته «عليه‌السلام» وإلّا فالآية ﴿إنّه لا يُحِبُّ المُستَكْبِرين﴾ النحل: ٢٣.
(٢) مناقب آل أبي طالب ٤: ٢٣.
(٣) أي: استراحوا القَيلولة.

فإذا عُدنا فألمّي بنا، فإنّا صانعون بكِ خيراً». ثمّ رحلوا، فلمّا جاء زوجُها أخبرته، فقال: ويحَكِ تذبحينَ شاتي لقومٍ لا تعرفينهم، ثمّ تقولين: نفرٌ مِن قريش!

ثمّ مضت الأيّام فأضَرَّت بها الحال، فرحَلَت حتّى اجتازَت بالمدينة، فرآها الحسن عليه السلام فعرفها، فقال لها: «أتعرفينَني؟!» قالت: لا، قال: «أنا ضيفُكِ يومَ كذا وكذا»، فأمر لها بألف شاةٍ وألفِ دينار، وبعث معها رسولاً إلى الحسين عليه‌السلام فأعطاها مثلَ ذلك، ثمّ بعثها إلى عبدالله بن جعفر فأعطاها مثلَ ذلك [1].

فالضيف.. إذا أحبّ أن يأكل كان مِن مروءته ونبله أن يُحبّ أن يأكل عنده مضيّفُه، مُعبِّراً بذلك عن كرمه، وطِيب نفسه وعزّتها، ومجازاته الحسنة للآخرين.

[٨] حفظ أسرار المضيِّف: فالضيف.. وقد أكرمه صاحبه، وائتمنه في بيته، لا يجوز له أن ينقل ما اطّلع عليه من خاصّة شؤونه وما كتمه على الناس، فإنّ إذاعته من الخيانة، وربّما كان في بعض الإفشاء هتكٌ للحُرمات. وإنّما جوّز الله سبحانه للضيف أن يذكر ما أُوذِي فيه من إهانةٍ لا يحتملها، أو إيذاءٍ لا يناسب الضيافة.. في قوله تعالى:

---

(١) إسعاف الراغبين، للصبّان ـ بهامش نور الأبصار للشبلنجيّ: ١٧٧، والفصول المهمّة: ١٤٠، ومطالب السَّؤول لابن طلحة الشافعيّ ٢: ١١.

﴿**لا يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَولِ إلّا مَنْ ظُلِم**﴾ [١]، قال الإمام الصادق عليه‌السلام: «مَن أضاف قوماً فأساءَ ضيافتَهم فهو مِمّن ظَلَم، فلا جُناحَ عليهم فيما قالوا فيه» [٢].

لكنّ مجال العفو مفتوح، خاصّة إذا كانت الاساءةُ ممّا يُغتفَر بين الإخوان، أو كان التقصير طفيفاً لا يستحقّ الذِّكْر. أمّا إذا كان صاحبُ الدار متعمّداً متماهلاً لا يُكرِم ضيوفَه ولا يجد لهم حُرمةَ الضيافة، فإنّ حرمتَه تتعرّض للغِيبة، لقول الإمام الصادق سلام الله عليه: «إنّ الضيف ينزل بالرجل فلا يُحسِن ضيافتَه، فلا جُناحَ عليه أن يذكر سوءَ فعله» [٣].

* * *

وهنا.. لا بأس أن نذكّر أنفسنا مرّةً أخرىٰ بأدبٍ معنويٍّ مِن آداب الضيف، ذلك هو: النيّة، فيستجيب المؤمنُ لدعوةِ أخيه حُبّاً وقبولاً للكرامة، وقد دعا إلىٰ ذلك رسولُ الله صلّى الله عليه وآله إذ قال: «إقبلوا الكرامة» [٤]، وعن الإمام الرضا عليه‌السلام قال: «كان أميرالمؤمنين عليه‌السلام يقول: لا يأبى الكرامةَ إلّا حمار»، فسُئل

---

(١) سورة النساء: ١٤٨.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٦٠٥/ح ٦.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٦٠٥/ح ٧.

(٤) تحف العقول: ٤٨.

الإمام الرضا عليه‌السلام: مامعنى ذلك؟ فقال: «التوسعة في المجلس، والطِّيبُ يُعرَض عليه»[1].

والاستضافة غالباً تُعرِب عن الكرامة، فقبولها قبولٌ للكرامة، ولكنّ النيّة أمرٌ مهمّ يتوقّف عليه الثواب وكرامة المرء، فمَنِ استجاب صلةً للأُخوّة وللرَّحِم، وَصَلَه الله تعالى بالرحمة، ومَن خفّ إلى مجلسٍ سوء أو خفّ إلى طعامٍ لا يطلب غيرَه فذاك شأنه. فلابدّ من استحضار النيّة حتّىٰ تكون عادة، وقد نصح أميرالمؤمنين عليه‌السلام فقال: «عوِّدْ نفسَك حُسنَ النيّة وجميلَ المقصد، تُدرِكْ في مَباغيك النجاح»[2].

* * *

(١) معاني الاخبار: ٢٦٨.

(٢) غررالحكم: ٢١٧.

آداب المضيِّف

آداب المُضيِّف

إذا كان الضيفُ يدخل بالبركة والرزق، ويخرج بالمغفرة لأهل بيت المضيِّف.. وكان المضيّف نائلاً للمكرمة بإقراء الضيف وخدمته ورفع العناء عنه، فإنّ ذلك لا يكون، أو لا يتكامل إلّا مع مراعاة آداب الضيافة. فليس من السهولة الحَظوةُ بشرف الضيف أو شرف المضيف، حتّىٰ لَيقولُ النبيّ صلّى الله عليه وآله: «مَن كان يؤمنُ بالله واليوم الآخِر فلْيُكرمْ ضيفَه» (١)، ويقول الإمام الصادق عليه‌السلام: «المكارمُ عشر، فإنِ ٱستطعتَ أن تكونَ فيك فَلْتكن... [كان أحدها] إقراءُ الضيف» (٢).

وكما أنّ هناك آداباً لا ينبغي إهمالُها من قِبل الضيف، كذلك هناك مِن الآداب ما ينبغي مراعاتُها من قبل المُضيِّف، إكراماً لنفسه وللقادم، ولكلِّ قادم كرامة.. وهي:

[١] دعوة المؤمنين علىٰ وجه الخصوص: ففي لقائهم وضيافتهم تنعقد مجالس الذِّكْر، ويدور الحديثُ غالباً في طاعة الله سبحانه

---

(١) طبّ النبيّ «صلّى الله عليه وآله»: ٢.

(٢) الخصال ٤٣١/ح ١١ ـ باب العَشْرة.

وتعالىٰ وفي مرضاته. كما تنعقدُ الصِّلاتُ علىٰ محبّةِ الله عـزّوجلّ. وربّما قُضِيتْ في مجلسهم أكثرُ من حاجة لأكثر من مؤمن، وكـان هناك أكثرُ من مَغنم، فلا يتفرّقون إلّا على خيرٍ وبركة، وثوابٍ عظيم.

ولذلك كانت وصيّة النبيّ صلّى الله عليه وآله لأبي ذرّ رضوان الله عليه: «يا أباذرّ، لا تُصاحِبْ إلّا مؤمناً، ولا يأكلْ طعامَك إلّا تقيّ، ولا تأكلْ طعامَ الفاسقين. يا أباذرّ، أطعِمْ طعامَك مَن تُحبُّه في الله، وكلْ طعامَ مَن يُحبّك في الله» (١).

فالمؤمن ومَن نحبّ في الله إذن هم المدعوّون.. وفيهم الفقراء. وقد نهىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله عن طعامِ وليمةٍ يُخَصّ بها الأغنياء، ويُترك الفقراء ـ كما روى الإمام الصادق عليه‌السلام (٢).

فإذا كـان الضـيوف مـن الفـقراء وقـد أشـبعهم ذلك المـجلس وآنسَهم، بل أنساهم أنّهم فقراء، فإنّ المضيّف يكون قد حظيَ بخيرٍ وافر.. عن الحسين بن نـعيم، قـال: قـال لي أبـوعبدالله [الصـادق] عليه‌السلام: أَتُحبُ إخوانَكَ يـا حسـين؟! قـلت: نـعم، قـال: تـنفعُ فقراءَهم؟! قلت: نعم، قال: أما إنّه يحقُّ عليكَ أن تُحبَّ مَن يُحِبّ الله، أما واللهِ لا تنفع منهم أحداً حتّىٰ تُحبّه، أتدعوهم إلىٰ منزلك؟! قلت:

(١) أمالي الطوسيّ ٢: ١٤٨.

(٢) الكافي ٦: ٢٨٢ ـ باب الولائم / ح ٤.

ما آكلُ إلّا ومعي منهم الرجلانِ والثلاثة، وأقلُّ وأكثر. فقال أبوعبدالله عليه‌السلام: فضلُهم عليك أعظمُ من فضلك عليهم، فقلتُ: أدعُوهم إلىٰ منزلي، وأُطعمهم طعامي، وأَسقيهم، وأُوطِئُهم رَحْلي، ويكونون علَيَّ أفضلَ مَنّاً؟! قال: «نعم، إنّهم إذا دخلوا منزلَك دخلوا بمغفرتِك ومغفرة عيالك، وإذا خرجوا مِن منزلك خرجوا بذنوبِك وذنوب عيالك» (١).

[٢] حُسن الاستقبال: وعلاماتُه كثيرة، منها: البِشْرُ وطلاقةُ الوجه، وطِيب الكلام، وجمال السلام.. وكلُّها مُعبِّرة عن السرور بقدوم الضيف وفرح المضيّف به، وربّما عن شوقه للّقاء، وقلّة صبره على الفراق وطول الانتظار، وذاك نوعٌ من الكرم يفوق كرمَ المضيّف بالطعام.. وقد أوصانا النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال: «اِلْقَ أخاكَ بوجهٍ مُنبسط» (٢).

وإذا كانت الأخلاق كرماً، فإنّ الاستبشار بوجه الضيف أوّلُ الكرم.. يقول أميرالمؤمنين عليه‌السلام: «البِشرُ ابتداءُ صنيعة بغير مؤونة» (٣). فلا يتكلّفُ طليقُ الوجه أن يُهيّئ مائدةً أحياناً، لكنّه يُكرم

(١) المحاسن: ٣٩٠ ـ ٣٩١/ح ٢٨.
(٢) الكافي ٢: ١٠٣ ـ باب حُسن البِشْر /ح ٣.
(٣) غررالحكم: ٣٥.

ضيفَه بحُسن استقبالِه له، وليس في ذلك عناءُ مؤونة، وكم يأنسُ الضيف بالأخلاق الغنيّة، أكثر من السُّفرة الغنيّة، حينما يُحسّ أنّ صاحب البيت قد فتح له صدره لضيافته.. وقد كان فيما أوصىٰ به النبيُّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم قوله: «إنّكم لن تَسَعُوا الناسَ بأموالكم، فالقُوهم بطلاقة الوجه وحُسنِ البِشْر» [1].

وكم يَجبر عوَزَ البيت من الطعام ما يُبديه المضيِّفُ مِن جميل اللقاء والاستقبال؛ لأنّه كريمُ النفس، والكريمُ يفرح بقدوم الضيف وإن قلّتْ ذاتُ يده، فتظهر على مُحيّاه وسيمائه علائمُ البشاشة إذا أقبل عليه أحد.. وقد عبّر عن ذلك أحد الشعراء، فقال:

أُضاحِكُ ضَيفي قبلَ إنزالِ رَحْلِهِ
ويَخصِبُ عندي والمحلُّ جَديبُ [2]

وما الخِصْبُ للأضيافِ أنْ يكثُرَ القِرىٰ [3]
ولكنّما وجهُ الكريمِ خَصيبُ

وفي مضاحكة الضيف والبشرِ عند لقائه شرفٌ يحظىٰ به المضيِّف، فنقرأ للإمام عليّ سلام الله عليه أقوالَه: «البِشْرُ شِيمة الحُرّ.

---

(١) الكافي ٢: ١٠٣ ـ باب حُسن البشر /ح ١.

(٢) الجَديب: اليابس؛ لاحتباس الماء عنه.

(٣) ما يُقدَّم للضيف.

البِشرُ مَنظرٌ مُؤنق، وخلُقٌ مُشرِق. البِشرُ أحدُ العطاءَين»[(١)].

وكم هو جميلٌ ما قاله الشاعر:

إذا المرءُ وافىٰ منزلاً مِنك قاصداً
قِراكَ وأرْمَتْه لديك المَسالكُ
فكُنْ باسماً في وجهِهِ مُتهلِّلاً
وقلْ: مَرحباً أهلاً، ويومٌ مُباركُ
وقدِّمْ له ما تستطيعُ مِن القِرىٰ
عَجُولاً، ولا تَبخلْ بِما هو هالكُ
بشاشةُ وجهِ المرء خيرٌ من القِرىٰ
فكيف بمَن يأتي به وهْوَ ضاحكُ!

* وقد سُئل الإمام الصادق سلام الله عليه: ما حدُّ حُسنِ الخلق؟ فقال: «تُلين جَناحَك، وتطيّب كلامَك، وتَلقىٰ أخاك بِبشْرٍ حَسَن»[(٢)].

فإذا كان الضيفُ صائماً كان فرحُ المضيّف به أشدّ؛ لأنّه سيُكرم مؤمناً قضىٰ يومه في طاعةِ الله، فهو وَفْدُ اللهِ تعالىٰ إليه.. جاء عن رسولالله صلّى الله عليه وآله قولُه: «ثلاثُ فرحاتٍ للمؤمنِ في الدنيا:

---

(١) غررالحكم: ١٨، ٥٨، ٣٨.

(٢) الكافي ٢: ١٠٣ ـ باب حُسن البشر /ح ٤.

لقاءُ الإخوان، وتفطيرُ الصائم، والتهجّد في آخِرِ اللّيل»[١].

ومع أنّها فرحة، لكنها مغمورةٌ بالثواب الإلهيّ؛ لأنّها نابعة عن خُلُقٍ يُحبُّهالباري جلّوعلا.. عن عاصم بن ضُمرة، عن أميرالمؤمنين عليهالسلام قال: «ما مِن مؤمنٍ يُحبّ الضيف، إلّا ويقوم من قبره ووجهُه كالقمر ليلةَ البدر، فينظر أهلُ الجمع فيقولون: ما هذا إلّا نبيٌّ مرسَل! فيقول مَلَك: هذا مؤمنٌ يُحبّ الضيف، ويُكرم الضيف، ولا سبيلَ له إلّا أن يَدخل الجنّة»[٢]. وقبل ذلك، فإنّ الأرضَ ستُحسن استقباله كما أحسنَ هو استقبالَ ضيفه.. مرَّ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله يوماً بقبرٍ يُحفَر، وقد انبهر الذي يحفره[٣]، فقال له: لِمَن تحفر هذا القبر؟ فقال: لفلان ابن فلان، فقال: وما للأرضِ تَشدّدُ عليك إن كان ما علمتَ لَسهلاً حسَنَ الخلُق. فلانتِ الأرضُ عليه، حتّىٰ كان ليحفرُها بكفَّيه. ثمّ قال صلّى الله عليه وآله: «لقد كان يُحبّ إقراءَ الضيف، ولا يُقري الضيفَ إلّا مؤمنٌ تقيّ»[٤].

بل قبل ذلك يكونالمضيّف قد هبطت عليهالرحمةُ الإلهيّة، فزال عنه عبءٌ ثقيلٌ رهيب.. عن أميرالمؤمنين عليهالسلام قال: «ما مِن

---

(١) المواعظ: ٢٠.

(٢) جامع الأخبار: ١٥٨.

(٣) أي انقطع نَفسُه وتتابع؛ من الإعياء.

(٤) قرب الإسناد ٧٤ ـ ٧٥/ح ٢٤٠ ـ أحاديث متفرّقة.

مؤمنٍ يسمع بِهَمْس الضيف ويفرح بذلك، إلّا غُفِرتْ له خطاياه وإن كانت مُطبّقةً ما بين السماء والأرض»[1].

يقول شاعر مُضيِّف:

الله يـــعلمُ أنّــه مـــا سَــرَّني

شـــيءٌ كــطارقةِ الضُّـيوفِ النُّـزَّلِ

مازِلتُ بـالترحـيبِ حـتّىٰ خِـلْتَني

ضــيفاً له، والضـيفَ ربَّ المَـنزلِ

والفرحُ أو السرور بالضيف تعبيرٌ صادقٌ عن استقبال القلب قبل الجوارح الأخرىٰ، وهو منعكسٌ على المضيِّف في صورةِ طِيبٍ في الكلام، وبشاشةٍ في الوجه، وبشرٍ وانـبساط، فـيُقابل الضـيفُ ذلك بحسن المودّة. وقد أرشد إلى نوال ذلك أميرُالمؤمنين عليه‌السلام فقال: «البشاشةُ فَخُّ المودّة»[2].

ويبلغ بالبعض أنّه يعاتب أخاه العتبَ الجميل، إذا سمع أنّه مرَّ في حَيّه أو بالقرب من داره ولم يَضِفْ عنده ولم يطرق بابه، كما في هذا قال أحد الشعراء:

تَمرُّون الديارَ ولم تَـعُوجوا   كــلامُكمُ عـلَيَّ إذنْ حـرامُ

---

(١) جامع الأخبار ٣٧٧ ـ ٣٧٨/ ح ١٠٥٤ ـ الفصل ٩٤.

(٢) تحف العقول ١٤٣ ـ عنه: بحارالأنوار ٧٨: ٣٩/ ح ١٣. والفَخّ: هو المِصْيَدة.

فإذا طفح طيبُ النفس بانت روحيّةُ الاستقبال، فرأى المضيِّفُ كأنّ بعضَ أهلهِ قد عاد إليه، وأنّ ضيفَه شريكٌ معه فيما يُودِعُه في بيته من الطعام، بل رأىٰ أنّ طعامه يكفي ويتبارك.. ألم يقلْ رسول الله صلّى‌الله عليه وآله: «طعامُ الواحد يكفي الاثنين، وطعامُ الاثنينِ يكفي الثلاثة، وطعام الثلاثةِ يكفي الأربعة» (١)؟!

أمّا ردّ الضيف.. فتلك مسألةٌ ذكَرَ القرآن بها قوماً، فظلّ شنارُها إلى يومنا هذا وإلىٰ ما يشاء الله تبارك وتعالىٰ، حيث قال في سياق قصّة تَرافق موسىٰ والخضر عليهماالسلام: ﴿**فانْطَلَقَا، حتّىٰ إذا أتَيا أهلَ قريةٍ ٱستَطْعَما أهلَها فأبَوا أن يُضيِّفُوهما..**﴾ (٢).

أي حينما انطلقا عليهما السلام، أتَيا بالعشيّ قريةً تُسمّى «الناصرة»، فلم يُضيّفوا أحداً قطّ، ولم يُطعِموا غريباً، فاستطعموهم فلم يُطعِموهم ولم يُضيّفوهم (٣). قال السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ في تفسيره: والمراد بالاستطعام طلبُ الطعام بالإضافة (أي الضيافة)؛ ولذا قال تعالىٰ: ﴿**فأبَوا أن يُضيِّفُوهما**﴾ (٤).

---

(١) المحاسن: ٣٩٨/ ح ٧٥.

(٢) سورة الكهف: ٧٧.

(٣) النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين: ٢٩١، وتفسير نور الثقلين ٣: ٢٨٢/ ح ١٥٨ ـ عن تفسير القمّيّ.

(٤) الميزان في تفسير القرآن ١٣: ٣٤٦.

وفي الحديث المفصّل عن رسول الله صلّى الله عليه وآله حول المُسوخ وسبب مَسخها، قال: «.. وأمّا القنفذ، فإنّه كان رجلاً من صناديد العرب، فمُسِخ؛ لأنّه كان إذا نزل به الضيف ردّ البابَ في وجهه ويقول لجاريته: اخرُجي إلى الضيف فقولي له: إنّ مولاي غائب عن المنزل. فيبيت الضيف بالباب جوعاً، ويبيت أهل البيت شباعاً مخصبين» (١).

[٣] ويبلغ الدين الحنيف من إكرامه للضيف أن يجعل مِن آداب المضيِّف رفعَ الحرج والعناء عنه، وإزالة الضيق ورفع الضائقة، وإفساح مجالات الراحة له، وتركه قليلاً ليستريحَ ويأتيَ بما يمنعُه الحياءُ منه. حتّىٰ يشعر الضيفُ كأنّه في بيته لِما يرى من الإكرام والسَّعة عليه، بعد أن كان مُعسراً، لأنّ أخلاق صاحب الدار أوسع من الدار، ولقد أجاد الشاعر حيث قال:

لَعَمرُك ما ضاقَتْ بلادٌ بأهلِها ... ولكنَّ أخلاقَ الرجالِ تَضيقُ

فإذا أنزله في المكان اللّائق، وأسرع إليه في قضاء حوائجه، وقدّم له ما يرتفع به الحرج والفاقة، وأسرع له في تهيئة السراج، ودلّه على مايحتاج إليه، كان ذلك من المضيّف كرماً ومروءة.. سُئِل الإمامُ الحسن بن عليّ عليهماالسلام عن الكرم والمروءة، فقال عليه السلام:

---

(١) الاختصاص: ١٣٧ ـ ١٣٨.

«أمّا الكرم: فالتبرّعُ بالمعروف، والإعطاءُ قبل السؤال، والإطعام في المحلّ. وأما المروءة: فحِفظُ الرجلِ دِينَه، وإحرازُ نفسه من الدنس، وقيامُه بضيفه، وأداءُ الحقوق، وإفشاء السلام» (١).

* وجاء عن أميرالمؤمنين عليه‌السلام قولُه: «ثلاثٌ لا يُسْتَحيا مِنهنّ: خدمةُ الرجل ضيفَه، وقيامُه مِن مجلسه لأبيه ومعلِّمِه، وطلبُ الحقّ وإن قَلّ» (٢).

ولكنْ.. ربمّا بالغَ المضيِّف في الإكرام حتّىٰ تعدّاه إلى المشقّة يُثقل بها علىٰ ضيفه، فيُحرجه ويلحُّ عليه فيما لا يرغبه من الطعام أو الشراب أو الجلوس أو المبيت، وغير ذلك ممّا قد يُدخل عليه الأذىٰ والضيق، لذا نبّه إلىٰ هذا رسولُ الله صلّى الله عليه وآله حيث قال: «لا تُلزِمْ ضيفَك بما يَشقُّ عليه» (٣)، وكذا الإمامُ الحسن العسكريّ سلامُ الله عليه فقال: «لا تُكرمِ الرجلَ بما يَشقّ عليه» (٤).

وقد جاء في الرواية التي تتحدّث عن هجرة المصطفىٰ صلّى الله عليه وآله إلى المدينة المنوّرة، أنّه لمّا وصل وأرخىٰ زمامَ ناقته اجتمعت إليه بنو عمرو بن عوف، فقالوا: يا رسولَ الله، أَقمْ عندَنا..

---

(١) كنزالعمّال / ح ٨٧٦٤.

(٢) غررالحكم للآمديّ: ١٦٠، عيون الحكم للواسطيّ ٦: ١٥٠.

(٣) مكارم الأخلاق: ١٣٥ ـ الباب السابع / الفصل الأوّل، في فضل إطعام الطعام..

(٤) تحف العقول: ٣٦٤.

فقال صلّى الله عليه وآله: «خَلُّوا عنها؛ فإنّها مأمورة» ـ أي الناقة ـ وعدا الأوسُ والخزرج حول ناقته، ووثبوا في وجهه وأخذوا بزمان ناقته وتطلّبوا إليه أن ينزل عليهم، فقال صلّى الله عليه وآله: «خلُّوا سبيلها؛ فإنّها مأمورة».. حتّىٰ بركت الناقةُ علىٰ باب أبي أيّـوب الأنـصاريّ، فنزل عنها رسولُ الله صلّى الله عليه وآله فتشرّف أبو أيّـوب بـهذه الاستضافة الكريمة، ووثبتْ أمُّ أبي أيوب إلى الرَّحْلِ فحلّتْه فأدخلَتْه منزلها. وكان أبو أيّوب الأنصاريّ له منزلٌ أسفل وفوق المنزل غرفة، فكَرِه أن يعلوَ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله، فقال: يا رسولَ الله، بأبي أنتَ وأمّي، العلُوُّ أحبُّ إليك أَم السفل؟ فإنّي أكرهُ أن أعلوَ فوقك، فقال صلّى الله عليه وآله: «السفلُ أرفقُ بنا لِمَن يأتينا».

قال أبو أيّوب: فكنّا في العلوّ أنا و أُمّي، فكنتُ إذا استقيتُ الدَّلْوَ أخاف أن يقع منه قطرةٌ على رسول الله صلّى الله عليه وآله، وكنتُ أصعدُ وأمّي إلى العلوّ خفياً مِن حيث لا يـعلم ولا يُـحسّ بـنا، ولا نتكلّمُ إلّا خفياً، وكان إذا نام صلّى الله عليه وآله لا نـتحرّك. وربّـما طبَخْنا في غرفتنا فنَجيف الباب (١) علىٰ غـرفتنا مـخافةَ أن يُـصيبَ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله دخان. ولقد سقَطَتْ جرّةٌ لنا وأُهرِيق الماء، فقامت أُمُّ أبي أيّوب إلىٰ قطيفةٍ لم يكن لنا واللهِ غيرُها، فألقَتْها

(١) أيَ نردّه.

على الماء تستنشف به مخافةَ أن يسيل علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله من ذلك شيء [١].

بل يبلغ الإسلامُ في رعايته للضيف أن يكلّف المضيِّفَ بدفع زكاةِ الفطرةِ عنه إذا كان بائتاً عنده ليلةَ عيد الفطر، لأنّه ضمّه إليه.. عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (الصادق) عليه‌السلام، قال: سألتُه عن صدقة الفطرة، فقال: «عن كلِّ رأسٍ مِن أهلك، الصغير منهم والكبير، والحرّ والمملوك، والغنيّ والفقير، كلّ مَن ضَمَمتَ إليك..» [٢].

وعنه أيضاً قال أبوعبدالله (الصادق) عليه‌السلام: «كلُّ مَن ضَممتَ إلىٰ عيالك مِن حُرٍّ أو مملوك، فعليكَ أن تُؤدّيَ الفطرةَ عنه» [٣].

وقد جاء في فتاوى العلماء أنّه: يجب علىٰ مَن استكمل الشرائط إخراجُ زكاة الفطرةِ عن نفسه وعمّن يَعولُه من مسلم وكافر، وحرٍّ وعبد، وصغيرٍ وكبير، حتّى المولود قبل هلال شوّال ولو بلحظة، وكذا كلّ مَن يدخل في عيلولته قِبَلَه، حتّى الضيف وإن لم يتحقّق منه الأكل.

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى، للطبرسيّ ١: ١٥٥ ـ ١٥٦.
(٢) تهذيب الأحكام، للطوسيّ ٤: ٨٦/ح ٢٥٠.
(٣) تهذيب الأحكام، للطوسيّ ٤: ٧١/ح ١٩٣.

[٤] ترك التكلّف: إذا كان مِن آداب الضيف ألّا يكلّفَ صاحبه، وألّا يشقّ عليه أو يُحرجَه، فإنّ من آداب المُضيِّف ألّا يتكلّف في ضيافته له. وإذا كان على الضيف ـ لاسيّما إذا كان مستطرِقاً بلا موعد ـ أن يمنع صاحبَ الدار عن التكلّف له ليُشعره أنّه أخوه في الله تعالىٰ، وأنّه أراد بزيارته الصلة، وليُطَمْئنه أنّ الذي يُوضَع على المائدة إنّما يوضَع عن مودّةٍ ومحبّة لا اتّقاءَ شرٍّ أو خشية انتقادَ وانتقاص، فإنّ على المضيّف أن يبادلَه هذا الانشراح، ويجعل ذلك تكرمةً له.. جاء عن النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله قوله: «مِن تَكْرِمةِ الرجلِ لأخيه أن يَقبلَ تُحْفتَه، وأنْ يُتحفهَ بما عنده، ولا يتكلّفَ له شيئاً» (١)، وقال صلّى الله عليه وآله: «لا أُحبّ المتكلّفين» (٢)، وعن الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه رُويَ أنّه قال: «المؤمن لا يحتشمُ مِن أخيه، وما أدري أيُّهما أعجب: الذي يُكلِّف أخاه إذا دخلَ عليه أن يتكلّفَ له، أو المتكلّف لأخيه؟!» (٣).

فإذا لم يتكلّفْ صاحبُ الدار إلّا ما في ذات يده فإنّه يُعرب عن الأخوّة، ويُفهِم ضيفَه أنّه أعدّه من أهل بيته. وإذا لم يُكلِّف الضيفُ

---

(١) المحاسن: ٤١٥/ ح ١٦٨.
(٢) المحاسن: ٤١٥/ ح ١٦٨.
(٣) المحاسن: ٤١٤/ ح ١٦٤.

صاحبَه فإنّه في المقابل يُعرب له عن تلك الأخوّة، ويتخلّص ممّا قد يُؤثمهُما.. يقول المصطفى الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «كفىٰ بالمرءِ إثماً أن يستقلّ ما يُقرِّبُ إلىٰ إخوانه، وكفىٰ بالقوم إثماً أن يستقلّوا ما يُقرِّبُه إليهم أخوهم» (١).

* وعن صفوان بن يحيىٰ قال: جاءني عبدالله بن سنان، قال: هل عندك شيء؟ فقلت: نعم. فبعثتُ ابني فأعطيتُه درهماً يشتري به لحماً وبيضاً، فقال: أين أرسلتَ ابنَك؟! فخبّرتُه، فقال: رُدَّهُ رُدَّه، عندك خَلّ؟ عندك زيت؟ قلت: نعم، قال: فَهاتِه؛ فإنّي سمعتُ أباعبدالله (الصادق) عليه‌السلام يقول: «هَلَكَ امرؤٌ احتَقَر لأخيه ما حضَرَه، هَلَك امرؤٌ احتَقَر لأخيه ما قدّم إليه» (٢).

* وفي الرواية، قال أبو وائل: ذهبتُ أنا وصاحبٌ لي إلىٰ سلمان الفارسيّ فجلسنا عنده، فقال: لولا أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله نهىٰ عن التكلّف لَتكلّفتُ لكم. ثمّ جاء بخبزٍ وملحٍ ساذج لا أبزار عليه، فقال صاحبي: لو كان في مِلحنا هذا سَعْتر! فبعث سلمانُ بِمِطْهَرته فرهَنَها علىٰ سَعتر، فلمّا أكلنا قال صاحبي: الحمدُ لله الذي قنعنا بما رزقَنا، فقال سلمان: لو قنعتَ بما رزقك لم تكنْ مِطْهَرتي مَرهونة! (٣)

---

(١) المحاسن: ٤١٤/ح ١٦٥.

(٢) المحاسن: ٤١٥/ح ١٦٦.

(٣) بحارالأنوار ٢٢: ٣٨٤/ح ٢٣ ـ عن: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزليّ.

[٥] وإذا كان من آداب الضيافة ألّا يتكلّفَ المضيِّف لضيفه، فمنها ـ بل هو أَولىٰ ـ **ألّا يُكلّف ضيفه في شأنٍ مِن شؤونه**، فقد يُنافي التكريمَ أن يستخدمَ المضيّفُ ضيفَه، ويجانبُ المروءةَ أن يُرهقه بأمرٍ وقد جاء ليستريحَ عنده ويُلقيَ بأتعابه في ضيافته.

* عن ميسرةَ قال: قال أبوجعفر الباقر عليه‌السلام: «إنّ من التضعيف تركَ المكافاة، ومن الجَفاء استخدام الضيف، فإذا نزل بكمُ الضيف فأعِينوه، وإذا ارتحَلَ فلا تُعِينُوه..» (١).

* وعن ابن أبي يعفور قال: رأيتُ عند أبي عبدالله (الصادق) عليه‌السلام ضيفاً، فقام يوماً في بعض الحوائج فنهاه عن ذلك وقام بنفسه إلىٰ تلك الحاجة وقال عليه‌السلام: «نهىٰ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله عن أن يُستخدَمَ الضيف» (٢).

* وعن عبيد بن أبي‌عبدالله البغداديّ، عمّن أخبره قال: نزل بأبي الحسن الرضا عليه‌السلام ضيف، وكان جالساً عنده يُحدّثه في بعض اللّيل، فتغيّر السراج، فمدّ الرجلُ يدَه ليُصلحه، فزبره أبوالحسن عليه‌السلام، ثمّ بادره بنفسه فأصلحه، ثمّ قال له: «إنّا قومٌ لا نستخدم أَضيافَنا» (٣).

---

(١) الكافي ٦: ٢٨٣ ـ باب كراهية استخدام الضيف / ح ٣. والتضعيف من أسباب أن يُعدّ المرء ضعيفاً، لا يبالي ـ كما قيل.

(٢) الكافي ٦: ٢٨٣ / ح ١.

(٣) الكافي ٦: ٢٨٣ / ح ٢. وزبرَه بمعنىٰ: مَنعَه.

[٦] كثيراً ما يكون في الضيافة إطعام، وفي الإطعام آدابٌ كثيرة حبّذا لو عَرَفها المضيّف ولم يغفل عنها. وهي:

(أ) إنّ القادم غالباً ما يكون ذا حاجة، ماديّة أو نفسيّة معنويّة، وفي الإطعام قضاءٌ لبعض حاجة الضيف، ورفع للحرج والجهد والعناء، وإكرام لقدومه، فإذا حلّ فلابدّ من العَرْض.. قال أبوعبدالله عليه‌السلام: «إذا دخَلَ عليك أخوك فاعرضْ عليه الطعام، فإن لم يأكل فاعرضْ عليه الماء، فإن لم يشرب فاعرضْ عليه الوضوء» (١).

فإذا أراد أن يأكل عرَضَ عليه الوضوء قبل الطعام، وفي ذلك إصابةٌ لسُنّةٍ مؤكّدة.. عن الإمام الحسن بن عليّ عليهما‌السلام قال: «في المائدة اثنتا عشرة خَصلةً يجب على كلّ مسلم أن يعرفها: أربعٌ منها فَرْض، وأربع منها سُنّة، وأربع منها تأديب.

فأمّا الفرض: فالمعرفة، والرضىٰ، والتسمية، والشكر. وأمّا السُّنّة: فالوضوء قبل الطعام، والجلوس على الجانب الأيسر، والأكل بثلاثة أصابع، ولعق الأصابع. وأمّا التأديب: فالأكلُ مِمّا يليك، وتصغير اللُّقمة، والمَضْغ الشديد، وقلةُ النظر في وجوه الناس» (٢).

وفي آداب الضيافة يكونالمضيِّف هو المبادِر إلى الوضوء ليرفع

---

(١) المحاسن ٤١٧/ ح ١٧٩. وربّما أُريد بالوضوء تجديدُه، أو غسل الأيدي.

(٢) مكارم الأخلاق: ١٤١، و من لا يحضره الفقيه، للصدوق ٣: ٣٥٩/ ح ٤٢٧٠.

التردّد والحرج عن ضيوفه.. يقول الإمام الصادق عليه‌السلام: «الوضوءُ قبل الطعام، يبدأ به صاحبُ البيت لئلّا يحتشمَ أحد، فإذا فَرَغ من الطعام يبدأ مَن عن يمين الباب، حرّاً كان أو عبداً». وفي حديثٍ آخر: «فليغسِلْ أوّلاً ربُّ البيت يدَه، ثمّ يبدأ بِمَن عن يمينه» (١).

ومِن هنا يُفهَم الوضوء في روايات آداب المائدة بأنّه غَسلُ اليدين، كما يُفهم مِن عَرض الطعام والشراب والوضوء هو التقديم لا السؤال.. فقد جاء عن مولانا الصادق سلام الله عليه قوله: «لا تَقلْ لأخيك إذا دخل عليك: أكلتَ اليومَ شيئاً؟ ولكنْ قَرّبْ إليه ما عندك، فإنّ الجوادَ كلّ الجواد مَن بَذلَ ما عنده» (٢).

(ب) أن يعجّل المضيِّف في إحضار الطعام، فإذا كانت العجلةُ من الشيطان فإنّها مستثناةٌ في خمسة أمورٍ هُنّ مِن سُنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله: إطعام الضيف، وتجهيز البيت، وتزويج البِكر، وقضاء الدَّين، والتوبة من الذنوب (٣). فإذا تزاحم التقديم مع الصلاة فهنالك حالات لها إجابات.. عن سُماعة بن مِهران قال: سألتُ

---

(١) علل الشرائع: ٢٩٠ ـ الباب ٢١٦/ ح ١، ٢.

(٢) بحارالأنوار ٧٥: ٤٥٥/ ح ٢٨ ـ عن: السرائر لابن إدريس الحلّيّ: ٤٧٧.

(٣) جامع السعادات ٢: ١٥٤.

أباعبدالله (الصادق) عليه‌السلام عن الصلاة تحضر وقد وُضِع الطعام، فقال: «إن كان في أوّل الوقت يبدأ بالطعام، وإن كان قد مضىٰ من الوقت شيءٌ يخاف تأخيرَه فليبدأ بالصلاة»، أو في رواية: «وتخاف أن تَفوتك فتعيد الصلاة، فابدأ بالصلاة»[1].

وقد أفرد الشيخ الحرّ العامليّ رحمه الله في كتابه (وسائل الشيعة) باباً عنوانه: باب استحباب تقديم الصلاة على الإفطار إلّا أن يكون هناك مَن ينتظر إفطاره، أو تُنازعه نفسه إليه[2]، جاء فيه:

* عن زرارة وفُضَيل، عن أبي جعفر عليه‌السلام: «في رمضان تُصلّي ثمّ تُفطر، إلّا أن تكونَ مع قوم ينتظرون الإفطار، فإن كنتَ تفطرُ معهم فلا تخالفْ عليهم وأفطرْ ثمّ صلِّ، وإلّا فابدأ بالصلاة». قلتُ: ولِمَ ذلك؟ قال: «لأنّه قد حضرك فرضان: الإفطارُ والصلاة، فابدأ بأفضلهما، وأفضلُهما الصلاة». ثمّ قال: «تصلّي وأنتَ صائم فتُكتَب صلاتك تلك، فتَختم بالصوم أحبُّ إليّ»[3].

* وعنه عليه‌السلام أيضاً: «تُقدّم الصلاةَ على الإفطار، إلّا أن

---

(١) الكافي ٦: ٢٩٨/ح ٩.
(٢) الجزء العاشر: ١٤٩ ـ باب ٧ من أبواب آداب الصائم، تحقيق: مؤسّسة آل البيت (ع) لإحياء التراث.
(٣) وسائل الشيعة ١٠: ١٥٠/ح ٢.

تكونَ مع قومٍ يبتدئون بالإفطار، فلا تخالفْ عليهم وأفطرْ معهم» (١).

* وعن الحلبيّ، عن أبي عبدالله الصادق عليه‌السلام أنّه سُئل عن الإفطار، أقَبْلَ الصلاة أو بعدَها؟ فقال: «إن كان معه قوم يـخشىٰ أن يَحبسَهم عن عَشائهم فلْيفطرْ معهم» (٢).

(ج) تقديم الطعام أمام الضيف، لا أن يُنقلَ الضيفُ إلى الطعام في مكانٍ آخر، إذا لم يكن هنالك ما يستوجب.

(د) خدمة الضيف بنفس المضيِّف لا بغيره، فإنّ خدمته تـعبيرٌ عن المودّة والاعتزاز والتواضع والبساطة، وفي ذلك ثـوابٌ كـريم، لقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: «أيّما مسـلم خَـدَم قـوماً مـن المسلمين إلّا أعطاه اللهُ مِثلَ عددِهم خُدّاماً في الجنّة» (٣).

وقد يأنف البعضُ أن يقومَ بنفسه في خدمة ضيفه، فيرىٰ مِـن الشرف أن يكلّفَ خادمَه بذلك، بينما يقول الإمام الصادق سلام‌الله عليه: «أربعٌ لا ينبغي لشريفٍ أن يأنفَ منها: قيامُه مِن مجلسه لأبيه، وخدمتُه لضيفه، وقيامُه لدابّته ولو أنّ له مائةَ عبد، وخدمتُه لِمَن يتعلّم منه» (٤).

---

(١) وسائل الشيعة ١٠: ١٥١/ح ٤.

(٢) وسائل الشيعة ١٠: ١٥٠/ح ١.

(٣) الكافي ٢: ٢٠٧ ـ باب خدمة المؤمن/ح ١.

(٤) لواقح الأنوار، للشعرانيّ ١: ٢٨.

«هـ» تقديمُ الطعام علىٰ قَدْر الكفاية، إذ تقديمُ القليلِ مع توفّره في البيت نقصٌ في المروءة (١)، فينبغي أن يكون ما على المائدة مُشبِعاً؛ كي يُصيب العبدُ أحدَ الأعمال المحبوبة عند الله سبحانه وتعالى.. رُوي عن الإمام الصادق سلام الله عليه أنّه قال: «مِن أحبّ الأعمال إلى الله: إشباعُ جَوعةِ المؤمن، أو تنفيس كُربته، أو قضاء دَينه» (٢).

(و) اختيار الأجود من الطعام وحتّى الفراش وغيره للضيف، إكراماً له.. وفي الرواية: كان أبوعبدالله الصادق عليه‌السلام يُطعم أصحابه الفراني والأخبطة ثمّ يَطعَم هو الخبزَ والزيت، فقيل له: لو دبّرتَ أمرَك حتّىٰ يعتدل، فقال عليه‌السلام: «إنّما تدبيرُنا من الله، إذا وسَّعَ علينا وسَّعْنا، وإذا قتّر قتّرنا» (٣).

* وقال عليه‌السلام يوماً: «كان سليمان عليه‌السلام يُطعِم أضيافَه اللّحمَ بالحُوّارى (٤)، وعيالَه الخشكار (٥)، ويأكل هو الشعيرَ غير منخول» (٦).

---

(١) جامع السعادات ٢: ١٥٤.

(٢) المحاسن: ٣٨٨/ ح ١٣.

(٣) المحاسن: ٤٠٠/ ح ٨٤.

(٤) الحُوّارىٰ: الخبز المصنوع من الدقيق الأبيض، وهو لُباب الدقيق منخولاً مرّةً بعد مرّة.

(٥) الخشكار: الخبز المعمول من الدقيق الأسمر، وهو الذي لم يُنخل، ويقال له خبز السمراء.

(٦) بحارالأنوار ١٤: ٧٠/ ح ٨ ـ عن: دعوات الراونديّ (سلوة الحزين: ١٥٥/ ح٣٨٢)، وقصص الأنبياء والمرسلين للسيّد نعمةالله الجزائريّ: ٣٦١.

وقد أضاف أبوذرّ الغفاريّ رضوان الله عليه ضيفاً، فقال للضيف: إنّي مشغول، وإنّ لي إبلاً فاخرجْ وأْتِني بخيرها. فذهب فجاء بناقةٍ مهزولة، فقال أبوذرّ: خُنْتَني بهذه، فقال: وجدتُ خيرَ الإبل فَحْلَها، فذكرتُ يومَ حاجتكم إليه، فقال أبوذرّ: إنّ يومَ حاجتي إليه لَيومُ أُوضَعُ في حفرتي، مع أنّ الله يقول: ﴿**لَن تَنالُوا البِرَّ حتّىٰ تُنفقُوا مِمّا تُحِبُّون**﴾. ثمّ قال: في المال ثلاثةُ شركاء: القَدَر لا يُستأمنُ أن يذهبَ بخيرها أو شرّها مِن هُلكٍ أو موت، والوارث ينتظرُك أن تضعَ رأسك ثمّ يستاقُها وأنت ذميم، وأنت الثالث، فإنِ استطعتَ أن لا تكون أعجزَ الثلاثة فلا تكنْ، إنّ الله يقول: ﴿**لَن تَنالُوا البِرَّ حتّىٰ تُنفقُوا مِمّا تُحِبُّون**﴾، وإنّ هذا الجَمَل كان ممّا أُحبُّ مِن مالي، فأحببتُ أن أُقدّمَه لنفسي [1].

وهذا لا ينطوي تحت عنوان التكلّف، بل يشمله السخاء.. كذا مَن دعا أخاه المؤمنَ إلى ضيافته فبالغ في تقديم الأجود لا يُريد بذلك مفاخرةً ولا سمعة، ولا بطراً ولا رياءً ولا مباهاة.. قال مولانا الإمام الصادق عليه‌السلام: «إذا أتاك أخوك فآتِهِ بما عندك، وإذا دَعَوتَه فتكلّفْ له» [2].

---

(١) مجمع البيان، للطبرسيّ ٢: ٤٧٤، والآية في سورة آل عمران: ٩٢.

(٢) المحاسن: ٤١٠/ ح ١٣٨.

(ز) مُواكلة الضيف، كي لا يشعر بالغربة، أو بـرقابة العـيون له فينقطعَ عن الأكل حياءً وخجلاً؛ ولا يواصلَ تناولَه للطعام كما يُحبّ ويشتهي حيث يرىٰ نـفسَه لوحـده، مـنفرداً بـالمائدة وقـد رُفـعتِ الأيدي.

والمواكلةُ سُنّةٌ شريفة ينقلُها الإمام الصادق عليه‌السلام في قوله: «كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا أكل مع القوم أوّلَ مَن يضع يدَه مع القوم وآخِرَ مَن يرفعها، إلى أن يأكلَ القوم» (١).. كـذا نـقلها الإمام موسى الكاظم عليه‌السلام، في قوله: «إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان إذا أتاه الضيف أكَلَ معه، ولم يرفَعْ يدَه من الخِـوان حتّىٰ يرفعَ الضيفُ يدَه» (٢).

أمّا تعليل ذلك فيذكره الإمام الصادق سلام الله عليه في قوله: «إنّ الزائر إذا زار المزورَ فأكل معه ألقىٰ عنه الحِشمة، وإذا لم يأكلْ معه ينقبضُ قليلاً» (٣).

وفي المواكلة هذه ثوابٌ وشرفٌ عظيمان لا يتصوّرهما المؤمنُ حتّىٰ يَعلم أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: «مَن أحبَّ أن يُحبَّهُ اللهُ

---

(١) الكافي: ٦: ٢٨٥ ـ باب الأكل مع الضيف / ح ١.
(٢) الكافي: ٦: ٢٨٥ / ح ٤.
(٣) الكافي ٦: ٢٨٥ / ح ٣.

ورسولُه فلْيأكلْ مع ضيفِهِ» (١)، وقال صلّى الله عليه وآله: «مَن أكـلَ طعامَه مع ضيفه فليس له حجابٌ دون الربّ» (٢).

وربّما اقتضت المواكلةُ إيثاراً على النفس والأهل، كما كان ذلك في ضيافة الإمام عليّ وزوجته الزهراء صلوات الله عليهما لجائع..

* عن أبي هريرة و ابن عباس قالا: جاء رجـل إلىٰ رسـول الله صلّى الله عليه وآله فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله صلّى الله عليه وآله: «مَن لهذا الرجل اللّيلة؟» فقال أميرالمؤمنين عليه‌السلام: «أنا له يا رسولَ الله».

فأتى فاطمةَ عليهاالسلام وسألها: «ما عندكِ يا بنتَ رسول الله؟» فقالت: «ما عندنا إلّا قُوتُ الصِّبْية، لكنّا نُـؤْثر ضـيفَنا»، فـقال عـليّ عليه‌السلام: «يا بنت محمّد صلّى الله عليه وآله، نَوِّمي الصِّبْيةَ وأطْفِئي المصباح». وجعلا يمضغانِ بألسنتهما، فلمّا فَرَغ [الضيف] من الأكل أتت فاطمة بسراج فوجَدَت الجَفْنة مملوءةً مِن فضل الله.

فلمّا أصبح [الضيف] صلّىٰ مع النبيّ صلّى الله عليه وآله، فـلمّا سلّم النبيُّ صلّى الله عليه وآله مِن صـلاته نـظر إلىٰ أمـيرالمـؤمنين عليه‌السلام وبكىٰ بكاءً شديداً وقال: «لقد عَجِب الربُّ مِن فِعلِكُم

---

(١) تنبيه الخواطر، لورّام: ٣٥٧.

(٢) تنبيه الخواطر، لورّام: ٣٥٧.

البارحة، إقرأ: ﴿**ويُؤثِرونَ علىٰ أنفُسِهِم ولَو كانَ بِهِم خَصاصةٌ، ومَن يُوقَ شُحَّ نفسِه فأُولئكَ هُمُ المُفْلِحُون**﴾» [١].

فجمع أميرالمؤمنين، وسيّدة نساء العالمين، صلواتالله عليهما، إلىٰ حُسن ضيافتهما وطِيب كرمها وسخائهما.. إيثاراً عَـجِب الربُّ تعالىٰ منه.

(ح) المضيِّف ـ وهو يواكل ضيفَه ـ لا ينظرُ إلىٰ ما أكل إذا لم يزل ضيفُه منشغلاً بِتناول الطعام، فقد يُشَكّ بأنّه ينتظر أن تُرفع الأيدي عن مائدته، لذا جاء في جملة آداب الأكل: قـلّة النـظر فـي وجـوه الناس [٢].

(ط) وقد يأخذ الضيفَ شيءٌ مـن الحـياء.. فـيكون مـن آداب المضيّف أن يزيد في عَرض الطعام ويُشجّعَه على الأكل ويُلحَّ عليه، معرباً عن سروره به، ومعاتباً له إذا أكل قليلاً وكفّ يدَه عن الطعام، مُشعِراً ضيفَه أنّه لم يأكل الّا القليل، فإذا اعتذر عن الاستمرار لاطفَه وآنَسَه لتنشرحَ نفسُ الضيف، وألحّ عليه ليرفع عنه الخجل، فإذا لم ينفعْ ذلك أقسمَ عليه بأن يأكلَ مقداراً آخَـرَ ولو كـان قـليلاً؛ لكـي

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٢: ٨٧ (ط ـ دارالأضواء) عن تفسير أبي يوسف، وكذا أمالي الشيخ المفيد. والآية في سورة الحشر: ٩.

(٢) مكارمالأخلاق: ١٤١.

لا يبقىٰ شكّ أنّ الضيف كان قد كفّ عن الأكل إحساساً بالغُربة، فيأكل بعنوان الاستجابة لالتماس المضيّف وإلحاحه ورغبته، فيتناول شيئاً آخَرَ وهو منشرحُ النفس، غيرُ شاعرٍ بالغربة أو الوحشة.

هذا.. مع ملاحظة أدبٍ ثانٍ من قِبل المضيّف، وهو: عدم المشقّة على الضيف، فإذا لم يكن ذلك، كان التشجيعُ علىٰ تناول المزيد أدباً من آداب الضيافة، وسُنّةً كريمةً من سُننِ أهل بيتِ الرحمة والكرم صلواتالله عليهم.

* عن عبدالرحمان بن الحجّاج قال: أكلْنا مع أبي عبدالله عليهالسلام فأُتِينا بقصعةٍ من أُرزّ، فجعَلْنا نعذر، فقال: «ما صَنعتُم شيئاً، إنّ أشدَّكم حبّاً لنا أحسنُكم أكلاً عندنا». قال عبدالرحمان: فرفعتُ كسحةَ المائدة فأكلت، فقال عليهالسلام: «الآن». ثمّ أنشأ يُحدّثنا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أُهديَ له قصعةُ أُرزّ مِن ناحية الأنصار، فدعا سلمانَ والمِقدادَ وأباذرّ ـ رحمهمالله ـ فجعلوا يعذرون في الأكل، فقال: «ما صنعتُم شيئاً، أشدُّكم حبّاً لنا أحسنُكم أكلاً عندنا»، فجعلوا يأكلونَ أكلاً جيّداً. ثمّ قال أبوعبدالله ″ «رحِمَهمُ اللهُ ورضيَ عنهم، وصلّى الله عليهم» (1).

* وعن هِشام بن سالم، قال: دخلنا مع ابن أبي يعفور علىٰ

(1) الكافي ٦: ٢٧٨ / ح ٣.

أبي‌عبدالله عليه‌السلام ونحن جماعة، فدعا بالغَداء فتغدّينا وتغدّىٰ معنا، وكنتُ أحدثَ القومِ سنّاً، فجعلتُ أقصر، فقال لي: «كُلْ، أما علمتَ أنّه تُعرَف مودّةُ الرجل لأخيه بأكله مِن طعامه؟!» (١).

* وعن عَنْبسة بن مصعب قال: أَتينا أباعبدالله عليه‌السلام وهو يريد الخروج إلىٰ مكّة، فأمر بِسُفرة فوُضِعَتْ بين أيدينا، فقال: «كلوا»، فأكلنا، فقال: «أبيتُم أبيتُم (٢)، إنّه كان يُقال: اعتُبِر حبُّ القوم بأكلهم». قال عنبسة: فأكلنا وقد ذهبت الحشمة (٣).

* وفي رواية أخرى قال سلام الله عليه: «أما علمتَ أنّه يُعرَف حبُّ الرجلِ أخاه بكثرة أكله عنده؟!» (٤).

* وعن عبدالله بن سليمان الصِّيرفيّ، قال: كنتُ عند أبي عبدالله عليه‌السلام فقدّم إلينا طعاماً فيه شَواءٌ وأشياء بعده، ثمّ جاء بقَصْعةٍ مِن أُرزّ فأكلتُ معه، فقال: «كُلْ»، قلتُ: قد أكلتُ، فقال: «كلْ؛ فإنّه يُعتَبر حبُّ الرجل لأخيه بانبساطه في طعامه». ثمّ حاز لي حَوزاً

(١) الكافي ٦: ٢٧٨ / ح ١.

(٢) في الكافي: أَثْبتُّم أَثْبتُّم، أي: أثبتُّم حبَّكُم إيّاي بأكلِكُم عندي كما أحببت. (الوافي، للفيض الكاشاني ٢٠: ٥٢٣ / ح ١٩٩٣٥).

(٣) المحاسن: ٤١٣ / ح ١٦١، الكافي ٦: ٢٧٩ / ح ٥.

(٤) المحاسن: ٤١٣ / ح ١٦٠.

بأصبعه من القصعة، وقال لي: «لتأكلَنَّ ذا بعدما قد أكلت»، فأكلتُه (١).

*وعن الحارث بن المُغيرة قال: دخلتُ على أبي عبدالله عليه‌السلام فدعا بالخِوان، فأُتي بقصعةٍ فيها أُرزّ، فأكلتُ منها حتّىٰ امتلأت، فخَطَّ بيده في القَصعة ثمّ قال: «أقسمتُ عليك لَمّا أكلتَ دونَ الخطّ» (٢).

(ي) ورُويَ أنّ الإمام الصادق جعفر بن محمّد عليهما‌السلام كان يُلقِّم أصحابه ويقول: «مَن لقّم مؤمناً لقمةَ حلاوةٍ صرَفَ اللهُ عنه مرارةَ يوم القيامة» (٣).

فإذا كان ذلك من المضيّف كان أدباً عبّر به عن حبّهِ لضيفه، وسروره بأكله في بيته.

(ك) وإذا أراد المضيّف أن يؤدّي حقّاً آخرَ لصاحبه، جاء له بالخِلال ينظّف به ما بين أسنانه من الطعام ليصيب به سُنّةً شريفة.. ففي رواية الإمام الصادق عليه‌السلام: «ناوَلَ رسول الله صلّى الله عليه وآله جعفرَ بنَ أبي طالب خِلالاً وقال له: تخلّلْ، فإنّه مصلحةٌ لِلَّثّة، ومَجْلبةٌ للرزق» (٤)، وفي رواية سليمان بن جعفر البصريّ قال: قال

---

(١) الكافي ٦: ٢٧٩/ح ٤.
(٢) المحاسن: ٤١٣/ح ١٥٩.
(٣) مصادقةالإخوان: ٢٨ ـ باب تلقيم الإخوان /ح ١.
(٤) المحاسن: ٥٦٣ ـ ٥٦٤/ح ٩٦٢.

رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: «إنّ مِن حقِّ الضيف أن يُعِدَّ له الخِلال» (١).

(ل) فإذا انتهى الضيف وقام من المائدة، كان من أدب المضيّف أن ينهض قبلَه ليصبّ الماءَ على يد ضيفه يُعينه ويُكرمه. وإذا كنّا في زماننا هذا قد استغنينا عن الصبّ فلا أقلّ من أن يُهيّئ المضيّفُ لصاحبه ما يغسل به يديه مع المنديل.

وهذه الآداب كُلّها معبّرةٌ عن الاعتزاز والاهتمام بالضيف، فضلاً عن الإكرام والتواضع وأداءِ بعض حقوق الإخوان.. عن الإمام أبي محمّد الحسن العسكريّ عليه‌السلام قال: «أعرَفُ الناس بحقوقِ إخوانه وأشدُّهم قضاءً لها، أعظمُهم عندالله شأناً. ومَن تواضَعَ في الدنيا لإخوانه فهو عند الله مِن الصدّيقين ومن شيعة عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام حقّاً.. ولقد وردَ علىٰ أميرالمؤمنين عليه‌السلام أخَوانِ له مؤمنان: أبٌ وابن، فقام إليهما وأكرمهما وأجلسَهما في صدر مجلسه، وجلس بين أيديهما، ثمّ أمر بطعامٍ فأُحضر فأكلا منه، ثمّ جاء قنبر بطستٍ وإبريقِ خشب ومنديلٍ ليبسّ، وجاء ليصبّ على يد الرجل ماءً، فوثب أميرالمؤمنين عليه‌السلام وأخذ الإبريقَ ليصبّ على يد الرجل، فتمرّغ الرجل في التراب وقال: يا أميرالمؤمنين، اللهُ

(١) المحاسن: ٥٦٤/ ح ٩٦٤.

يراني وأنت تصبّ علىٰ يدي؟! قال: اقعدْ واغسلْ يدَك؛ فإنّ الله عزّوجَلّ يراك وأخوك الذي لايتميّزُ منك ولا ينفصل عنك يخدمُك، يريد بذلك في خدمته في الجنّة مِثلَ عشرةِ أضعافِ عددِ أهل الدنيا، وعلىٰ حسبِ ذلك في مماليكه فيها. فقعد الرجل، فقال له عليٌّ عليه‌السلام: أقسمتُ عليك بعظيم حقّي الذي عرَفتَه ونحلته، وتواضعك للهِ حتّىٰ جازاك عنه، بأن تُدنيَني لِما شرّفك به مِن خدمتي لك، لَمّا غسلتَ مطمئناً كما كنتَ تغسل لو كانَ الصابُّ عليكَ قنبراً. ففعل الرجل ذلك، فلمّا فرغ ناول الإبريقَ محمّدَ بن الحنفيّة [1] وقال: يا بُنيّ، لو كان هذا الابنُ حضَرَني دونَ أبيه لَصببتُ علىٰ يده، ولكنّ الله عزّوجلّ يأبىٰ أن يُسوّيَ بينَ ٱبنٍ وأبيه إذا جمعهما مكان، لكنْ قد صبَّ الأبُ على الأب، فلْيصبَّ الابنُ على الابن. فصبّ محمّدُ ابن الحنفيّة على الابن». ثمّ قال الحسنُ بن عليّ العسكريّ عليه‌السلام: «فمَنِ ٱتّبع عليّاً على ذلك فهو الشيعيُّ حقّاً» [2].

أمّا إذا كان الضيف جماعة.. فيقول الإمام الصادق عليه‌السلام: «إذا رُفع الطعام بدأ بِمَن علىٰ يسار صاحب المنزل، ويكون آخِرَ مَن

---

(١) هو ابن أميرالمؤمنين «عليه‌السلام».

(٢) بحارالأنوار ٤١: ٥٥ ـ ٥٦/ ح ٥ ـ عن: مناقب آل أبي طالب ١: ٣١٠.

يغسل يدَه صاحبُ المنزل، لأنّه أَولىٰ بالغَمْر، ويتمندل عند ذلك»[(١)].

[٧] قد أسلفنا أنّ مِن آداب الضيف أن يستأذن المضيّفَ إن أراد الصيامَ تطوّعاً، فإنّ صومَه يُعَدّ من صوم الإذن. وفي المقابل يكون من آداب المضيّف ألّا يصومَ تطوّعاً بلا إذن ضيفه؛ للحديث الوارد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إذا دخل الرجلُ بلدةً فهو ضيفٌ علىٰ مَن بها أهل مِن دِينه حتّىٰ يرحلَ عنهم، ولا ينبغي للضيف أن يصومَ إلّا بإذنهم؛ لئلّا يعملوا له الشيءَ فيفسد عليهم. ولا ينبغي لهم أن يصوموا إلّا بإذن ضيفهم؛ لئلّا يحتشمَهم، فيشتهي الطعام فيتركه لمكانهم»[(٢)].

[٨] وكما أنّ الضيف يتأدّب بالسَّتر علىٰ صاحب الدار إذا رأىٰ أو سمع منه أمراً غيرَ محبوب، ملتمساً له العذر عن تقصيرٍ كان منه، أو تركٍ لبعض آداب الضيافة، أو قلّةٍ في خدمته له.. كذا على المضيّف أن يتعامل مع ضيفه بالعفو والمسامحة والصبر والتحمّل.. فمِن المروءة أن يُكرمَ ضيفَه وقد أضافه إلىٰ أسرته، وائتمنه في بيته، فلا يحقّ له أن يتشدّد معه حتّىٰ في ما لا يَحسُن من الأفعال.

* عن بعض الأصحاب.. قال أبوعبدالله عليه‌السلام: «لا يُقطَع

---

(١) علل الشرائع: ٢٩٠ ـ الباب ٢١٦/ح ٢.
(٢) علل الشرائع: ٣٨٤ ـ الباب ١١٥/ح ١. ولعلّ العبارة: علىٰ مَن بها مِن أهل دِينه.

الأجيرُ والضيف إذا سرق؛ لأنّهما مُؤتَمَنان»[(١)].

* وعن سماعة قال: سألتُه عن رجل استأجر أجيراً فأخذ الأجيرُ متاعَه، فقال عليه‌السلام: «هو مُؤتمَن»، ثمّ قال: «الأجير والضيف أمينان، ليس يقع عليهما حدُّ السرقة»[(٢)].

* ومن طريف ما يُحكىٰ أنّ مَعن بن زائدة قبض علىٰ عدّة من الأسرىٰ فعرضهم على السيف، فالتفتَ إليه بعضهم وقال: أصلَحَ اللهُ الأمير، لا تجمعْ علينا الجوعَ والقتل، فوَاللهِ إنّ كرم الأمير يبعد عن ذلك.

فأمر لهم حينئذٍ بطعامٍ وشرابٍ، فأكلوا وشربوا ومعنُ بن زائدة ينظر إليهم، فلمّا فَرَغوا مِن أكلهم قالوا له: أيّها الأمير، أطال الله بقاءَك، إنّــنا قد كنّا أسْراك، والآن صِرنا ضُيوفَك، فانظرْ كيف تصنع بضيوفك؟! فعند ذلك قال لهم: قد عفوتُ عنكم. فقال له أحدهم: واللهِ ـ أيّها الأمير ـ إنّ عفوك عنّا أشرفُ مِن يوم ظفَرِك بنا! فسُرّ معن بهذا الكلام، وأمر لكلٍّ منهم بكسوةٍ ومال[(٣)].

ومِن آداب المضيّف أن يحدّث أضيافه بما تميل إليه نفوسهم،

---

(١) علل الشرائع: ٥٣٥ ـ الباب ٣٢٤/ح ١.

(٢) علل الشرائع: ٥٣٥ ـ الباب ٣٢٤/ح ٢.

(٣) النُّخَب من آداب العرب، تأليف الدكتور محمّد الخزائليّ: ٦٩.

ولا ينام قبلهم، ولا يشكو الزمانَ بحضورهم، بل ويبشّ عند قدومهم، ويتألّم عند وداعهم، وأن لا يحدّث بما يروّعهم به.

ويجب على المضيّف أن يراعيَ خواطر أضيافه كيفما أمكن، ولا يغضبَ علىٰ أحد بحضورهم، ولا ينغّص عيشهم بما يكرهون، ولا يعبّس بوجهه ولا يُظهر نكداً، ولا ينهر أحداً ولا يشتمه بحضرتهم، بل يُدخل على قلوبهم السرور بكلّ ما أمكن، ويتحمّل العسير مِن أجل ذلك، ويصبر على المكروه لخاطرهم.

* كان عند الإمام عليّ بن الحسين عليه‌السلام أضياف، فاستعجل خادمٌ له بشَواء كان في التنّور، فأقبل الخادم مسرعاً فسقط السَّفُّود من يده علىٰ رأس بَنيٍّ لعليّ بن الحسين تحت الدرجة، فأصاب رأسه فقتلَه!

فقال عليّ عليه‌السلام للغلام ـ وقد تحيّر واضطرب ـ: «أنتَ حرّ، فإنّك لم تَتعَمَّدْه». وأخذ في جهاز ابنه ودفنه [1].

[٩] ويتهيّأ الضيفُ للرحيل، فيتصوّر البعضُ أنّ من آداب الضيافة أن ينهض صاحب الدار لحمل متاعه، أو أن يثبَ ليفتح له الباب.. بينما السُّنّة الشريفة خلاف ذلك تماماً، فحملُ متاع الضيف

(١) مسكّن الفؤاد: ٦١، تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٣٩٦، وكشف الغمّة ٢: ٢٩٣ ـ ط دار الأضواء بيروت ـ باختلاف يسير.

يُشعر بعدم رغبةِ المضيّف في بقاء ضيفه، أو بعدم الحزن على فراق ضيفه، بل قد تُفهَم إعانةُ الضيف على الرحيل رغبةَ المضيّف في ذلك وسرورَه به، أمّا تركُ الإعانة فإنّها تعبّر عن الرغبة في بقاء الضيف، فلعلّه يتكاسل ويتشجّع على البقاء ساعاتٍ أُخَر، أو أيّاماً أُخَر.

نعم.. لابأس بتهيئة الزاد إذا صمّم الضيف على الرحيل، فإنّ ذلك مِن تمام آداب الضيافة، فيستعين به على السفر، وبذلك يكفلُ له مؤونة الطريق.. أمّا غيرُ ذلك من الإعانة ففيه ما فيه!

* قال الإمام الباقر عليه‌السلام: «إذا نزل بكمُ الضيف فأعينوه، وإذا ارتحل فلا تُعينوه؛ فإنّه من النذالة، وزَوِّدوه وطيّبوا زاده، فإنّه من السخاء»[1].

* ونزل علىٰ أبي عبدالله الصادق عليه‌السلام قومٌ من جُهَينةَ فأضافهم، فلمّا أرادوا الرحلة زَوَّدهم ووصلهم وأعطاهم، ثمّ قال لغلمانه: «تَنَحَّوا لا تُعينوهم». فلمّا فرغوا جاؤوا ليودّعوه، فقالوا له: يا ابنَ رسول الله، فقد أضَفْتَ فأحسنتَ الضيافة، وأعطيتَ فأجزلتَ العطيّة، ثمّ أمرتَ غِلمانك أن لا يعينونا على الرحلة؟! فقال

---

(١) الكافي ٦: ٢٨٣ / ح ٣.

عليه‌السلام: «إنّا أهلَ بيتٍ لا نُعين أضيافَنا على الرحلةِ مِن عندنا» (1).

وفي (الكامل) للمبرَّد: يُروىٰ أنّ شاعراً أتى أبا البَختريّ وَهْبَ ابن وهب، وكان مِن أجود الناس.. وكان إذا سمع مدحَ المادح ضحك وسرى السرور في جوانحه، وأعطى وزاد، فأتاه شاعرٌ فأنشده:

لِكلِّ أخي فضلٍ نصيبٌ مِن العُلىٰ
ورأسُ العُلىٰ طُرّاً عقيدُ النَّدى وَهْبُ
وما ضَرَّ وهباً قولُ مَن غَمِطَ العُلىٰ
كما لا يضرُّ البدرَ يَنبحُه الكلْبُ

فثنى له الوسادةَ وهشّ إليه، ورفده وحمله وأضافه، فلمّا أن أراد الرجلُ الرحلة لم يخدمه أحدٌ من غلمان أبي البَختريّ، ولا عقدَ ولا حلَّ معه، فأنكر ذلك ـ مع جميل ما فعل به ـ فعاتبَ بعضَهم، فقال له الغلام: إنّا.. إنّما نُعين النازلَ على الإقامة، ولا نعين الراحلَ على الفراق. فبلغ هذا الكلامُ جليلاً من القَرشيّين فقال: واللهِ لَفعلُ هؤلاءِ العبيد على هذا المقصد أحسنُ مِن وفد سيّدهم.

* وعن السيّاريّ قال: نزل بأبي الحسن موسى الكاظم عليه‌السلام أضياف، فلمّا أرادوا الرحيلَ قعدَ عنهم غلمانُه، فقالوا له:

---

(1) بحارالأنوار ٧٥: ٤٥١ ـ ٤٥٢/ح ٥ ـ عن: أمالي الصدوق: ٤٣٧/ح ٩ ـ المجلس ٨١.

يا ابن رسول الله، لو أمرتَ الغِلمانَ فأعانونا علىٰ رحلتنا، فقال لهم: «أمّا وأنتم ترحلون عنّا.. فلا» (١).

[١٠] فإذا عزم الضيفُ ـ وهو عزيزٌ مكرَّم ـ على الرحيل.. فلا مندوحةَ من التوديع، يُعرِب المضيّفُ فيه عن عدم الرغبة في الفراق، وعن الأمل في قريب اللّقاء، داعياً له بالسلامة والبلوغ إلىٰ أهله مع تمام العافية.

ويكون من تمام أدب الضيافة تشييعُ الضيف، والخروج معه إلىٰ باب الدار إذا خرج.. عن أميرالمؤمنين عليّ عليه‌السلام أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «مِن حقّ الضيف أن تمشيَ معه فتُخرجَه من حريمِكَ إلى الباب» (٢).

فإذا كان تشييع المضيّفِ ضيفَه مشفوعاً بالدعاء، فإنّه سيُدخل الأمن والسرور علىٰ نفسه، والأمانَ والاطمئنان على قلبه. وقد كان مِن سُنن المصطفى الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يشيّع أصحابه إذا أرادوا السفر، ويدعوَ لهم بدعواتِه الشريفة المباركة.

* عن الإمام الباقر عليه‌السلام قال: «كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا ودّع مسافراً أخذ بيده ثمّ قال: أحسنَ اللهُ لك الصحابة،

---

(١) السرائر: ٤٧٥.

(٢) عيون أخبار الرضا «عليه‌السلام» ٢: ٧٠/ح ٣٢٣ ـ الباب ٣٠.

وأكمل لك المعونة، وسهّل لك الحُزونة، وقرّب لك البعيد، وكفاك المهمّ، وحَفِظ لك دِينَك وأمانتَك وخواتيمَ عملك، ووجّهك لكلّ خير. عليك بتقوى الله، استودع اللهَ نفسَك، سِرْ علىٰ بركة الله عزّوجلّ» (١).

* وكان صلّى الله عليه وآله إذا ودّع المؤمنين قال: «زوَّدكمُ الله التقوىٰ، ووَجَّهَكم إلىٰ كلّ خير، وقضىٰ لكم كلَّ حاجة، وسلّمَ لكم دِينَكم ودنياكم، ورَدّكم إليَّ سالمين» (٢).

* وودّع صلّى الله عليه وآله يوماً رجلاً فقال له: «زوَّدَك الله التقوىٰ، وغفر ذنبَك، ولقّاك الخيرَ حيث كنت» (٣).

* ولَمّا وجّه جعفرَ الطيّار رضوان الله تعالىٰ عليه إلى الحبشة شيّعه صلّى الله عليه وآله، وزوّده هذه الكلمات: «اللّهمّ ٱلْطُفْ به في تَيْسير كلِّ عسير، فإنّ تيسيرَ العسير عليك يسير، إنّك علىٰ كلّ شيءٍ قدير، أسألُك له اليُسرَ والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة» (٤).

* ولمّا شيّع أميرالمؤمنين عليه‌السلام أباذرّ رضي اللهُ عنه (٥)، شيّعه معه الحسنُ والحسين عليهما‌السلام وعقيل بن أبي طالب

---

(١) مكارم الأخلاق: ٢٤٩ ـ في التشييع.

(٢ ـ ٤) مكارم الأخلاق: ٢٤٩.

(٥) حينما أبعده عثمان إلى الرَّبَذَة بعد أن أخرجه معاويةُ من الشام و أوصىٰ به أن يُسكَت أو يُنفىٰ؛ لئلّا يفضحَ الانحرافَ الأُمويَّ أمامَ جميع الملأ.

وعبدالله ابن جعفر وعمّار بن ياسر رضي الله عنهم.. فقال لهم أميرالمؤمنين عليه‌السلام: «ودِّعوا أخاكم؛ فإنّه لابُدّ للشاخص أن يَمضي، وللمشيِّع أن يَرجِع». فتكلّم كلُّ رجلٍ منهم علىٰ حياله، فقال الحسين بن عليّ عليهماالسلام: «رَحِمَكَ الله يا أباذرّ، إنّ القوم إنّما ٱمتهنوك بالبلاء لأنّك منعتَهم دِينَك، فمنعوك دُنياهم، فما أحوجَهم غداً إلىٰ ما منعتَهم، وأغناكَ عمّا منعوك!»، فقال أبوذرّ رضي الله عنه: رَحِمَكمُ اللهُ مِن أهل بيت، فما لي شجَنٌ في الدنيا غيرُكم، إنّي إذا ذكرتُكم ذكرتُ بكم جدَّكم رسولَ الله صلّى الله عليه وآله [1].

* * *

وأخيراً.. وقفة

لكي لا يُبخَس فضل المضيِّف.. فإنّ من المُستحسَن أن نعلم أنّ الضيف كثيراً ما يزور أخاه أو يَضيفُ عنده وله حاجة أو أكثر مِن حاجة، فقد يأتيه مُجهَداً أومهموماً بأمر، والمضيِّف ـ بحُسنِ ضيافته ـ لا يُبقي في قلب زائره همّاً ولا غمّاً إلّا نفّسهما، ولا حاجةً إلّا قضاها ما استطاع إلىٰ ذلك، فيُدخِل عليه السرورَ والارتياح، ويُطَمْئنه..

(١) مكارم الأخلاق: ٢٤٩. الشَّجَن: الهمّ والحزن عليهم.

فلا يخرج ضيفه مِن عنده إلّا وقد أُتحِف ـ لا أقلّ ـ بالدعاء، والأمل والرجاء.

وفي ذلك ثوابٌ عظيم، يكفي لمعرفته أن نقرأ قول الإمام الباقر سلام الله عليه: «إنّ فيما ناجى اللهُ عزّوجلّ به عبدَه موسىٰ عليه‌السلام قال: إنّ لي عباداً أُبيحُهم جنّتي وأحكّمُهم فيها. قال: يا ربِّ: ومَن هؤلاءِ الذينَ تُبيحُهم جنّتَك، وتُحكّمُهم فيها؟! قال: مَن أدخل علىٰ مؤمنٍ سروراً»[١].

* وعنه عليه‌السلام قال: «تبسُّمُ الرجل في وجه أخيه حسنة، وصرفُ القذىٰ عنه حسنة. وما عُبِد اللهُ بشيءٍ أحبَّ إلى الله من إدخال السرور على المؤمن»[٢].

* وعن أبي عبدالله الصادق عليه‌السلام قال: «أوحى الله عزّوجلّ إلىٰ داود عليه‌السلام أنّ العبد من عبادي لَيأتيني بالحسنة فأُبيحُه جنّتي، فقال داود: يا ربّ، وما تلك الحسنة؟! قال: يُدخِل علىٰ عبديَ المؤمنِ سروراً ولو بِتمرة، قال داود: يا ربّ، حقٌّ لِمَن عرَفَك، أن لا يقطعَ رجاءَه منك»[٣].

---

(١) الكافي ٢: ١٨٨ ـ باب إدخال السرور على المؤمنين / ح ٣.
(٢) الكافي ٢: ١٨٨ / ح ٢.
(٣) الكافي ٢: ١٨٨ / ح ٥.

فهذا فضلُ المضيِّف.. فإذا كان مضيافاً قائماً بخدمة ضيوفه، عاملاً ملتزماً بآداب الضيافة، كان مِن أحسن الناس، ويكفيه في ذلك مدحُ النبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أفاضِلُكم أحسنُكم أخلاقاً، الموطَّأون أكنافاً، الذين يَألفونَ ويُؤلَفون، وتُوطَأُ رِحالُهم»(١).

فإذا حاز العبدُ هذا الفضل فلْيحافظْ عليه، كي يُختَم له بمثل ذاك الشرف الذي ذكرَتْه الروايات، ولْيعرفِ المضيّفُ قدْرَ ضيفه، وليعلم أنّ آدابَ الضيافة كثيرة، منها ما يشمله ومنها ما يشمل الضيف.. فإذا كان ضيفاً فينبغي مسامحة أخيه إذا لم ينهض بها جميعاً، فقد يغفل المرءُ تارةً أو ينسىٰ أو يعجز عن أداءِ بعض الآداب؛ لفقرٍ أو مرضٍ أو عذرٍ آخر، فهنالك مجالٌ واسعٌ للعفو، لا سيّما أنّ معظمَ الآداب داخلةٌ في حيّز المستحبّات والمندوبات، وإن كان بعضُها من مقتضيات المروءة والكرامة ومُوجباتهما.

وربّما كان المرءُ يوماً هو المُضيِّف، فَلْيعرف حينذاك قَدْرَه وعِظَمَ الثواب الذي يجتنيه إن هو عَمِل بما ندَبتْه إليه الشريعةُ الغرّاء. ولْيُحاسب نفسَه على أيّة حال، ضيفاً كان أم مضيّفاً، وليتعاملْ مع أخيه بروح يَطغىٰ عليها الصَّفح والتغافل وجميل الصبر، فإذا أراد أن يتشدّد في آداب ضيفه تذكّر أنّه سيكون يوماً ضيفَه، فهل حاسب

---

(١) الكافي ٢: ١٠٢ ـ باب حُسن الخلق / ح ١٦، والأكناف هي الجوانب، يُقال للرجل مُوطَّأ الأكناف كناية عن كرمه وأنّه مضياف.

نفسَه يومَ يكون أو كان ضيفاً؟! وإذا تشدّد في آداب مضيّفه فهل حاسب نفسه يوم يكون أو كان مضيّفاً؟!

إنّها فسحةُ الأجر، ﴿**وفي ذٰلكَ فَلْيتنافَسِ المُتنافِسُون**﴾ (١).

ورَحِم اللهُ ابنَ الأعسم.. حيث استجمع آداب الضيافة من الروايات الشريفة في منظومته فقال:

والضيفُ يأتي مَعَه بِرزقِهِ   فلا يُقصِّرْ أحدٌ بِحقِّهِ
يَلْقاهُ بالبِشْرِ وبالطَّلاقه   ويُحسِنُ القِرىٰ بِما أَطاقَه
يُدني إليهِ كلَّ شيءٍ يَجِدُهْ   ولا يَرُمْ ما لا تَنالُه يدُهْ
ولْيكنِ الضيفُ بذاك راضي   ولا يُكلّفْه بِالاِسْتِقراضِ
وأكرمِ الضيفَ ولا تَستخدمِ   ومَا اشتهاهُ مِن طعامٍ قَدِّمِ
وبالذي عندَك للأخِ اكْتفِ   لكنْ إذا دَعَوتَه تَكلَّفِ
فإن تَنوّعتَ له فلا تُضِرْ   فخيرُه ما طابَ مِنه وكَثُرْ
ويُندَبُ الأكلُ معَ الضيفِ ولا   يَرفعُ قَبْلَه يداً لَو أكلا
وأن يُعينَ ضيفَه إذْ يَنزِلُ   ولا يُعينُه إذا ما يَرحَلُ
ويَنبغي تَشييعُه لِلبابِ   وفي الركوبِ الأخذُ بالرِّكابِ (٢)

* * *

(١) سورة المُطفّفين: ٢٦.

(٢) منظومة ابن الأعسم في المأكل والمشرب، تصحيح: مجمع البحوث الإسلاميّة التابع للأستانة الرضويّة المقدّسة: ص ٤٠ ـ ٤٢.

خاتمة المَطاف

خاتمة المَطاف

أين يُضيّف المرءُ نفسَه فيحظى بغاية الإكرام؟! لعلّه سؤال غريب، فربّما لم يطرق ذهنَ الكثير منّا أن يحمل نفسَه ليُضيّفها مكرَّمةً معزّزةً مصونة، تعيش جوّاً من الإيمان والتقوى والاطمئنان، وحالةً من التشرّف والرفعة، فضلاً عن الثواب العظيم.

إذا كان هناك ضيافة كهذه، فلماذا لا نتعرّفُ عليها، ونتشرّف بها؟! لِندخُلْ في (جمال الأسبوع) للسيّد ابن طاووس، حيث يروي عن ابن بابويه مُسنِداً عن الصَّقْر بن أبي دُلَف أنّه سأل الإمامَ عليَّ بن محمّدٍ الهادي عليه‌السلام حينما كان في (سُرَّ مَن رأىٰ): يا سيّدي، حديثٌ يُروى عن النبيّ صلىّ الله عليه وآله لا أعرف معناه، قال: وما هو؟ قلتُ: قوله: «لا تُعادُوا الأيّامَ فتُعادِيَكم»، ما معناه؟ فقال: «نعم، الأيّامُ نحن ما قامتِ السماواتُ والأرض.. فالسبتُ ٱسمُ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله، والأحد أميرُالمؤمنين عليه‌السلام، والإثنين الحسنُ والحسينُ عليهماالسلام، والثلاثاء عليّ بن الحسين ومحمّد ابن عليّ وجعفر بن محمّد عليهمُ‌السلام، والأربعاء موسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومحمّد بن عليّ وأنا، والخميس ٱبني الحسن عليه‌السلام، والجمعة ٱبن ٱبني وإليه تجتمع عصابةُ الحقّ، فهذا

معنى الأيّام، فلا تُعادوهم في الدنيا فيُعادوكم في الآخرة».

ثمّ يذكر السيّد ابنُ طاووس رضوانُ الله عليه بعد ذلك زيارات الأيّام، وفيها جميعاً يضيّف الزائرُ نفسَه عند صاحب يومه..

ـ ففي زيارة النبيّ صلّى الله عليه وآله يومَ السبت يقول الزائر في آخرها: «يا سيّدَنا يا رسولَ الله، صلواتُ الله عليك وعلىٰ آل بيتك الطيّبين الطاهرين، هذا يومُ السبت، وهو يومُك، وأنا فيه ضيفُك وجارك، فأضِفْني وأجِرْني، فإنّك كريمٌ تُحِبّ الضيافةَ ومأمورٌ بالإجارة، فأضِفْني وأحسِنْ ضيافتي، وأجِرْنا وأحسِنْ إجارتَنا، بمنزلةِ الله عندَك وعندَ آل بيتك، وبمنزلتهم عندَه، وبِما ٱستودعَكم مِن علمه، فإنّه أكرمُ الأكرمين».

ـ وفي زيارة أميرالمؤمنين عليه‌السلام يومَ الأحد يقول الزائر: «يا مولايَ يا أميرَالمؤمنين، هذا يومُ الأحد، وهو يومُك وبِٱسمِك، وأنا ضيفُك فيه وجارُك، فأضِفْني يا مولايَ وأجِرْني، فإنّك كريمٌ تحبُّ الضيافة، ومأمورٌ بالإجارة، فافعل ما رغِبتُ إليك فيه، ورجوتُه منك، بِمنزلتك وآلِ بيتكَ عند الله، ومنزلتهِ عندكم، وبحقِّ ٱبنِ عمِّك رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعليهم أجمعين».

ـ وفي زيارة الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما‌السلام يومَ الإثنين يقول: «يا مولايَ يا أبامحمّد، يا مولاي يا أباعبدالله، هذا يومُ

الإثنينِ وهو يومُكما، وبِٱسمِكما، وأنا فيه ضيفُكما، فأضِيفاني وأَحسِنا ضيافتي، فنِعمَ مَنِ ٱستُضيف به أنتما، وأنا فيه مِن جِوارِكما، فأجِيراني فإنّكما مأمورانِ بالضيافةِ والإجارة، فَصَلَّى اللهُ عليكُما وآلِكُما الطيِّبين».

ـ وفي زيارة الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين والإمام محمّد بن عليّ الباقر والإمام جعفر بن محمّد الصادق سلام الله عليهم جميعاً يومَ الثلاثاء يقول: «يا مَواليَّ هذا يومُكم، وهو يومُ الثلاثاء، وأنا فيه ضَيفٌ لكم، ومُستجيرٌ بكم، فأضِيفُوني وأجِيرُوني، بِمنزلةِ الله عندَكم، وآل بيتكمُ الطيّبين الطاهرين».

ـ وفي زيارة الإمام موسى بن جعفر الكاظم والإمام عليّ بن موسى الرضا والإمام محمّد بن عليّ الجواد والإمام عليّ بن محمّد الهادي عليهم سلام الله يومَ الأربعاء يقول: «أنا مَوليً لكم، مؤمنٌ بِسرِّكم وجَهْرِكم، مُتَضيِّفٌ بكم في يومِكم هذا، وهُوَ يومُ الأربعاء، ومُستجيرٌ بكم، فأضِيفُوني وأجِيرُوني بآلِ بيتكمُ الطيّبينَ الطاهرين».

ـ وفي زيارة الإمام الحسن العسكريّ عليه‌السلام يومَ الخميس يقول: «أنا مَوليً لك ولآلِ بيتك، وهذا يومُك، وهو يومُ الخميس، وأنا ضيفُك فيه، ومُستجِيرٌ بكَ فيه، فأحسِنْ ضِيافتي وإجارتي، بِحقّ آلِ بيتك الطيّبينَ الطاهرين».

ـ وأخيراً يوم الجمعة.. حيث زيارة الإمام الحجّة المهديّ المنتظر عجّل الله تعالىٰ فَرَجَه الشريف، يقول الزائر: «يا مولايَ يا صاحبَ الزمان، صلواتُ الله عليكَ وعلىٰ آل بيتِك، هذا يومُ الجمعة، وهو يومُك، المُتوَقَّعُ فيه ظُهورُك، والفرَجُ فيه للمؤمنينَ علىٰ يَدِك، وقتلُ الكافرين بسيفِك، وأنا يا مَولايَ فيه ضَيفُك وجارُك، وأنتَ يا مولايَ كريمٌ من أولادِ الكرام، ومأمورٌ بالضيافة والإجارة، فأَضِفْني وأجِرْني، صلَواتُ اللهِ عليك وعلىٰ أهل بيتِك الطاهرين».

ثمّ قال السيّد ابن طاووس رحمهالله: وأنا أتمثّل بعد هذه الزيارة [أي زيارة يوم الجمعة] بهذا الشِّعر، وأُشير إليه [أي إلى الإمام المهديّ أرواحُنا فِداه] وأقول:

نَزيلُكَ حيثُ ما ٱتّجهَتْ رِكابي
وضَيفُك حيثُ كنتُ مِن البلادِ (١)

* * *

فلْنطمَعْ في ضيافة أصول الكرم، ولْننقلْ رَحْلَنا إليهم، ونَنزلْ في مَضيفهم، وهم مَن فعلُهمُ الخير، وعادتُهمُ الإحسان، وسجيّتُهمُ الكرم، فعندَهم يتشرّف الضيفُ بنفحاتِ الإيمان، ويُحبىٰ بانشراح الصدر وٱطمئنان القلب، ويُسعَد بما يُرضي الله سبحانه من الذِّكْر العليّ، ويتزوّد مافيه شرفُ الدنيا والآخرة وكرامتُهما.

---

(١) جمال الأسبوع ٣٥ ـ ٤٢/ الفصل الثالث.

وختاماً

فمِمّا لابدّ منه.. أنّنا عن هذه الدنيا راحلون، وهذا يعني أنّنا فيها اليومَ ضيوف، فلابدّ أن نتيقّظ لهذه الحقيقة، ونُقِرَّ بها داخل أنفسنا ولا نجحدَ بها، كما لابدّ أن نخرج من شكّنا فيها، فإنّ الناس؛ لكراهتهم للموت يَرونَه خيالاً يُمنُّون أنفسَهم أنّهم يعمِّرون ويُعمَّرون في هذه الحياة الفانية، وكأنْ لا حِمامَ ينتظرُهم أو ينتظرون أجلَهم فيه.. يقول الإمام عليٌّ عليه‌السلام: «ما رأيتُ إيماناً مع يقينٍ أشبهَ منه بشكٍّ علىٰ هذا الإنسان، إنّه كلَّ يوم يودِّع إلى القبور ويُشيِّع، وإلىٰ غرور الدنيا يَرجِع، وعن الشَّهوةِ والذنوب لا يُقلِع.. ولقد غفَلْنا عن الموت غفلةَ أقوام غيرَ نازل بهم، ورَكَنّا إلى الدنيا وشهَواتِها رُكونَ أقوامٍ قد أيقنُوا بالمُقام»[1].

* وتبع أميرُالمؤمنين عليه‌السلام يوماً جنازةً فسمع رجلاً يضحك، فقال: «كأنّ الموتَ فيها علىٰ غيرِنا كُتِب، وكأنّ الحقَّ فيها علىٰ غيرنا وَجَب، وكأنّ الذي نرىٰ مِن الأموات سَفْرٌ[2] عمّا قليلٍ إلينا

---

(١) بحارالأنوار ٦: ١٣٧/ح ٤٠ ـ عن فلاح السائل، لابن طاووس: ٢١٥.

(٢) أي مسافرون.

راجعون، نُبوِّئُهُم أجداثَهم (١)، ونأكُلُ تُراثَهم، كأنّا مُخَلَّدون بَعدَهم! ثُمّ قد نَسِينا كلَّ واعظٍ وواعظة، ورُمِينا بكلِّ فادحٍ وجائحة» (٢). (٣) وفي حديث آخر قال عليه‌السلام: «وعجِبتُ لِمَن نسِيَ الموت وهُوَ يَرى الموت!» (٤).

فالموتُ لابُدّ ناقلُنا إلى دارٍ أخرىٰ، إذن.. فنحن هنا في دنيانا هذه ضيوف، ليسَتْ لنا بدارِ مُقامة؛ إذْ هي دارُ مَمرّ، لا دار مقرّ، قال تعالىٰ: ﴿**إنّما هٰذِهِ الحَياةُ الدُّنيا مَتاعٌ وإنَّ الآخرةَ هِيَ دارُ القرار**﴾ (٥)، وجاء عن الإمام عليّ صلوات الله عليه أنّه قال: «إنّما الدنيا دارُ مَجاز، والآخرةُ دارُ قرار» (٦).

فلمّا لم يكن لنا هنا قرار، فنحن إذن علىٰ سفرٍ قريب، ورحيلٍ وشيك، وهذه هي حال الضيف.. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «أيُّها الناس؛ إنّ مَن في الدنيا ضيف، وما في أيديكُم عارية، وإنّ

---

(١) أي نُنزلهم في قبورهم.

(٢) الجائحة : الآفة المهلكة، أو الداهية .

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ١٢٢.

(٤) بحارالأنوار ٦: ١٣٦ / ح ٣٨ ـ باب حبّ لقاء الله وذمّ الفرار من الدنيا. وقريب منه: نهج‌البلاغة: الحكمة ١٢٢، ١٢٥. وفي النهج: «عَجِبتُ لِمَن نسِيَ الموتَ وهو يَرى المَوتىٰ».

(٥) سورة المؤمن: ٣٩.

(٦) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٣.

الضيفَ مُرتحِل، والعارية مردودة» (١)، وقد أمرَنا صلّى الله عليه وآله أن لا نَغفلَ فنتخيّل الإقامة، فقال لنا: «كونُوا في الدنيا أضيافاً» (٢).

* وفي جملة وصاياه إلى جابر بن يزيد الجُعفيّ.. قال الإمام أبوجعفر الباقر سلامُ الله عليه: «يا جابر، ما الدنيا، وما عسىٰ أن تكونَ الدنيا، هل هي إلّا طعامٌ أكَلْتَه، أو ثوبٌ لَبِستَه، أو امرأةٌ أصبتهَا؟! يا جابر، إنّ المؤمنين لم يطمئنّوا إلى الدنيا ببقائهم فيها، ولم يأْمَنُوا قدومَهمُ الآخرة. يا جابر، الآخرةُ دارُ قرار، والدنيا دارُ فناءٍ وزوال، ولكنَّ أهلَ الدنيا أهلُ غفلة، وكأنّ المؤمنينَ همُ الفقهاء، أهلُ فكرةٍ وعبرة.. فأنزِلِ الدنيا كمنزلٍ نزَلْتَه ثمّ آرتحلتَ عنه، أو كمالٍ وجدتَه في منامكَ فاستيقظتَ وليس معك منه شيء» (٣).

ومَن أيقنَ أنّه ضيف شعرَ أنَّ المحلَّ ليس له، بل ليس له فيه مُقامٌ طويل، فلا معنىً للتشبّث به و هو عمّا قليلٍ راحلٌ عنه. ومَن أيقنَ أنّه راحل، وعازمٌ على سفرٍ شاقٍّ رهيبٍ طويل، في صَحارىٰ وغاباتٍ لم يمرَّ بها مِن قبل، ولا يدري ما سيُداهمه فيها وحده، تَسلّح بما يدافع

(١) بحارالأنوار ٧٧: ١٨٩ / ح ١٠ ـ عن: إعلام الدين، للدَّيلميّ ص ٣٤٤/ الحديث ٣٦ من الأحاديث التي رواها ابن ودعان. والعارية: هي العارة، وهي ما تُعطيه غيرَك على أن يُعيدَه إليك.

(٢) بحارالأنوار ٧٣: ٨١/ ح ٤٣ ـ عن: كنزالفوائد، للكراجكيّ ١٦٠.

(٣) الكافي ٢: ١٣٣/ ح ١٦ ـ باب ذمّ الدنيا، والزهد فيها.

به عن نفسه، وتَزوّد بما يستعينُ به، فإنّ العاقلَ منِ ٱستعدّ للأهوال..
و قد كان الإمام عليٌّ عليه‌السلام كثيراً ما ينادي أصحابه بهذا الكلام: «تَجهّزوا (١) رَحِمَكمُ الله؛ فقد نُوديَ فيكم بالرحيل، وأَقِلُّوا العُرجةَ على الدنيا (٢)، وٱنقلِبوا بصالح ما بِحضرتِكم مِن الزاد (٣)؛ فإنّ أمامَكم عقَبةً كَؤُوداً، ومنازلَ مَخُوفةً مَهُولة، لابُدَّ مِن الورودِ عليها، والوقوفِ عندها» (٤).

* وخطب الناسَ يوماً فقال عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام: «خُذوا مِن ممرِّكم لمقرِّكم.. وأخرِجوا من الدنيا قلوبَكم مِن قبلِ أن تخرجَ منها أبدانُكم، ففيها ٱختُبِرتُم، ولغيرها خُلِقتُم. إنّ المرءَ إذا هلكَ قال الناس: ما ترك؟ وقالتِ الملائكةُ: ما قدّم؟» (٥).

* وعن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه‌السلام قال: «كان أبو ذرّ رضي الله عنه يقول في خطبته: يا مُبتغي العلم، كأنّ شيئاً من الدنيا لم يكنْ شيئاً إلّا ما ينفع خيرُه، ويَضُرّ شرُّه، إلّا مَن رَحِمَ الله. يا مبتغي العلم، لا يَشغلْكَ أهلٌ ولا مالٌ عن نفسِك، أنت يومَ تُفارِقُهم كضيفٍ

(١) أي: استعدّوا للآخرة بالأعمال الصالحة.
(٢) أي: أقلّوا الإقامة بالمكان عليها.
(٣) أي: التقوى.
(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٤.
(٥) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٣.

بِتَّ فيهم، ثمّ غدَوتَ عنهم إلىٰ غـيرهم، والدنـيا والآخـرةُ كـمنزلٍ تحوّلتَ منه إلىٰ غيره، وما بينَ الموت والبعث إلّا كنومةٍ نِـمتَها ثـمّ آستيقظتَ منها. يا مُبتغي العلم، قدِّمْ لمقامِك بين يدَيِ الله عزّوجلّ، فإنّك مُثابٌ بعملِك، كما تَدين تُدان، يا مبتغي العلم» [1].

* ومن ظريف مارُوى.. أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وعظ قيسَ ابن عاصم، فقال له: «يا قيس، إنّ مع العِزّ ذُلّاً، وإنّ مع الحياة موتاً، وإنّ مع الدنيا آخِرة، وإنّ لكلّ شيءٍ حسيباً، وعلىٰ كلّ شيءٍ رقـيباً، وإنّ لكلّ حسَنةٍ ثواباً، ولكلّ سيّئةٍ عقاباً، ولكلّ أجَلٍ كتاباً.. وإنّه لابُدَّ لكَ يا قيسُ مِن قَرينٍ يُدفَن معكَ وهو حيّ، وتُدفَنُ معه وأنتَ مَيّت، فإن كان كريماً أكرمَك، وإن كان لئيماً أسلَمَك، ثمّ لا يُحشَرُ إلّا معك، ولا تُبعَثُ إلّا معه، ولا تُسألُ إلّا عنه، ولا تَجعلْه إلّا صالحاً، فإنّه إن صلح أنِستَ به، وإن فَسَد لا تَستوحش إلّا منه، وهو فِعلُك». قال قيس بن عاصم: فقلت: يا نَبيَّ الله، أُحِبّ أن يكونَ هذا الكلامُ في أبيات شعرٍ نفخَر به على مَن يلقانا من العرب، وندّخره... قال قـيس: فأقـبلتُ أفكّرُ فيما أشبِّه هذه العظةَ مِن الشِّعر، فاستتبَّ ليَ القولُ فقلت: يـا رسول الله، قد حضرَتْني أبياتٌ أحسَبُها توافق ما نُريد، فقال النـبيُّ صلّى الله عليه وآله: «قل يا قيس». قال قيس: فقلتُ:

---

(١) الكافي ٢: ١٣٤ ـ باب ذمّ الدنيا والزهد فيها / ح ١٨.

تَــخَيّرْ قَــريناً مِــن فِـعالِكَ إنَّــما
قرينُ الفتىٰ في القبر ما كـان يَـفعلُ
ولابُــدَّ بـعدَ المـوتِ مِـن أن تُـعِدَّهُ
ليــومٍ يُــناديٰ المــرءُ فــيهِ فـيُقْبِلُ
فإن كنتَ مشغولاً بشيءٍ فـلا تكـنْ
بِــغيرِ الذي يَــرضىٰ بـهِ اللهُ تُشـغَلُ
فلن يَصحبَ الإنسانَ مِن بعدِ مَـوتِهِ
ومِــن قَــبلِه إلَّا الذيكــانَ يَــعملُ
ألا إنَّــما الإنســانُ ضــيفٌ لأهــلِهِ
يُــقيمُ قــليلاً بـينَهم ثُـمّ يَـرحـلُ (١)

* ومع الإمام السجّاد صلواتُ الله عليه وهو يذكر الموت، ويُبيّن أنّ الناس كما قال لهم جَدُّه عليُّ بنُ أبي طالب سلامُ الله عليه: «إنّكم وما تأملون مِن هذه الدنيا أثـوياءُ مُـؤجَّلون» (٢)، فـإن هـي إلّا أيّـامٌ وسُوَيعات ثمّ نُنقل إلى المقابر، حيث ضـيافةُ الأجـداث، وحـيث الأهوال والمساكن الرهيبة.

وكلُّ ذلك يُراد له دعاءٌ صادق، يَعْقِبُه عملٌ صالح.. وكـلُّ ذلك يفتقر إلىٰ توبةٍ نصوحٍ وندامة، ونفسٍ لَوّامة.

---

(١) معاني الأخبار: ٢٣٣، وأمالي الصدوق: ص ١٢/ح ٤ ـ المجلس الأوّل.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٩، وأثوياء بمعنىٰ: ضيوف.

فلنتأمّلْ بقلوبنا وعقولنا وأسماعنا في ما يـقوله زيـنُ العـابدين عليُّ بن الحسين عليه‌السلام:

«اللّهمّ صلِّ علىٰ محمّدٍ وآله، وٱكْفِنا طولَ الأمل، وقَـصِّره عـنّا بِصدقِ العمل، حتّىٰ لا نُؤمِّلَ ٱستتمامَ ساعةٍ بعدَ ساعة، ولا ٱستيفاءَ يومٍ بعدَ يوم، ولا ٱتّصالَ نَفَسٍ بِنفَس، ولا لُحوقَ قَدَمٍ بِقدَم. وسلِّمْنا مِن غرورِه، وآمِنّا مِن شرورِه، وٱنصبِ الموتَ بين أيدينا نَصْباً، ولا تَجعلْ ذِكْرَنا له غِبّاً [1].

وٱجعلْ لنا مِن صالحِ الأعمال عملاً نستبطئُ معه المصيرَ إليك، ونحرصُ له علىٰ وشْكِ اللِّحاقِ بك، حتّىٰ يكـونَ المـوتُ مَأْنسَـنا الذي نَأنسُ به، ومألَفَنا الذي نشتاقُ إليه، وحامّتَنا التي نُحبّ الدُّنُـوَّ منها. فإذا أوردتَه علينا، وأنزلتَه بنا، فأسعِدْنا به زائراً، وآنِسنا به قادماً، ولا تُشْقِنا بضيافتِه، ولا تُـخْزِنا بـزيارتِه، وٱجـعلْه بـاباً مـن أبـوابِ مغفرتِك، ومفتاحاً مِن مفاتيح رحمتِك.

أمِتْنا مُهتدينَ غيرَ ضالّين، طائعينَ غيرَ مُسْتكرِهين، تائبين غـيرَ عاصينَ ولا مُصرِّين، يا ضامنَ جَزاءِ المُحسنين، ومُستصلحَ عـملِ المفسدين» [2].

---

(١) أي: في وقتٍ دون وقت.

(٢) الصحيفة السجّاديّة المباركة: الدعاء الأربعون ـ مِن دعائه عليه السلام إذا نُـعِي إليـه ميّتٌ أو ذَكَر الموت.

ويقول سلام الله عليه في إحدىٰ مناجاته الشريفة:

«إلهي، كأنّي بنفسي قد ٱضطجعتْ في حُفرتِها، وٱنصرَفَ عنها المشيِّعون مِن جِيرتِها، وبكىٰ كلُّ غريبٍ عليها لغُربتِها، وجاد بالدموع عليها المُشفِقونَ مِن عشيرتِها، وناداها مِن شفيرِ القبر ذَوُو مَودّتِها، ورَحِمَها المُعادي لها في الحياةِ عند صرعتِها، ولم يَخْفَ عَلَى الناظرينَ فاقتُها، ولا علىٰ مَن رآها قد توسّدَتْ في الثَّرىٰ عَجْزُ حيلتِها، فقلتَ: ملائكتي، فريد، قد نأىٰ عنه الأقربون.. ووحيد، قد جفاه الأهلُون، نزل بي قريباً، وأصبحَ في اللَّحدِ غريباً، وقد كان لي في دار الدنيا داعياً، ولِنظَري له في هذا البيت الجديد راجياً. فتُحسِنُ هنالك ضيافتي، وتكون أرحمَ بي مِن أهلي وقَرابتي. يا عالِمَ السرِّ والنجوىٰ، ويا كاشفَ الضُّرِّ والبلوىٰ، كيف نظرُكَ لي بينَ سُكّانِ الثَّرىٰ، وكيف صنيعُكَ بي في دارِ الوحشةِ والبِلى؟! ربِّ قد كنتَ لطيفاً بي في أيّام حياةِ الدنيا..» [1].

* ويقول عليه‌السلام كذلك:

«اللّهمّ صلِّ علىٰ محمّدٍ وآل محمّد، وٱجعَلْني وجميعَ إخواني بكَ مؤمنين، وعَلَى الإسلام ثابتين، ولفرائضك مؤدّين، وعَلَى

(١) الصحيفة السجّاديّة الخامسة، جمع: السيّد محسن الأمين العامليّ ص ١٦٠ ـ ١٦١/ الدعاء الثالث والستّون في المناجاة لله «عزّوجلّ».

الصــلواتِ مُــحافِظين، ولِلــزكاةِ فــاعلين، ولمـرضاتِك مُـبتغين، وللإخلاص مُخلِصين، ولك ذاكرين، ولسُنّةِ نبيّك صلواتك عـليه وعلىٰ آله مُتّبِعين، ومِن عـذابك مشـفقين، ومِـن عـدلِك خـائفين، ولفضلِك راجين، ومِن الفَزَعِ الأكبرِ آمنين، وفي خَـلْق السـماواتِ والأرض متفكّرين، ومِن الذنـوبِ والخـطايا تـائبين، وعـن الريـاء والسمعة مُنزَّهين، ومِن الشركِ والزَّيـغ والكـفر والشـقاق والنـفاق مَعصومين، وبرزقِك قانعين، وللجنّةِ طالبين، ومِن النار هاربين، ومِن الحلال الطيّبِ مرزوقين، وعند الشُّبُهاتِ واقفين، وعلىٰ محمّدٍ وآلهِ مُصَلِّين، ولأهل الإيمان ناصحين، وللإخوان فيك مُستغفرِين، وعند معاينةِ الموت مُستبشِرين، وفي وحشةِ القبر فَرِحين، وبلقاءِ مُـنكَرٍ ونكيرٍ مَسرورين، وعند مُساءَلتِهم بالصوابِ مُجِيبين، وفـي الدنـيا زاهدين، وفي الآخرةِ راغبين، وللجنّةِ طالبين، وللفردوسِ وارثين، ومِن ثيابِ السندس والإستبرق لابِسـين، وعَـلَى الأرائكِ مُـتّكئين، وبالتيجانِ المكلَّلةِ بالدُّرِّ واليواقيتِ والزَّبَـرْجَدِ مُـتوَّجين، ولِلـوِلْدانِ المخلَّدينَ مستَخدِمين، وبأباريقَ وكأسٍ مِن مَـعينٍ شـاربين، ومِـنَ الحور العِينِ مُزوَّجين، وفي نعيمِ الجنّةِ مُقيمين، وفـي دارِ المُـقامةِ خالدين، لا يَمسُّهم فيها نَصَبٌ وما هُم منها بمُخرَجين. اللّهمّ ٱغفرْ لنا ولإخواننا المؤمنين والمؤمنات، الأحـياءِ مـنهم والأمـواتُ والتُّـبّاعِ

بينَهم بالخيرات، إنّك وليُّ الباقياتِ الصالحات»[1].

وأينما نكون.. فنحن ضيوفٌ في هذه الدنيا الفانية، أو في ملحودة القبر والبرزخ، وحينَ نُبعَث مِن جديد حيث العَرضُ على الله جلّت عظمته، وحيث المواقفُ والمنازل وعَرَصاتُ يوم القيامة.. فهناك لا تُنجي الأعمال، ولا ينفع إلّا رحمةُ الله وفضله، وحُسنُ الظنِّ به سبحانه والرجاءُ بلطفه، لعلّه يَشملُنا، فيُحسِن ضيافتَنا، لأنّه ربُّنا وخالقنا جلّ وعلا، ولأنّنا عبيدُه وخَلْقُه الذين لا حولَ لهم ولا قوّةَ إلّا به، وقد عصيناه، ثمّ جئناه بذنوبنا نرجو معها منه عفوَه ومغفرتَه، ولا نملك إلّا محبّتَه والرجاءَ بِسَتره علينا.

وكان أحدهم يقرأ هذَينِ البيتين فيتصوّر حالَه ضيفاً على الله تعالىٰ إذا آبَ إلى الله في القبر:

نـزلتُ بِـجارٍ لا يُـخيَّب ضـيفُهُ
أُرجّي نجاتي مِن عذابِ جهنّمِ

وإنّي ـ علىٰ خوفي مِن اللهِ ـ واثقٌ
بـإنعامِهِ.. واللهُ أكـرمُ مُـنعِمِ

كذا نُقل عن السيّد الشريف المرتضىٰ علم الهدىٰ أنّه قال عند وفاته:

---

(١) الصحيفة السجّاديّة الخامسة: ٢٥٢ ـ ٢٥٤.

لَئِن كان حظّي عاقَني عن سعادتي

فـــإنّ رجـــائي واثـــقٌ بـــحليمِ

وإن كـنتُ مِـن زادِ التـقيّةِ والتُّـقىٰ

فقيراً.. فقد أمسَيتُ ضيفَ كريمِ (١)

وقد أوصىٰ أحدهم أنْ يُكتَب علىٰ قبره:

يـــا كـثيرَ الصَّــفْحِ عـمَّنْ كَـــــثُرَ الذَّنبُ لَـــــدَيهِ

جـاءَك المـذنبُ يـرجـو الْـ ـــعفوَ عـن جُـرمِ يَـدَيهِ

أنــا ضـيفٌ، وجــزاءُ ٱلضْـ ـــضَيفِ إحســانٌ إليــهِ (٢)

* وقد بكى الإمامُ السجّاد سلام الله عليه يوماً ثمّ قال: «وعزَّتِكَ وجلالك، ما أردتُ بِمعصيتي مخالفتَك، وماعَصيتُك إذْ عصيتُكَ وأنا بكَ شاكّ، ولا بِنكالِكَ جاهل، ولا لِعقوبتِك مُتعرِّض، ولكنْ سَوّلتْ لي نفسي، وأعانني علىٰ ذلك سِترُكَ المُرخىٰ بهِ علَيّ. فأنا الآنَ مِن عذابِكَ مَن يَستنقذُني، وبِحبلِ مَن أعتصمُ إن قَطعتَ حبلَك عنّي؟! فواسَوْأتاه غداً مِن الوقوف بين يدَيك إذا قيل للـمُخفّين: جُـوزوا، وللمُثْقِلين: حُطُّوا! أمَعَ المُخفّين أجوز، أم مع المُثْقِلينَ أحُطّ؟! وَيْلي! كلَّما طالَ عُمري كثُرتْ خطايايَ ولم أَتُب، أما آنَ لي أنْ أستَحْييَ مِن ربّي؟!».

---

(١) رياض العلماء، للميرزا عبدالله أفندي ٤: ٤٢.

(٢) الوافي بالوفيات ـ ترجمة ابن الجوزيّ.

ثمّ بكى عليه‌السلام وأنشأ يقول شعراً:

أتُــحرِقُني بــالنار يــا غـايةَ المُـنىٰ
فأيــنَ رجـائي، ثـمّ أيـنَ مَـحبّتي؟!
أتــــيتُ بأعـــــمالٍ قِــباحٍ رَدِيّــةٍ
وما في الورىٰ خَلْقٌ جَنىٰ كـجِنايتي

ثمّ بكىٰ وقال: «سُبحانك تُعصىٰ كأنّك لا تُرىٰ، وتَحْلُم كأنّك لم تُعصَ، تَتودّد إلىٰ خلْقِك بحسن الصنيع كأنّ بك الحاجةَ إليهم، وأنت يا سيّدي الغنيُّ عنهم». ثمّ خَرّ عليه‌السلام إلى الأرض ساجداً.. (١).

* وقد روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «مَن كتب هذا الدعاءَ وأُلْقِيَ في كفن الميّت، أو وُضِع في يده، لا يُعذَّب في قبره.. واللهِ واللهِ والله. بسم الله الرحمن الرحيم: اَللّهمَّ إنّ هذا أوّلُ قُدُومي إليك، فأكرِمْني؛ فإنّ الضيفَ إذا نَزَل بقومٍ يُكرَم، وأنت أَولىٰ بالكرامة. إلهي مادُمتُ حيّاً عصيتُك وأنت أحسنتَ إليّ، والآنَ ٱنقطَع عصياني، فلا تقطَعْ إحسانَك عنّي. يا ربِّ أعـتِقْني مِـن النـار، بـمحمّدٍ وآله الأطهار، اَلأخيارِ الأبرار، وصلَّى اللهُ علىٰ محمّدٍ وآله الطاهرين» (٢).

فما أجدر بالعبد أن يرىٰ نفسَه أنّه في كلِّ شـيءٍ فـقيرٌ إلى الله

---

(١) الصحيفة السجّادية الخامسة: ١٢١ ـ ١٢٢.

(٢) عن كتاب: منهاج العارفين ومعراج العابدين، للسيّد محمّد حسن الحسنيّ السَّمنانيّ.

عزّوجلّ، آيبٌ إليه في كلّ وقت، وافدٌ عليه علىٰ كلّ حال، لا يرى في راحلته إلّا الخطايا، فينزل ضَيفاً ساغباً ظامئاً عند بارئه جَلّ شأنه، يائساً ممّا يملك، آملاً واثقاً بما عند المضيِّف الكريم. ولقد كتب مولانا الإمامُ أمير المؤمنين عليه‌السلام على كفن سلمان رحمه الله:

وَفَدتُ عَلَى الكريمِ بِغيرِ زادٍ ... مِن الحسناتِ والقلبِ السليمِ
وحملُ الزادِ أقبحُ كلِّ شيءٍ ... إذا كان الوفودُ عَلَى الكريمِ

وقال أحد الشعراء يرجو رحمة ربّه:

يا ربِّ قد عجَزَ الطبيبُ فَداوِني
بِخَفيٍّ لُطفِك وٱشْفِني يا شافي
أنا مِن ضُيوفك قد حُسِبتُ وإنّ مِن
شِيَمِ الكريم البِرَّ للأضيافِ
لا تَحْرِمنّي نيلَ عفوِك وٱسقِني
مِن حضرةِ القُدسِ الرَّحيقَ الصافي
وٱجبرْ لِكسري إنّني بك واثقٌ
وبك ٱكتفَيتُ وأنتَ أنتَ الكافي
حاشاك ربّي أن تُخيّبَني وقَدْ
أعطيتَ ما أرجُوه مِنك خِلافي

وتــوسّلي ـ فــيما أروم ـ مـحمّدٌ ﷺ

خـــــيرُ الأنـــام، وســيّدُ الأشــرافِ [١]

فإذا بُعِثنا وكنّا ضيوفَ عرصات القيامة، فهنالك نعلم حقّاً أنّنا لم نملك زاداً يُغْني، ولا عملاً يُنْجي، ولا صالحاً باقياً يُرْضي.. اَللهمّ إلّا ما نأتي به من رجاء برحمة الباري جَلّ ذِكرُه، ومن حبٍّ لنبيِّه الأكرم صلّى‌الله عليه وآله وحبٍّ لأهلِ بيته الأطهار صلوات الله عليهم، آملين ما قاله المصطفىٰ صلوات الله عليه وآله: «حُبّي وحُبُّ أهلِ بيتي نافعٌ في سبعة مواطن، أهوالُهنّ عظيمة: عندَ الوفاة، وفي القبر، وعندَ النشور، وعندَ الكتاب، وعندَ الحساب، وعندَ الميزان، وعندَ الصراط» [٢].

وآخِرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين

وصلّى اللهُ علىٰ حبيبِه المصطفىٰ وآلِهِ الطيّبين الطاهرين

مشهد المقدّسة

٣ جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ. ق

ذكرىٰ شهادة الصدّيقة الزهراء

صلوات الله عليها

---

(١) ديوان عمر الباقي البكريّ: ٧٣، قال هذه الأبيات وهو علىٰ فراش الموت.

(٢) الخصال: ٣٦٠/ح ٤٩ ـ باب السبعة.

المصادر

* **القرآن الكريم**.

* **نهج البلاغة**

أ

* **الاختصاص**: محمّد بن محمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ، الملقّب بـ«الشيخ المفيد» (ت٤١٣هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفّاريّ، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة ـ قمّ المقدّسة.

* **اختيار مصباح السالكين**: كمال الدين ميثم بن عليّ بن ميثم البحرانيّ (ت٦٨٩هـ)، تحقيق: الدكتور محمّد هادي الأمينيّ، الناشر: مجمع البحوث الإسلاميّة التابع للأستانة الرضويّة المقدّسة ـ مشهد، إيران، ط١، سنة ١٤٠٨هـ.

* **الإرشاد**: محمّد بن محمّد النعمان العكبريّ البغداديّ، الملقّب بـ«الشيخ المفيد» (ت٤١٣هـ)، منشورات مكتبة بصيرتي ـ قمّ المقدّسة.

* **إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين (المطبوع بهامش: نور الأبصار)**: محمّد بن عليّ بن الصبّان (ت١٢٠٦هـ)، نشر: شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبيّ ـ مصر، سنة ١٣٦٧هـ.
* **إعلام الدِّين في صفات المؤمنين**: الحسن بن أبي الحسن بن محمّد الديلميّ (من أعلام القرن الثامن الهجريّ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قمّ المقدّسة، ط٢، سنة ١٤١٤هـ.
* **إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ**: أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (من أعلام القرن السادس الهجريّ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قمّ المقدّسة، ط١، سنة ١٤١٧هـ.
* **إقبال الأعمال**: رضيّ الدين عليّ بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت٦٦٤هـ)، مؤسّسة التاريخ العربيّ، انتشارات أهل الذكر ـ قمّ المقدّسة، ط١، سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
* **أمالي الشيخ المفيد**: محمّد بن محمّد بن النعمان العُكبريّ البغداديّ (ت٤١٣هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفّاريّ، منشورات جماعةالمدرّسين في الحوزة العلميّة ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٤٠٣هـ.

* **أمالي الصدوق:** أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (ت ٣٨١هـ)، منشورات الأعلميّ ـ بيروت، ط ٥، سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
* **أمالي الطوسيّ:** أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة في مؤسّسة البعثة، نشر: دار الثقافة ـ قمّ المقدّسة، ط ١، سنة ١٤١٤هـ.
* **الإمامة والتبصرة:** عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ، والد الشيخ الصدوق (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهديّ عليه السلام ـ قمّ المقدّسة.

ب

* **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار:** الشيخ محمّد باقر المجلسيّ (ت ١١١١هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، مؤسّسة الوفاء ـ بيروت، ط ٣، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
* **البلد الأمين والدرع الحصين:** تقيّ الدين إبراهيم بن عليّ بن الحسن العامليّ الكفعميّ (ت ٩٠٠هـ)، منشورات مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، ط ١، سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

ت

* **تاريخ مدينة دمشق**: الحافظ عليّ بن الحسن بن هبة الله الشافعيّ الدمشقيّ، المعروف بـ«ابن عساكر» (ت ٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر ـ بيروت، ط ١، سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

* **تحف العقول عن آل الرسول**: أبو محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحرّانيّ (من أعلام القرن الرابع الهجريّ)، منشورات الأعلميّ ـ بيروت، ط ٥، سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

* **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**: عبدالعظيم بن عبدالقويّ المنذريّ (ت٦٥٦هـ)، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت، ط٣، سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

* **تفسير الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام**: الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام (ش ٢٦٠هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهديّ (عج) ـ قمّ المقدّسة، ط ١، سنة ١٤٠٩هـ.

* **تفسير غريب القرآن الكريم**: الشيخ فخر الدين الطريحيّ (ت١٠٨٥هـ)، تحقيق وتعليق ونشر: محمّد كاظم الطريحيّ، انتشارات الزاهديّ ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٣٧٢هـ.

* **تفسير فرات الكوفيّ**: أبوالقاسم فرات بن إبراهيم بن فرات

الكوفيّ (من أعلام الغيبة الصغرىٰ)، تحقيق: محمّد الكاظم، مؤسّسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ ـ طهران، ط٢، سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

* **تفسير نور الثقلين:** الشيخ عبد علي بن جمعة العروسيّ الحويزيّ (ت١١١٢هـ)، تصحيح وتعليق: السيّد هاشم الرسوليّ المحلّاتيّ، المطبعة العلميّة ـ قمّ المقدّسة، ط٢، سنة ١٣٨٣هـ.

* **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، المعروف بـ (مجموعة ورّام):** أبوالحسين ورّام بن أبي فراس المالكيّ الأشتريّ (ت٦٠٥هـ)، مكتبة الفقيه ـ قمّ المقدّسة.

* **تهذيب الأحكام:** أبوجعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ (ت٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: السيّد حسن الموسويّ الخرسان، دار صعب ودار التعارف ـ بيروت، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

ث

* **ثواب الأعمال وعقاب الأعمال:** أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ، المعروف بـ«الشيخ الصدوق» (ت٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفّاريّ، مكتبة الصدوق ـ طهران، سنة ١٣٩١هـ.

ج

* **جامع الأخبار أو (معارج اليقين في أُصول الدين)**: الشيخ محمّد ابن محمّد السبزواريّ (مِن أعلام القرن السابع الهجريّ)، تحقيق: علاء آل جعفر، نشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قمّ المقدّسة، ط ١، سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
* **جامع السعادات**: الشيخ محمّد مهدي النراقيّ (ت١٢٠٩هـ)، تحقيق وتعليق: السيّد محمّد كلانتر، تقديم: الشيخ محمّد رضا المظفّر، مطبعة النجف الأشرف، منشورات جامعة النجف الدينيّة، ط٣، سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
* **جمال الأُسبوع بكمال العمل المشروع**: رضيّ الدين عليّ بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد قيّومي الأصفهانيّ، مؤسّسة الآفاق ـ إيران، ط ١، سنة ١٤١٣هـ.
* **الجواهر السَّنيّة في الأحاديث القدسيّة**: محمّد بن الحسن بن عليّ، المعروف بـ«الحرّ العامليّ» (ت١١٠٤هـ)، منشورات مكتبة المفيد ـ قمّ المقدّسة.
* **جواهر الكلام**: الشيخ محمّد حسن النجفيّ (ت١٢٦٦هـ)، تحقيق وتعليق: عبّاس القوچانيّ وآخرين، طبع دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران، سنة ١٣٩٢هـ.

خ

* **الخصال**: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ، المعروف بـ«الشيخ الصدوق» (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفّاريّ، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٤٠٣هـ.

د

* **الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور**: جلال الدين عبدالرحمن السيوطيّ (ت ٩١١هـ)، منشورات السيّد المرعشيّ النجفيّ ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٤٠٤هـ.

* **الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة**: محمّد بن جمال الدين مكّيّ ابن محمّد العامليّ النبطيّ الجزّينيّ، الملقّب بـ«الشهيد الأوّل» (ق٧٨٦هـ)، تحقيق: داود الصابريّ، مؤسّسة طبع ونشر الأستانة الرضويّة المقدّسة ـ مشهد المقدّسة، سنة ١٤٠٣هـ.

* **دعائم الإسلام**: أبو حنيفة النعمان بن محمّد بن منصور التميميّ المغربيّ (ت٣٦٣هـ)، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، نشر: دار المعارف ـ مصر، سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

* **دعوات الراونديّ (سلوة الحزين وتحفة العليل):** قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراونديّ (ت٥٧٣هـ)، تحقيق: عبدالحليم عوض الحلّيّ، من سلسلة مصادر بحار الأنوار، نشر: دليلنا ـ قمّ المقدّسة، ط١، سنة ١٤٢٧هـ.

ر

* **الروضة من فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام:** شاذان بن جبرئيل (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: علي الشكرچيّ، نشر: مكتبة الأمين ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٤٢٣هـ.
* **رياض العلماء وحياض الفضلاء:** الميرزا عبدالله الأفنديّ الأصفهانيّ (من أعلام القرن الثاني عشر الهجريّ)، تحقيق: السيّد أحمد الحسينيّ، نشر: مطبعة الخيّام ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٤٠١هـ.

س

* **السرائر:** أبو جعفر محمّد بن منصور بن أحمد بن إدريس الحلّيّ (ت٥٩٨هـ)، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين ـ قمّ المقدّسة، ط٢، سنة ١٤١٠هـ.
* **سفينة البحار ومدينة الحِكم والآثار:** المحدّث الشيخ عبّاس

القمّيّ (ت١٣٥٩هـ)، تحقيق: مجمع البحوث الإسلاميّة، طبع: مؤسّسة الطبع والنشر في الأستانة الرضويّة المقدّسة ـ مشهد المقدّسة، ط١، سنة ١٤١٦هـ.

ش

* **شرح نهج البلاغة:** ابن أبي الحديد المعتزليّ، عزّ الدين أبو حامد هبة الله بن محمّد المدائنيّ (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمّد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابيّ الحلبيّ ـ القاهرة، ط٢، سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

ص

* **الصحيفة السجّاديّة الخامسة:** الإمام عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام (ش٩٥هـ)، جمع: السيّد محسن الأمين العامليّ، منشورات مكتبة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام العامّة ـ أصفهان.
* **الصحيفة السجّاديّة المباركة:** الإمام عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام (ش٩٥هـ) ـ طبعات عديدة.

ط

* **طبّ النبيّ صلّى الله عليه وآله**: أبو العبّاس جعفر بن محمّد المستغفريّ (ت٤٣٢هـ)، تقديم: السيّد محمّد مهدي الخرسان، منشورات المكتبة الحيدريّة ـ النجف الأشرف، سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م.

ع

* **عُدّة الداعي ونجاح الساعي**: أحمد بن فهد الحلّيّ (ت٨٤١هـ)، دار الكتاب الإسلاميّ ـ إيران، ط١، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
* **علل الشرائع**: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ، المعروف بـ«الشيخ الصدوق» (ت٣٨١هـ)، تقديم: السيّد محمّد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدريّة ـ النجف الأشرف.
* **عيون أخبار الرضا عليه السلام**: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ، المعروف بـ«الشيخ الصدوق» (ت٣٨١هـ)، تصحيح وتذييل: السيّد مهدي الحسينيّ اللّاجورديّ، نشر: رضا المشهديّ.

* **عيون الحِكَم**: عليّ بن محمّد اللّيثيّ الواسطيّ (ت٤٥٧هـ)، منشورات المكتبة الإسلاميّة ـ طهران، سنة ١٣٨٣هـ.

غ

* **الغارات**: أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الثقفيّ (ت٢٨٣هـ)، منشورات الحيدريّ ـ طهران، سنة ١٣٩٥هـ.
* **غُرر الحِكم ودُرر الكَلِم**: جمع: عبدالواحد بن محمّد التميميّ الآمديّ (ت٥١٠هـ)، مكتب الإعلام الإسلاميّ في الحوزة العلميّة ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٩٨٨هـ.
* **غوالي اللآلي العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة**: الشيخ محمّد بن عليّ بن إبراهيم الأحسائيّ، المعروف بـ«ابن أبي جمهور» (ت٩٤٠هـ)، تقديم: سماحة السيّد شهاب الدين المرعشيّ النجفيّ، تحقيق: آقا مجتبى العراقيّ، مطبعة سيّد الشهداء عليه السلام ـ قمّ المقدّسة.

ف

* **الفصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمّة عليهم السلام**: عليّ بن محمّد بن أحمد، الشهير بـ«ابن الصبّاغ المالكيّ» (ت٨٥٥هـ)، دار الكتب التجاريّة ـ النجف الأشرف.

* **فضائل الأشهر الثلاثة**: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ، المعروف بـ«الشيخ الصدوق» (ت ٣٨١هـ)، تحقيق وإخراج: ميرزا غلام رضا عرفانيان، منشورات دار المحجّة البيضاء ـ بيروت، ط٢، سنة ١٤١٢هـ.

* **فلاح السائل**: السيّد رضيّ الدين عليّ بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، مركز انتشارات مكتب التبليغات الإسلاميّ التابع للحوزة العلميّة ـ قمّ المقدّسة.

ق

* **قُرب الإسناد**: أبو العبّاس عبدالله بن جعفر الحِمْيريّ (من أعلام القرن الثالث الهجريّ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قمّ المقدّسة، ط١، سنة ١٤١٣هـ.

ك

* **الكافي**: أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازيّ (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفّاريّ، نشر: دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران، ط٣، سنة ١٣٨٨هـ.

* **كتاب العين**: الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٥هـ)، تحقيق:

الدكتور مهدي المخزوميّ والدكتور إبراهيم السامرّائيّ، منشورات الأعلميّ ـ بيروت، ط١، سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

* **كشف الغمّة في معرفة الأئمّة عليهم السلام**: عليّ بن عيسى الإربلّيّ (ت٦٩٢هـ)، منشورات دار الأضواء ـ بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

* **الكشكول**: الشيخ بهاء الدين محمّد بن الحسين، المعروف بـ«الشيخ البهائيّ» (ت١٠٣٠هـ)، مطبعة الحكمة ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٣٧٧هـ.

* **كلمة الله**: جمع: السيّد حسن الشيرازيّ، نشر: دار الصادق ـ بيروت، ط١، سنة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

* **كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال**: علاء الدين عليّ المتّقي بن حسام الدين الهنديّ (ت٩٧٥هـ)، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت، سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

* **كنز الفوائد**: أبو الفتح الشيخ محمّد بن عليّ بن عثمان الكراجكيّ الطرابلسيّ (ت٤٤٩هـ)، منشورات مكتبة المصطفويّ ـ قمّ المقدّسة، ط٢، سنة ١٩٨٩م.

ل

* **لآلئ الأخبار:** محمّد نبي التويسركانيّ، منشورات مكتبة العلّامة ـ قمّ المقدّسة.

* **لسان العرب:** أبوالفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور الأفريقيّ المصريّ (ت ٧١١هـ)، نشر: أدب الحوزة ـ قمّ المقدّسة ـ سنة ١٤٠٥ هـ.

* **لواقح الأنوار القدسيّة في بيان العهود المحمّديّة:** عبدالوهّاب بن أحمد الشعرانيّ (ت٩٧٣هـ)، نشر: مكتبة ومطبعة البابيّ الحلبيّ ـ مصر، سنة ١٣٢١هـ.

م

* **مجمع البحرين ومطلع النيّرين:** الشيخ فخر الدين الطريحيّ (ت١٠٨٥هـ)، تحقيق: السيّد أحمد الحسينيّ، نشر: المكتبة المرتضويّة لإحياء الآثار الجعفريّة ـ طهران، ط٣، سنة ١٤١٧هـ.

* **مجمع البيان في تفسير القرآن:** أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (من علماء القرن السادس الهجريّ)، تصحيح وتحقيق وتعليق: السيّد هاشم الرسوليّ المحلّاتيّ والسيّد فضل الله اليزديّ الطباطبائيّ، دار المعرفة ـ بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

* **المحاسن**: أبو جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقيّ (ت٢٧٤هـ)، نشر وتصحيح وتعليق: السيّد جلال الدين الحسينيّ، المشتهر بـ«المحدّث»، نشر: دار الكتب الإسلاميّة ـ قمّ المقدّسة، ط٢.
* **مرآة العقول في شرح أخبار الرسول**: الشيخ محمّد باقر المجلسيّ (ت١١١١هـ)، نشر: دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران، ط٢، سنة ١٤٠٥هـ.
* **مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل**: الميرزا حسين النوريّ الطبرسيّ (ت١٣٢٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قمّ المقدّسة، ط١، سنة ١٤٠٧هـ.
* **مستطرفات السرائر**: محمّد بن أحمد بن إدريس الحلّيّ (ت٥٩٨هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهديّ عليه السلام ـ قمّ المقدّسة، ط١، سنة ١٤٠٨هـ.
* **مسكّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد**: «الشهيد الثاني» الشيخ زين الدين عليّ بن أحمد الجبعيّ العامليّ (ق٩٦٥هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قمّ المقدّسة، ط١، سنة ١٤٠٧هـ.
* **مشكاة الأنوار**: أبوالفضل عليّ بن الحسن الطبرسيّ (من أعلام

القرن السابع الهجريّ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قمّ المقدّسة، ط ١، سنة ١٤٢٣هـ.

* **مصادقة الإخوان**: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ، المعروف بـ«الشيخ الصدوق» (ت ٣٨١هـ)، علّق عليه: الدكتور حسين علي محفوظ، منشورات مكتبة الصدر ـ طهران.
* **مصباح الشريعة**: الإمام جعفر الصادق عليه السلام (ش ١٤٨هـ)، مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، سنة ١٤٠٠هـ.
* **مصباح المتهجّد**: أبوجعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ)، تصحيح وإشراف: الشيخ حسين الأعلميّ، نشر: مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، ط ١، سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
* **مطالب السَّؤول في مناقب آل الرسول**: كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعيّ (ت ٦٥٤هـ)، الطبعة الحجريّة ـ طهران.
* **معاني الأخبار**: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ، المعروف بـ«الشيخ الصدوق» (ت ٣٨١هـ)، تصحيح: علي أكبر الغفّاريّ، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٣٧٩هـ.
* **معجم مقاييس اللّغة**: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمّد هارون، نشر: دار الكتب العلميّة ـ قمّ المقدّسة.

*المفردات في غريب القرآن: أبوالقاسم الحسين بن محمّد، المعروف بـ«الراغب الأصفهانيّ» (ت٥٠٢هـ)، تحقيق وضبط: محمّد سيّد گيلاني، نشر: المكتبة الرضويّة ـ إيران، ط٢، سنة ١٤٠٤هـ.

* **مقتل الحسين عليه السلام**: أبو المؤيَّد الموفّق بن أحمد المكّيّ الخوارزميّ الحنفيّ، المعروف بـ«أخطب خوارزم» (ت٥٦٨هـ)، منشورات مكتبة المفيد ـ قمّ المقدّسة، سنة ١٣٦٧هـ.

* **مكارم الأخلاق**: رضيّ الدين أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسيّ (من أعلام القرن السادس الهجريّ)، منشورات مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، ط٦، سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

* **مَن لا يحضره الفقيه**: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ، المعروف بـ«الشيخ الصدوق» (ت٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفّاريّ، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة ـ قمّ المقدّسة، ط٢.

* **مناقب آل أبي طالب**: الشيخ محمّد بن عليّ بن شهر آشوب المازندرانيّ السرويّ (ت٥٨٨هـ)، مؤسّسة انتشارات العلّامة ـ قمّ المقدّسة.

* **مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام**: أبوالحسن عليّ بن محمّد

الواسطيّ الجُلّابيّ الشافعيّ، المعروف بـ«ابن المغازليّ» (ت٤٨٣هـ)، تحقيق: محمّد باقر البهبوديّ، المطبعة الإسلاميّة ـ طهران، ط٢، سنة ١٤٠٢هـ.

* **منظومة ابن الأعسم**: الشيخ محمّد عليّ بن الشيخ حسين الزَّبيديّ النجفيّ، المعروف بـ«ابن الأعسم»، تصحيح وتعليق: محمّد رضا عبدالأمير الأنصاريّ، نشر: مجمع البحوث الإسلاميّة التابع للأستانة الرضويّة المقدّسة ـ مشهد المقدّسة، ط١، سنة ١٤١٠هـ.

* **المواعظ**: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ، المعروف بـ«الشيخ الصدوق» (ت٣٨١هـ)، انتشارات الهجرة ـ قمّ المقدّسة.

* **الميزان في تفسير القرآن**: السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ (ت١٤٠٢هـ)، مؤسّسة إسماعيليان ـ قمّ المقدّسة، ط٣، سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

ن

* **النُّخَب من أدب العرب**: الدكتور محمّد الخزائليّ، نشر: مؤسّسة أمير كبير للمطبوعات ـ إيران، سنة ١٤٠٥هـ.

* **نوادر الراونديّ**: السيّد فضل الله بن عليّ الحسينيّ الراونديّ (من

علماء القرن الخامس الهجريّ)، منشورات المطبعة الحيدريّة ـ النجف الأشرف، سنة ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م.

* **نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار صلّى الله عليه وآله وسلّم**: الشيخ مؤمن الشبلنجيّ الشافعيّ (من أعلام القرن الثالث عشر الهجريّ)، منشورات الشريف الرضيّ ـ قمّ المقدّسة.

* **النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين**: السيّد نعمة الله الجزائريّ (ت١١١٢هـ)، منشورات الشريف الرضيّ ـ قمّ المقدّسة، ط٢، سنة ١٤١٥هـ.

و

* **الوافي**: محمّد محسن، المشتهر بـ«الفيض الكاشانيّ» (ت١٠٩١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيّد ضياء الدين الحسينيّ الأصفهانيّ، منشورات مكتبة الإمام أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام العامّة ـ أصفهان، ط١، سنة ١٤٠٦هـ.

* **الوافي بالوفيات**: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفديّ (ت٧٦٤هـ)، طبع باعتناء: هلموت ريتر، نشر: فرانز شتاينر بفيسْبادن، ط٢، سنة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م.

* **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة**: الشيخ محمّد بن

الحسن، المعروف بـ«الحرّ العامليّ» (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قمّ المقدّسة، ط ١، سنة ١٤٠٩هـ.

* **وليد الكعبة**: إعداد وتقديم: السيّد محمّد رضا الحسينيّ الجلاليّ، الناشر: انتشارات المكتبة الحيدريّة ـ قمّ المقدّسة، ط ١، سنة ١٤٢٥هـ.

الفهرس